رقم الايداع: ٢٠٢٠/٦٨١م

مهمة في اديس ابابا

سلسلة روايات للتوثيق

سلسلة روايات للتوثيق

مهمة في اديس ابابا

اكرم ابراهيم البكري

تصميم الغلاف: الاستاذ/ الطيب ود الماجدي

تصميم داخلي/ انعام الحاج

رقم الايداع: ٢٠٢٠/٦٨١م

دار الريم للنشر والتوزيع
السودان ـ أمدرمان
alreempublshing@gmail.com
imadeldenali@yahoo.com
00249912914599 - 00249122992190
إدارة: عماد أبو مدين

حقوق النشر محفوظة للمؤلف والناشر ©
لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه كنسخة إلكترونية أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

إن دار الريم للنشر غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب عن وجهة نظر المؤلف ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار.

الشخصيات فى تلك الرواية خيالية اى تشابة فهو محض صدفة . المؤلف

وأي أرض تخلو منك حتي ... تعالوا يطلبونك في السماء

تراهم ينظرون إليك جهرا..... وهم يبصرون من العماء

الحلاج

١

السماء هي المكان الأفضل للاحتفاظ بالأمنيات، لم يكن الوطن يوماً ملاذاً للكثيرين، خيانة اكثرهم للوطن مثل أركان الإيمان لم تكن نافلة. بل فرض عين لهم، كنت أتساءل دوماً عنهم أولئك الذين يكسرون قلوبنا كل صباح بفجيعة فينزعون منا الأمن والسلامة كيف يتسنى لهم أن تردد أفواههم عقب كل صلاة السلام علينا وعلي عباد الله في هذا البلد المسالم.

نعم هو النفاق الذي نخرفينا... شهداءهم قدموا أرواحهم زهيده من أجل المشروع ليس من أجل الوطن يصرخون لا داعي لذكرنا فقد خدعنا لا تتباكوا علينا فقط اشتروا وطن للبقية.

سامية عبد الحميد امرأة في منتصف الثلاثين لها قوام رائع وحزن يفوق حزن هذه البلاد، شاهدتها أول مرة بمكتب صديقي وقريبي المحامي مختار الأمين بعمارة الحرية بالسوق العربي لها جمال قاتل وأنوثة طاغية تتدثر تحت كم هائل من البؤس الذي ظل علامة استفهام واضحة في تلك العيون الجريحة، حاولت التلصص على هذا الجسد، وفي كل مرة يرتد بصري خاسئا حسيرلعله الحياء من هذا الحزن القديم.

سجال دائر ما بين المحامي وسامية والتي اعتقد أنها تهُم برفع قضية ما، البلوزة البيضاء الفضفاضة تخفي تفاصيل أكثر إثارة من هذا الوجه، الاسكيرت الأسود يمتد بمساحة النيل الأزرق في عنفوانه قاطعاً المسافة ما بين الخصر مقرن الحياة وأطراف القدم هناك، لم تكن سامية أنثى كانت ملاك الحزن الذي صفق بأجنحته على وطن كئيب، كيف لهذا الجسد أن يعيش هذا البؤس لعلها اللعنة التي أصابت تلك البلاد منذ زمن فأخذت في طريقها كل ما هو بديع.

مازال النقاش بينها وبين مختار الأمين الذي أخذ يستمع إليها تارة ويسهب

بالشرح تارة أخرى، يصل إلى بعض أطراف حديثهم المحامي يحاول بقدر المستطاع أن يصل إلى نقطة اتفاق مع موكلته، وفجأة أخذت سامية منديل ورقي تمسح به دموع القهر التي نزلت لؤلؤاً على زجاج خدها وعضت بألم على العناب بالبرد.

ياألله أكنت تقصدها (يزيد بن معاوية) نعم إنها هي، أخذ صوت الكابلي والبلابل يخرج من أعماقي بتلك الروعة التي أحسها بالنظر خلسة إلى تلك العيون، لم تتمالك الفتاة نفسها فوقفت تعلن الخروج عمداً، لا أحتمل مثل هذا الجسد رسمُت ابتسامة بلهاء وحاولت أن أنشغل بالجريدة التي أمامي

نظر إلى مختار الأمين وابتسم ساخراً وقال :-

- معليش يا مرتضى أخرتك.....

نظرت إليه بل إليها، فالقلوب هي التي تري لم تكترث لوجودي صافحت المحامي وخرجت نسمة باردة عليها عطر أنيق قتلنى عمداً في منتصف الحنين، تبع نظري طيفها إلى أن وقف على سلامتها هنالك في قلب الخرطوم التي لا تعرف الرحمة لأنثى في جمالها، بل الخرطوم لا تعرف الرحمة حتى لابنائها الفقراء، إنتبهت فجأة علي صوت مختار الأمين ساخراُ كالعادة.....

- يا دكتور مشيت وين خلاص طلعت مالك يا زول.؟ سارح في شنو،..؟

ودون أن أخرج من طيف خيالها سألت مختار تائهاً فيها

- دي منو يا مختار.....؟

تحرك مختار اتجاه عدة الشاي على ركن مكتبه وشرع في عمل قهوة قال باستخفاف:-

- دي سامية عبدالحميد ما عرفتها،. .....؟

دائماً مختار هكذا يعيد إليك السؤال بسؤال،. .. أجبته وقد بلغ بي الضيق حد تلاشي خيال الأنثى التي كانت أمامي إلا أن رائحتها ظلت عالقة بداخلي شجن غريب وأنا أرد بضيق:

أبدا والله وما سمعت بالاسم دا.....

تحرك مختار الأمين بجسده الضخم وبطنة تعيق حركته بين الكراسي المرصوصة على مكتبة، وضع أكواب القهوة علي المنضدة أمامي ورائحة البن الحبشي تملاء المكان، انهارعلى الكرسي المقابل انتابني إحساس بأن المقعد يئن تحت وطأة جسده.

واصل حديثه بهدوءه المعهود: -

- يا سيدي سامية عبدالحميد دي زوجة دكتور طارق عثمان الجعلي بتعرف الاسم دا

ارتفع حاجبيّ دهشةً وأنا اسمع الاسم،. ..

- طارق الجعلي يالله،. . وكيف لا أعرفه، كان الدفعة القدامنا في كلية طب الأسنان بس دا موش أتوفى قبل فترة طويلة على ما اعتقد...

رد مختار راسماً غموض مصطنع على ملامحه،. ..

- ايوة أتوفى في ظروف غامضة.

دخلت في فضول عظيم يبدو أن في الأمر ما يوحي بشيء

نظرت ناحية مختار متساءلاً :-

- انت موش طارق دا كان ضابط في جهاز الامن.

ارتج جسد المحامي وهو يلوح بيديه عالياً :-

ضابط جهاز بس... إنت قلت عاصرتوا في الجامعة دا كان من أشد كوادر النظام بأساً وبطشاً ذهب إلى الجنوب محاربا أكثر من مره وتزوج من سامية بعد أن عمل بوكاله الإغاثة الإسلامية والتى مقرها باديس ابابا

نظر مختار إلى الأعلى كأنه يسترجع معلومة غاية في الأهمية انحنى ناحيتي وقال هامسا: -

اعتقد إنو الجعلي من المتورطين مع بعض المسؤلين في نظام الخرطوم وبعض عناصر تنظيم الجهاد الإسلامى في محاولة اغتيال حسنى مبارك بأثيوبيا،.. لا بل أستطيع أن أجزم لك بأنه استخدم وكالة الإغاثة تلك في مد العناصر الإسلامية بالتغطية اللازمة لتنفيذ خطة اغتيال الرئيس المصري السابق في اديس ابابا، فالرجل تجمعه علاقة وُد قديمة بالتنظيم الحاكم في السودان ويعتبر من المشاركين فى انقلاب 89 الذي أتى بالجبهة الإسلامية القومية على سدة الحكم،..

واصل مختار حديثة مرة أخرى ومال ناحيتي هذه المرة حتى اختفت كرشة وأحسست بأنفاسه الحارة علي أذني وقال :-

- سامية قالت لي معلومات مهمة عن تورط نافذين في محاولة إغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك من ضمنهم علي عثمان ونافع علي نافع،..

2

تراجع مختار إلى الخلف وأسند ظهره حتى سمعت اصوات طقطقة المقعد من تحته، أخذ كوب القهوة بيده الضخمة وارتشف منه بتلذذ رشفةً طويلة.

سرحت لبرهة فيما قاله مختار، محاولة إغتيال حسني مبارك!! ماذا يقصد هذا اللعين فهو يدري مدي اهتمامي بتلك الاشياء، لم تكن لدي معرفة بالسياسة إطلاقا منذ أيام الجامعة الأولي وما قبلها فكل ما يشغلني الدوري الأوروبي والنساء والعرقي كنت أتحاشى الكلام في السياسة وكل ما له صلة بها، لذلك لم أكن أعلم بتوجه طارق هذا، الا بعد التخرج وبالصدفة عرفت أنه تابع لجهاز أمن النظام بعد أن صادفته بمستشفى الخرطوم للأسنان بشارع الملك نمر كنت أقضي فترة الإمتياز، أخذ طارق يتردد علي كثيراً ويحدثني بحذر فطنتُ يومها أن له غرض كبير وقد صدق حدسي، فقد كان يطمع في تجنيدي فنوعيتي علي حسب زعمة مطلوبة في عالم الاستخبارات.... كيف هذا فأنا صاحب كأس وزير نساء وكنت اعتقد أنهم أصحاب مشروع وفكرة، تظاهرت بالغباء إلى أن رحل عني.

ظلت صورة سامية منحوتة داخلي ترفض الخروج كيف لم أصادفها أيام الجامعة، مختار الأمين يدرك عدم اهتمامي السياسي منذ أمد ويوبخني بسبب اهتماماتي الأخرى والتي في عُرفه تعتبر انصرافية فنحن أصدقاء وفي نفس الوقت ابناء عمومة، وكثيرا ما استعنت به في خروجي من الحبس بعد مداهمات الشرطة لبيوت العرقي أو عندما يوقعني حظي العاثر في يد شرطة أمن المجتمع مع فتاة ليل في سيارتي، حتي أصبحت مشهور باسم الدكتور العربيد، عيادتي في شارع الموردة الوحيدة للأسنان عبارة عن (وكر) علي كرسي الفحص أمارس نزواتي المجنونة وباستمتاع تام، في أحدى المرات داهمت العيادة شرطة الآداب وأنا في نهاياتي مع عشيقة عابرة و في أقصى مراحل الانتماء الجسدي بعد أن ذوبنا روحا وعشقاً وانغرست أشيائي فيها وفي هذه اللحظة تحديداً التي تعلو فيها معالم الحياة وتدُخل

في سكرة الخلود والخشوع الإلهي، تلك اللحظة التي من أجلها خلق الجنس معبوداً لكل البشر وصلاة تتساوي فيها كل الكائنات خشوعاً من أجل الحقيقة، فتحت عيناي علي صورة ضابط بدبورة واحدة يقف أمامي مبتسماً ببلاهة.....

- يا اللهي،. ....!

صرخت في هلع أيُعقل أن يكون هذا صحيحاً....؟

وكأن أشيائي مثل بالون تم ثقبه فجأة من الخوف ومن هول الموقف أصبت بعقم مؤقت بل أحسست بعدم وجوده من الأساس حتى أصبحت أتحسس منبعه بيدي هل مازال أم تواري خلف حجاب الخوف،. ..... كيف دخل الضابط إلى العيادة،. .....؟

خلف الضابط كانت تقف كتيبة كاملة مدججة بالسلاح تركوا ثغور الوطن مفتوحة وتفرغوا لي أنا مرتضى البكري.

صرخ الضابط بعد أن وقفت عاري تماما أبحث على شيء ارتديه

- والله وقعت يا مرتضى العربيد!!.

وكأن الإسلام قد رُفِعت رايته الآن فقط، وكل الموبقات التي حطت علي الأمة سببها دكتور مرتضى هكذا خُيل لي، شاهدت صورة الرب غاضباً حاولت أن أشرح له أني مؤمن وتلك نزوة قمت عليها منذ أمَد، أشاح بوجهه عني ركعت أمامه ضعيفاً أصرخ نفسي..... نفسي،. ..جهنم المشروع الحضاري في وطني، لم يحدثني الرب ولم ينظر إلى ولكنه ابتسم بعد أن رأي استغفاري ومناجاتي له، لم يبتسم الضابط الدميم ابتسم الرب ورفرفت أجنحة الملائكة رحمةً داخل عيادتي وأنا أرتل آيات من القرآن الكريم، فالله رحيم والنظام في بلدي يتفشى فينا بالفضيحة،. ....

المسكينة التي على كرسي الفحص أغمي عليها من الصدمة لم تكن فتاة ليل كانت إحدى عشيقاتي المخدوعات بوسامتي ووضعي الاجتماعي ارتديت ملابسي أمام الضابط والعساكر، أيقظت الضحية وسترتها ومن ثم حميتها بجسدي من تلك النظرات الغبية الشبقة، بعض العساكر ارتفعت أشياءهم وهم يطيلون النظر إليها بعبط، كيف يتسنى لهؤلاء حماية الشريعة، فهم أنفسهم فاسقون..!!

تحرك الضابط وكأنه وجد الشيطان نفسه رافعاً رأسه في شموخ فقد ضمن الجنة الآن بضبطه لدكتور مرتضى في وضع مخل لتوجه البلد العام، على جهة الضابط تربعت غرة الصلاة ساخرة من الرب والدين وكل العادات والأعراف في البلد، أخذ يطيل النظر إلى الفتاة ويبتسم لي، اعتقد أنه يحسدني، بل أنى على يقين أنه يحدث نفسه بها.

قام بإتصال من تلفون لاسلكي، يبدو إنه يتحدث مع شخصية مهمة عرفت فيما بعد أنها طارق الجعلي والذي أصبحت أنا شغله الشاغل بعد أن رفضت الانضمام إلى التنظيم، استدار الضابط إلى بعد أن خرج الجنود إلى صالة العيادة وبدأ التفاوض معي اختفت النبرة الدينية وتراجعت تلك النزعة البوليسية وأصبح الاتفاق على مبلغ مالي و.. والفتاة.. !

تافهون، أصحاب المشروع.. .. حقير جدا هذاً المأفون.. . رضختُ بعد مجهود أن أدفع المبلغ ولكن الفتاة هيهات.. .. لن يحدث.. . وليكن ما يكون ولو اقتضي الأمر للفضيحة، نعم عربيد ولكني لن أغفر لنفسي ترك الفتاة للعسكر هكذا قلتها للضابط المشدود، شاهدت الملائكة تصفق لي بحماس وصوت يأتي من أعلى.. .

(لا تخف إني معك أسمع وأري).

انتهت الليلة أخيرا بعد دفعي مبلغ مالي كبير، لم يكن المال يهمني فقد كان أكثر ما يؤلمني الفتاة.

بعد هذه الحادثة تحديداً لم أعد أطيق الوطن، لقد كان طارق الجعلي خلفها، وليس من المستبعد أن يلفق لي مكيدة أكبر من ممارسة الجنس فاخترت طائعاً الهروب، الحقيقة لم يكن لدي اساساً أي إحساس بالانتماء للسودان، فقررت الرحيل وعزمت علي الأمر وكانت ايرلندا تتناسب تماما مع مزاجي المتقلب المنفلت، الغريب وبعد خروجي من السودان أصبحت مهتما أكثر بالتراث الإسلامى وحقيقة الإسلام السياسي لقد استفز ضابط الأمن الشعبي طارق الجعلي شيء ما داخلي وتحول اهتمامي نوعا ما إلى ما يشغل الناس فى الوطن بالرغم أنني لم أكن سياسي يوما إلا أن ما يحدث في السودان مثيرٌ للاهتمام.

3

خرجتُ من تلك الذكريات علي صوت مختار الأمين،. .

رايك شنو نفطر مع بعض عازمك سمك في (مطعم السماكة)؟، تحسست اسم المطعم فقد كنت على يقين أن مسئولي البلاد يتاجرون في كل شيء حتى ولو كانت تلك التجارة هي عبارة عن الأسماك المشوية أو الآيس كريم في دريم، كنت قد سمعت من صديق قديم تفاصيل حريق هذا المطعم قبل سنوات عدة.

صوت مختار وهو يلح على بعد أن تقدم نحو باب المكتب،. .....

- اها رايك شنو،. .... نفطر سمك ولا حاجة تانية،. ....؟

خرج صوتي واهناً مؤيدا الفكرة.

لي فترة طويلة من الأسماك النيلية لا أذكر أخر مرة تناولت فيها وجبة سمك حتى، وافقت بحماس مشروط،. .....

- موافق بس أنا العازمك،. ....-

ارتج جسد المحامي المعارض إثر ضحكة قوية أطلقها وقال :-

- تمام يا سيدي ومرة تضوقنا الدولارات بتاعتك دي.

مختار الأمين محامي في بلد المحن خريج جامعة الخرطوم شهد مقتل التاية وبشير وسليم، كنا في نفس السن تقريباً، نسكن في نفس البيت الكبير بود نوباوي بأمدرمان حيث كبُرنا معاً، بدانته كانت واضحة منذ الصغر، كسول ولكنه يعشق القراءة بنهَم، وجدنا عثمان جقود ينتمى إلى السجادة الختمية، فكثيراً ما كانت تقام في زاوية جدي أمام البيت(حولية) الاحتفاء بست مريم، وزيارات محمد

عثمان الميرغني كانت تتوالى علينا، انتفخ جسد مختار من الفتة التي كانت تقدم في تلك المناسبات الدينية هكذا كنا نسخر منه دائماً.

مع نهايات الثمانينات بدأت حياتنا بجامعة الخرطوم ومن العام الأول وجد مختار ما يبحث عنه في السياسية فمحامي بدون حزب في رأيه محامي دون سند لابد من رأي سياسي وبحكم الانتماء الأسري نشط في رابطة الطلاب الاتحاديين الديمقراطيين بل كان من المؤسسين لها بعد انقطاع طويل، إنفصامي الأول في الجامعة لم يكن بالسياسية إطلاقا كان بالأنثى نعم هي عقيدتي الوحيدة، وفي أزقة كلية العلوم تذوقت طعم القبلة خلسة وفي بيوت الديم كانت خطواتي الأولي للدخول في عالم الجسد، تجرعت السبيرتو الرخيص بنشوة بداخلية حسيب، احتسيت العرقي قبل هذا في المناسبات وبالأخص عندما تقام حولية المولد أو أي مناسبة دينية، عرفت شرب العرقي علي يد شيخ اسماعيل ود الزاكي الذى يكبرنا بحوالي خمس سنوات توج خليفة علي منطقته بعد وفاة والده، كان عربيداً سكيراً ومزواجاً، جمعتنا صداقة قوية، ترك دراسة الفلسفة بجامعة القاهرة فرع الخرطوم وتفرغ لعمل الحجبات وقراءة القرآن علي الممسوسين بالجن ومعالجة النساء بالبخرات، كنا نسخر منه في جلسات الخميس وهو يكشح العرقي كشحا داخل جوفه ويتكرع بصوت عالي مُخرجاً رائحة كريهة أقرب لرائحة حيوان نافق، أيام الجامعة أصبحتُ من رواد جلسات العرقي والأُنس والكوتشينة بالداخلية كانت لي علاقات متعددة كل تفكيري منصب اتجاه الجنس فقط.

يوماً ما رأيت بشارع المين مختار يصدح بقصيدة ثورية عرفت منه فيما بعد بإنها (الكولن) بداية للمخاطبات السياسية وأركان النقاش يومها لم استطيع ان اكتم ضحكاتي التي انطلقت مجلجلة وأنا اشاهد ابن عمتي البدين بهذا الحماس وجسده الضخم المترهل يرتج تحته رجاً مع صوته المنفعل، نظر إلى الطلاب السياسيين شذراً بعيون وقحة وأنا ميت من الضحك العفوي وأنظر إلى مختار الذي أنكر معرفتي تماماً، كان هنالك علم بثلاثة ألون يغطي ساحة النشاط خجلت عندما عرفت أنه علم السودان الأول (علمُ الاستقلال)، ابتعدت عن كل ذلك فلم يكن لدي دور مهم في هذه الجغرافيا، دوري كان أكاديمياً فقط ومع مغامراتي الأخرى تجاهلت هم الوطن الذي فتح قريحته علىّ فيما بعد.

تركت كل تلك الذكريات داخل مكتب مختار الأمين فقد كان يمثل للكثيرين مكان للتجمع. وتقديم عرضحالات المهمومين من ابناء الوطن والذين تكاثروا مع مرور سنوات الخيبة، فتح مختار المكتب لقضايا الطلاب والمفصولين للصالح العام لذا اكتسب شهرة واسعة وأصبح من المحاميين المعارضين للنظام تم ضم اسمه في قائمة الممنوعين من السفر يومها قهقه ضاحكاً عندما وصل إليه أنه لن يستطيع مغادرة السودان وقال :-

- هو العايز يغادر منو؟ سوف نبقي مثل نجم السعد نحى في الدواخل ريثما تصفو السماء.. ..

تلك القصيدة التي كان يرددها دائما في أركان النقاش

4

الخرطوم مدينة العهر والرذيلة، نتنة الرائحة وجوه شاحبة. الدعارة هي التجارة الرائجة الآن تحت مسمي المشروع الحضاري.. ..

مدينة ترزح تحت وطأة التتاركل شيء متاح فيها برغبة النظام، اللون الكاكي يطغي على كل الألوان.... الشرطة في كل مكان.. .لماذا ياألله خلقت السودانيين على هامش الوجع خطيئة، المؤخرات عارية تماما، المكاتب المغلقة ترفعُ فيها أرجل النساء عالياً، تلك الأرجل هي من تثبت السماء من النزول علينا من أفاعيل النظام، وطن الصلابة قالها ساخراً لعلها ترجع لخلفيات النساء، محلات كريمات التبيض والإتصالات تنافس تجارة الجسد والمخدرات واللواط.

بعد جهد جهيد حشر مختار نفسه حشرا في مقعد السائق، درجة الحرارة تزيد عن 40 درجة إنه غضب الإله، الباعة المتجولون هائمون في لاشيء، مياه راكدة في كل مكان الدود ينخر في النفوس، لافتات باسم الدين، الإسلام لم يعد أخلاق بل شعارات، خمس وعشرون سنة بالتمام بعد أخِرلقاء لي مع الوطن الذي أصبح كهلاً مثل عجوز شمطاء تتصابي بوضع المساحيق فتبدوكشيطان، خمس وعشرون سنة من القحط والخذلان والخيبات المتتالية على الوطن، عبرت البلاد فيها إلى القاع، لم أعد أطيق المكوث، السوق العربي يوم التغابن بل أشد، نظرت إلى مختار متساءلاً بعد أن قبض طفل صغير علي يدي وأنا على وشك الدخول للسيارة إلحاح الطفل دلالة حوجته مد مختارللطفل مبلغ لا أدري كُنهَه فمن عادة مختار ان لا يُظِهر عطاءه. تربعت علي المقعد الأمامي، أدار السائق محرك السيارة التي أصدرت صوتاً أقرب إلى البكاء منه إلى صوت محرك، تحركت بنا تلك الدابة داخل أفواج من البشر الهائمين كأنهم زومبي. السودانيون وعلي وجوههم البؤس، أجسادهم هزيلة، إنه الجوع، أحسست بخجل وبأني ذاهب لوليمة وتلك الأجساد تبحث عما يسد به الرمق، وصلنا محازاة موقف المواصلات العامة وكأن الوطن

أخرج ما في جوفة في هذا المكان، لا توجد وسيلة واحدة للتنقل، كمية من البشر تركض خلف السراب.

(ما راجعين) كلمة تعُوَد الشعب علي سماعها وكأن بالرئيس يقولها لهم رداً بأن ارجعنا مكان انقذتنا، أصبحت مشدوها وأنا أفكر هل من الممكن أن تكون أفضل أيام السودانيين قد مرت منذ زمن، كل الخيبات متكررة في هذا الوطن، أصبح الألم ملازماً لهم بل فقدانه يدعو للمفاجأة وعدم التوقعات، كل ما يحدث الآن من محن لن يُتفاجئو به، الجن جويد في كل حيزينشرون الذعروالألم ملابسهم الكئيبة وأشكالهم تحمل حقد قابيل بل أشد.

علي طول الرحلة ظللت صامتاً أنظر فقط للشارع، خمس وعشرون سنة من الغياب الطوعي واختياروطن آخر هرباً من الجحيم، احترم مختار الأمين صمتي بين حين وحين ينظر إلى، أمام مستشفى الخرطوم التعليمي كانت كل الحكايات الحزينة تتكالب عليهم لم يسعي هذا الشعب ليعيش حياة مثل هذه منذ بداية تكوينه، أتمنى أن يكون في الجنة مكان للمنتحرين فالصمت علي تلك الأوضاع انتحار بطئ، تجول بصري علي نوعية السيارات الفارهة التي علي الطريق تلعن الزحام خلفها كانت مكيفات الهواء تعالج حرارة الخرطوم التظليل علي الزجاج يوحي بأن من يمتلكون تلك السيارات ليسوا من ابناء هذا الوطن هم المنتفعون، وفجأة غير مختار المسار إلى أمدرمان وقال. :-

- الطريق مزدحم جدا واضح انو في مشكلة رأيك شنو نمشي عوضية سمك.

هكذا تحدث مختار ليس لاستشارتي ولكن لتبرير انحرافه عن المسار الأول كان ردي مغتضبا: -

- ما مشكلة

5

على الكبرى القديم وذكريات الرحيل هنالك على مشارف أمدرمان كانت الحكاوي والبدايات، شهد هذا الجسر الانقلابات المتتالية من قبل الأحزاب، تراصت الدبابات على المدخل والمخرج معلنة انتهاء طامة وبداية قارعة جديدة.

نظرت إلى مقرن النيلين مهموماً وكأن مختار يقرأ أفكاري، مسجل سيارته عتيق إلى الآن، مختار يستعين بأشرطة الكاسيت، ومع حرارة الطقس والإزدحام تناول شريط لأبو عركي وأدار مسجل السيارة ارتفعت الموسيقى التصويرية في مشهد تراجيدي وانساب صوت المغني برائعة هاشم صديق.

كل البنات أمونه يا خرطوم

معاي ساعة افتح الدكان

معاي ساعة الدرس بالليل

معاي في البص على أمدرمان

وفي الكوبري الكبير في الليل

أعاين في البحر مهموم

ألاقي وجيها شاقي النيل

وفي ساعة التعب والخوف

تشيل خطواتي وأمشي عديل

دحين خاتي أكان يا يمة

صبحت نفَسي ساعة الكتمة

من ضيق الزمن والناس

وصبحت راحتي لأمن

ألقى دمي يفور

تمد إيدينا تمسح في العصب والراس

أمانة كلاما كان رفرف

وكت ساعة الدرس يا بوي

يطير قلمي ويزغرد سنو في الكراس

لم أستطيع أن أغالب دموعي وأنا سارحٌ مع تلك الكلمات ومن علي الجسر القديم أبصر البحر، مقرن النيلين مهموماً، لم أجد هذا الوجه الذي أشار إليه المغني، فقد كانت الفاجعة وسنوات الغيبوبة التي رزح تحتها الوطن حيناً من الزمان ائنة للعيان، المقرن شاهدٌ على الانحطاط وتلوث النفوس بطمي رذيلة السلطة.

زفرات حارة تخرج من فم صديقي البدين وهو يغالب الزحام صوت سارينة النجدة يصم الأذان ويقترب أكثر، أبوعركي يبتسم في حسرة ويغازل عفاف الأمين ان ليس للوجود معني بدونك إنه الرحيل كل أيقونات السعادة في طريقها إلى التلاشي حتى الحب في هذه الجغرافيا رخيص سيدتي...

عربة الوزير علي الجسر تتوقف لها كل تلك الجموع خشوعاً وتتضاري السيارات الأخرى خجلاً فهذا أوان الذبول المواتر تطلق صيحاتها الأبدية وتجرف الشعب جانباً وتفسح للسادة الطريق، (متي من طول نزفك تستريح؟... سلاماً أيها الوطن الجريح) لا أدري من قائل تلك العبارة لكنى أعلم بأن لا جرح أكبر من الذي نعيشه الآن، واصلت السيارة تشق الزحام بعد أن تخطي الوزير الجميع وتركهم في سوء حياتهم يعمهون.

على اليسار كان قصر الشباب والأطفال جثة هامدة بعد أن قتل الإبداع عمداً، المستشفى العسكري لازال صرحاً قائماً يصرخُ محذرا بأن الموتى هم من يصنعون الثورة ويتربع على عرش الوطن الكاكي والجنجويد، مسجد النيلين حلقة تأمر جديدة باسم الدين.... قبة البرلمان صامتة مثل ممثلي السلطة الذين توافدوا إليها حجاً من كل عوذ وحاجة.

رفرف الصمت بأجنحته على السيارة العتيقة، مختار يتصبب عرقا يكافح حتى يسير على الطريق الصحيح مدرسة المؤتمر الثانوية شجون ما قبل الهروب،. ....

تتوقف البيجو أمام مطعم عوضية سمك.... داخل المطعم كانت الحياة تختلف قليلا الضحكات المسروقة ومغالبة الأحزان محاولة لخلق السعادة في وطن الهموم،. .. السودانيون بسطاء حتى في فرحهم، يستغفرون الرب عند الضحك وكأن الفرح معصية للخالق.

مختار من الشخصيات المشهورة في تلك الجغرافيا من أمدرمان لم يصمت الرجل طيلة تناول وجبة الإفطار فتح أزرار بنطالة القماشى ليعطي مجالا لكرشه لتناول المزيد، الضحكات والقفاشات والتحايا الجميع يسلم علي مختار

- ياعمك وين مختفي
- مختار السمين اخبارك

يرد مختار ويده تتناول نصف سمكة بلطى أوقعها حظها العاثر في شباك صياد صابر وتم طهيها لتكون داخل بطن ذلك البدين،. .

انضمت إلينا شخصيات معروفة لديّ من سكان أمدرمان وتحولت تربيزة مختار إلى تجمع هائل من لعيبة كرة القدم والطائرة بفريق الموردة والمجد الرياضي. مسرحيين وأصحاب الحافلات والصحفيين والسياسيين،. .

عم خليل رجل بلغ من الْكِبَرِ عِتِيا كان مشهورا باسم (الصقر) لديه غلامان ولا يتورع من شحدة الرجال فلم تكن لديه رغبة في النساء، يحمل موس حلاقة ونصف ليمونة دائماً في جيبة يرتدي جلباب أخضر اللون درويش متفاني ولكنه صقر* عنيد لم يسلم فتي في أمدرمان من تحرشات خليل إن كانت بصورة مباشرة

أو غير مباشرة فقد كان يُغلِمُ الذكور.

خليل نموذج حي للمثليين، الآن في عمر الثمانين أو يزيد وما زال في كمال صحته البدنية، دائم التواجد بمدرجات دار الرياضة أمدرمان وهناك تكون المساجلات لليالي الحمراء المختلفة تماما عن الليالي بصحبة النساء.

ووسط تلك اللمة من ابناء أمدرمان بمختلف مهنهم يكون صياح ود الحاج لخليل بعد ارتجافه وسقوط الطعام على ملابسه،. .

- شكلك كدة خلاص حتودع يا عم خليل.... اوعي تكون قلبت يا عمك وبقيت ترقد عشان ما تموت،. .

وتنطلق الضحكات مصحوبة بقهقهة الجميع حد البكاء

هذه أمدرمان الصقور والغِلمان. وحكايات الليل وسينما بانت والعرضة والوطنية ودار الرياضة وسوق العناقريب ودوري الدرجة الثالثة ومرسي الفاشر وسوق العناقريب وبانت حى الصقور وفريق ريد بيت المال والملازمين، الهجرة والعرضة، شارع الفيل وحى الامراء،. . هنا أمدرمان توقيت يشدك إلى الحنين شجن عامر وخلخلة مشاعر، وما بين موقف الشهداء وجامعة الأهلية وستات الشاي، قصة طبيب مهاجر

يصرخ خليل: -

- والله يا شباب نحنا قلة ادبنا كانت برضو بي فهم بس البحصل هسة دا بالجد غريب.

يرد أحدهم: -

قصدك شنو يا حاج...؟

يرد خليل: -

ياخ زمان كان لمن تشحد واحد بتكون فاهموا وعارف الحكاية دي فيهو، الولد بتكون فيهو رقشة كدا، تعال هسه شوف الحاصل.

يخفض خليل صوتة ويقول: -

- والله شوف عيني قاعد مع معتمد أمدرمان عشان يصدق لي كشك لبيع الجرائد الساعة الدخلت عليه حاجة كدا لا عرفتها بت ولا ولد وقعدت في حجره، ارتفع صوت خليل متعجباً

يا ناس هو بعملوها كدا أنا موش خليل دا. .! والله خجلت لمن عرفت دا ولد وهاك يا هداية مال الشعب بشيلوه ديل والله شوف عيني الولد الغلام شال قروش بالدولار من المعتمد وطلع،. . أنا بالجد خفت !!!!

ومن خلال ضحكة ساخرة كان سؤال مختار لخليل:-

- خفت من شنو من المعتمد يقوم عليك ولا تقوم انت على المعتمد

خليل: -

- لا والله من جنس الوليدات ديل، ما فيهم فرق بينهم وبين البنات.

انتهت الوليمة بعد أن حبس الجميع بأكواب الشاي بالقرنفل وتحركنا أنا ومختار إلى حيث البيجو، توقف مختار في منتصف المسافة مصافحاً شخصية معروفة لديّ غائبة في متاهات الضياع والإحباط، لقد تغيرت تضاريس السودانيين حتى في تعريف مصطلح الصقر نظرت إلى مختار وصديقه طويلا محاولاً استرجاع اسم الشخصية من بئر الذاكرة إلى أن سحبه المحامي البدين من يده وتحركوا إلى حيث أقف

- مرتضى أظنك تعرفوا يا خالد،. .؟

- لا حولا!!،. ... خالد العمرابي الآن عرفته.

صافحته بحرارة ابن الحي الأنيق عازف الكمان الذي إختفى مع منتصف التسعينات ترك الدراسة بجامعة الخرطوم كلية الآداب وترك كرة القدم التي كان مشهورا بها، لعب لنادي الموردة العاصمي كانت له هواية عزف الكمان وأحد أمهر العازفين مع جيل العمالقة كنت أشاهده ممسكا علي الآلة الموسيقية خلف الفنان خوجلي عثمان ياااللهي لقد تغير كثيرا بعد ذلك أصبح من المجاهدين

الدبابين ذهب إلى جنوب السودان أكثر من مرة علي ما اعتقد، همس إلى مختار بأننا ذاهبون إلى دكان خالد بسوق أمدرمان عمارة البرير تحدث خالد مع مختار وسمعت اسم سامية مرة أخرى.

أشاح العازف بيده وهو يقول: -

- نعم صحيح... لقد كنت واحد من الفاعلين لكني اخترت الصمت بعد المفاصلة يا مختار.

يضع مختار يده أعلى رأسه محاولاً حجب أشعة الشمس ويقول :-

- زي ما قلت ليك الموضوع ما موضوع قضية تريد أن ترفعها سامية على علي عثمان أو نافع بقدر ماهي محاولة لتوثيق تلك العملية عزيزي خالد.

ظهر الضيق علي وجه خالد وهو يقول :-

- طيب ممتاز نتحرك على الدكان.

كان هذا أفضل خيار فقد كانت أشعة الشمس عمودية لا تُحتمل، كُتِب على السودانيين الشقاء، تحمل عبط الطبيعة وتهور النظام.

6

الآن وبعد مضي أكثر من ثلاثين سنة من الإحباط أصبح مطلوبٌ منا أن ننسى هَم الوطن والذل الذي يحيط بنا من كل صوب ونتحلى بالوطنية وندافع عن النظام الذي هو الوطن اليوم، لا شيء يستحق كل هذا، الوطن نفسه أصبح لا يخجل من أن يبدو أمامنا عارياً متوشحا الفساد، يمارس نزواته المجنونة علينا، نموت كل صباح بفاجعةٍ جديدة وسادتنا يقولون لا بأس من الموت من أجل الوطن حتى ولو كان غبناً أو حزناً نحن الوطن. إن لم أكن في وطني كريماً آمناً غير ذليل امارس حقي في المأكل والمشرب كيف يتسنى لي ان اموت من أجله. إذ لم أجد كل هذا فلا داعي للوطن.

كنت استرجع مع نفسي تلك الكلمات من إحدى الروايات داخل دكان خالد العمرابي وأنا استمع لنبرته الحادة عن حلم ظل يسيطر عليه بدايات التسعينات إبان انضمامه إلى الأمن الشعبي بحكم التوجه الأسري للجبهة الإسلامية القومية كانت عبارات الندم تنسال سيل يجرف معها ثقته في كل القيم التي أمن بها يوماً ما.

يسرح خالد بعيدا ونظرات الحسرة تملا وجهه الملتحي الأنيق ترقرق عيناه بالمٍ كبير بمساحة مليون ميل إلا ربع، مختار الأمين يربع يديه على صدره بعد أن وضع كوباً من عصير الليمون شفطه شفطاً ثم مط شفتيه وقال موجها حديثة لخالد: -

كانت معي اليوم سامية أرملة طارق الجعلي تحدثت عن محاولة اغتيال الرئيس المصري السابق حسني مبارك ودور زوجها المتوفي في تلك العملية إلا أن هنالك بعض الخيوط المفقودة فسامية تقول أن زوجها تمت تصفيته في اديس ابابا غدرا لأنه يمسك بملف العملية كاملا وبعد المفاصلة التي حدثت داخل التنظيم الحاكم وانشقاقه إلى مؤتمر وطني وشعبي اختار زوجها حزب شيخ الترابي مما دفع الجناح الآخر للتخلص منه خوف الابتزاز.

يخرج خالد من صمته ينظر في اتجاهات المكتب ويهمس :-

انت عارف يا مختار القضية دي شائكة وأنا اخترت الحياد التام بين الجناحين خوف التصفية أيضاً فقد كنت شريك أصيل في العملية وخبايا الأحداث، ومازالت هم كبير قابض على قلبي.

يطلق خالد زفرة حارة ثم يواصل قائلاً :-

سوف أحكي لك كل التفاصيل المُلم بها وشاركت فيها بحكم رتبتي في تلك الفترة وانتمائي لجهاز الأمن الشعبي فقد كنت في كتيبة الدعم وهي كتيبة مهمتها الأساسية التنسيق الكامل بين جهاز الأمن الشعبي وجهاز المخابرات الوطني، لكن قبل كل ذلك لا أريد أن تستخدم اعترافاتي تلك في أي عمل يدينني فظهور اسمي يا صديقي يعني الحكم بالإعدام على فمنذ العام 97 فارقت السياسية وتفرغت للتجارة فقط ولم يعد هنالك ما يربطني بالتنظيم سوى الاستدعاء المتكرر من قبل الجهاز بداية كل شهر ليعلموني بأنني مراقب.

يصمت خالد لبرهه ثم يواصل قائلاً :-

استمر الاستدعاء إلى العام السابق وبعدها انشغل الجهاز بعودة الفريق قوش والذي تفرغ لتصفية حساباته مع معارضيه داخل التنظيم أمثال عبدالغفار الشريف وطه الحسين.

وضع خالد العمرابي نظارته الطبية علي وجهه وتناول مفتاحاً من على درج مكتبة وتحرك نحو خزينة موجودة أقصى ركن المكتب الشمالي ناحية اليمين، أزاح عدداً من الكراتين المرصوصة بعناية فائقة لإخفاء الخزينة وضع المفتاح وضغط على عدد من الارقام على لوحة الخزينة، فُتِح بابها إثر صوت ضعيف تناول ملف كبير تقدم نحو مكتبه بعد أن أحكم أغلاق الباب تماما نثر عدد من الأوراق أمامه وقال: -

الموضوع يا عزيزي معقد جدا ويدين عدد من قيادات النظام الحالي.

تحفزت حواسي لسماع مغامرة تضاهي أقوى أفلام الأكشن الأمريكية لا بل أفلام الرعب

7

فجر أحد أيام يناير من العام 1992 طائرة خاصة تحط علي مطار الخرطوم داخل صالة كبار الزوار يتقدم رجل في منتصف العقد الخامس يرتدي جلباب عربي أبيض ملتحي على عينية نظارة طبية تتربع غرة صلاة في جبهته يحمل حقيبة جلدية صغيرة سوداء اللون وفي يده اليمني جواز سفر سوداني يحمل اسم أبراهيم عبدالسلام اللهجة التي يتحدث بها مصرية تماما، كان في استقباله بمكاتب أمن المطار نائب رئيس جهاز الأمن السوداني صلاح قوش وخالد العمرابي وأسامة عبدالله وطارق الجعلي بناء علي توجيهات شيخ علي عثمان تم إصطحابه من المطار بسيارة تحمل أرقام رئاسة الجمهورية كان من الواضح أن الضيف مهم جدا بسبب التكتم الشديد الذي صاحب استقباله تردد اسمه أكثر من مرة داخل السيارة التي أقلته من المطار خالد العمرابي علي مقعد السائق صلاح قوش يجلس يمين الضيف وفي المقعد إلى جانب خالد تربع أسامة عبدالله.

طارق الجعلي يلحق بالوفد من خلال سيارة أخرى ظلت طوال فترة الرحلة تحتفظ بمسافة محددة منهم.

كانت الشخصية صاحبة الجواز السوداني والتي تتقن اللهجة المصرية خبيرة بالسودان الأمر الذي يوحي بأن هذه ليست أول زيارة لها.

كيف تسير الأمور والوضع الاقتصادي إن شاء الله على ما يرام.....؟

تم نطق الكلمات تلك على لسان الضيف المحتفى به موجهاً حديثه لقوش الذي أخذ منظاره الطبي بين يديه فبانت تفاصيل عينه اليسرى مما تعانيه مسح بمنديل قماشي على عينه ومسح عدسات النظارة وقال بتحفظ :-

علي خير ما يرام شيخ مصطفى

مصطفى.... مصطفى حسن حمزة مهندس خريج جامعة القاهرة، مصري الجنسية رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية ينتمى إلى تنظيم الجهاد الإسلامي منذ العام 1981 التحق بالجيش المصري اتهم في قضية اغتيال الرئيس المصري السابق أنور السادات ودخل السجن.

وبعد خروجه من السجن سافر بصورة غير شريعة إلى أفغانستان، تنقل بين عدة دول منها باكستان والسودان وإيران وأصبح المسئول العسكري لجماعة الجهاد الإسلامي التي قامت بعمليات كبري ضد الحكومة المصرية منذ منتصف الثمانينات وهو الآن في قلب الخرطوم باستضافة كاملة من قبل جهاز الأمن السوداني بقيادة نافع علي نافع ومباركة كاملة من شيخ علي عثمان.

وبأحد أحياء الخرطوم مكث مصطفى حمزة بفيلا تُطل على النيل الأزرق، وعلي مدار أسبوع كامل كانت اجتماعات شيخ مصطفى ببعض مسئولي النظام بسرية تامة وغالبا ما تكون بعد منتصف الليل، ظل خالد العمرابي ابن أمدرمان المسئول الأول عن حماية وترتيب وخدمة الشيخ المصري والعمل على راحته وحراسته بالتنسيق الكامل مع آخرين مدثروإبراهيم ووائل وعوض الله بالتناوب إلا أن قائد تلك المجموعه هو العمرابي.

نظر مختار الأمين إلى أعلى وكأنه يسترجع تفاصيل ما سرده خالد العمرابي، كان عقلي مشدوها أكثر بتلك التفاصيل أحاول أن استبق الأحداث للنهايات وكيف كانت العملية. لم تكن لدي أسئلة محددة، تتعارك داخلي كثير من علامات الاستفهام قطع خالد الصمت المخيم على المكتب بعرضه لصورة فوتوغرافية تجمع نافع علي نافع بالشيخ الإسلامي مصطفى حمزة وآخرين وللدهشة كان عمر البشير من بين الشخصيات في الصورة يجلس بجانب علي عثمان مبتسماً للضيف.

ألتقطت تلك الصورة بواسطة خالد العمرابى نفسه في اجتماع تمت المناقشة فيه حول كيفية تمويل عملية اغتيال مبارك وتحديد الزمان والمكان.

خالد يزيد من قوة مبرد الهواء داخل مكتبة أتناول الصورة من يده تبدوواضحة يجلس شيخ مصطفى حمزة علي مقعد وثير من الجلد ويجلس بجانبه شخص آخر ذو بشرة بيضاء يدعى عزت نائبه في التنظيم وشخص آخر من جماعة الجهاد لا

ادري اسمه، مقابلهم تماماً كان شيخ علي عثمان ببدلة اشتراكية لونها أقرب إلى البني علي يمينه كان عمر البشير رئيس السودان بالزي القومي وتربع بحذر بائن نافع علي نافع على مقعد منفرداً تبدو على ملامحه الصرامة والخبث الشديدين، وكان هنالك شخص ملامحه مطموسة قليلاً بفعل التصوير الرديء في تلك الأيام إلا أن الشخصية تلك كنت أعلمها تماماً أنها أسامة عبدالله يقف خلف شيخ علي والبشير ممسكاً بعض الأوراق. تزاحمت الأسئلة حول راسي لماذا تم اختيار جماعة الجهاد الإسلامي لماذا هي تحديداً فهي جماعة مشبوهة ومن الممكن أن تثير كثير من المشاكل في وجودها مع التنظيم، ودون تريث وجدتني ألقى بسؤالي هذا علي خالد العمرابي.

سرح خالد لبعض الوقت ثم نظر نحوي بامتعاض بائن، ابتسم له البدين في محاولة واضحة لتطمئنه وتهديء مخاوفه التي كانت واضحة بسبب الارتباك والتعرق برغم درجة الحرارة المنخفضة داخل المكتبة... رد سارحاً بعد أن تناول رشفة من الماء بلل بها ريقه الجافة من انفعال الذكريات :-

اعتقد أن المنظومة هي التي فرضت نفسها على النظام يا مرتضى فقد كانت جماعة الجهاد من أكثر الجماعات نشاطاً ولها زراع عميق داخل مصر كما أنها قامت بعمليات جهادية أدت إلى زعزعة النظام المصري.

التقط خالد بعض الأوراق من على سطح مكتبه وأشار إلى وثيقة معينة ظل محتفظاً بها في يده حتى بعد المحاولات المستميتة من مختار الأمين للإطلاع عليها ومن على كرسي المكتب الدوار غير كادر الأمن السابق اتجاهه الجغرافي مبعدا فضول البدين ومعطي جسده ناحيتي ممسكاً على الوثيقة وهو يقول :-

التقرير دا يشير إلى أن جماعة الجهاد الإسلامي لديها خلايا نائمة في أغلب الحواري والقري المصرية كما يحدد المقدرة الفعلية على تنشيط تلك الخلايا بصورة فاعلة في حالة موت الفرعون المصري.

عَدل مختار الأمين من جلسته بعد أن أخرج كيس عماري مرسي الفاشر بعلامته المميزة وكور سفة بحجم رأس ماعز صغير ورمي بها داخل كهف فمه وقال: -

نعم لدي معلومات بهذه الكيفية تقول بأن الجهاد المصري هو من قام

بالإتصال بقيادة النظام السوداني طارحاً فكرة اغتيال الرئيس المصري، اعتقد في تلك الفترة دكتور حسن الترابي كان يعانى من اعتداء تم عليه من قبل شخص يدعى هاشم بدر الدين بكندا.

8

تنحنح خالد العمرابي وأرخي جسده الرياضي على المقعد بعد أن اطمئنّ نوعاً ما لوجودي أغمض عينيه في خشوع بائن خرج صوته واثقا هذه المرة

- والله ما متأكد بالضبط ولكن المعروف لدي أن الجبهة الإسلامية القومية في بدايات سيطرتها الأولي على الحكم كانت لها أهداف وطموحات كبيرة،..

سكت لبرهه ثم أشاح بوجهه عنا ناظرا إلى سقف المكتب وقال: -

كانت الطموحات والأحلام تنادي بدولة أقرب إلى الإمبراطورية العثمانية وتكون عاصمة الخلافة بالسودان،

استدار خالد ناحية مختار وتحدث بهمس هذه المرة قائلاً :-

طبعا الكلام دا أدي إلى تقاطعات عرقية عظيمة ففكرة الخلافة نفسها كانت مبنية على بعد عروبي الأمر الذي أدي إلى أن تظهر عدوي العنصرية وتستفحل داخل تنظيم الجبهة الإسلامية بصورة كبيرة فوجود خليفة للدولة الإسلامية يحتم أن تكون جذوره العرقية عربية.

قاطعه مختار بعفوية: - ودا المحك الوقعت فيهو الحركة على ما اعتقد وكانت المشكلة الكبرى بعد مقتل الزبير نائب الرئيس والبحث عن نائب أخر.

رفع ود العمرابي راسه مندهشاً : -

بالضبط كدا لقد كنت شاهداً على الخلاف الذي نشب عندما رشح شيخ الترابي علي الحاج نائبا للرئيس ورفضه عدد من رموز النظام ليس في شخص المرشح ولكن للبعد العرقي الأمر الذي أدي إلى ترشيح شيخ علي عثمان في النهاية.

جحظت عيناي في هلع مما أسمع مقتل الزبير وهل قتل الزبير أم توفي في ذلك الحادث الشهير بسقوط الطائرة، وكيف لتلك الأحداث التي تنم عن عنصرية تنمو

في جسد تيار إسلامي؟ وما علاقة الترابي والبشير بمحاولة إغتيال مبارك يبدو أن هنالك الكثير من الأسئلة تحتاج إلى إجابة حتى استوعب هذا العك، هممت بطرح تلك الأسئلة إلا أن خالد واصل حديثة الهامس: -

- نعم كنت مشاركاً في رسم كثير من التفاصيل في تلك الفترة ومع الأحداث علمتُ بأن نفس فكرة تصفية الرؤساء والقتل كانت مطروحة من قبل علي نظام الخرطوم فقد قدم تنظيم النهضة الإسلامي التونسي مقترحاً بقتل زين العابدين بن علي ولكن بعد فترة تم التخلي عن الفكرة من قبل التنظيم نفسه تحديدا عندما وصل راشد الغنوشي للخرطوم، كنت الحارس السوداني الخاص بالدكتور الغنوشي وفي نفس الوقت كنت أعمل علي التجسس ونقل أخباره والرصد الكامل لكل حركته فقد تمت زراعة كاميرات مراقبة وميكرفونات تسجيل الصوت داخل سيارة وغرفة أمين عام حزب النهضة التونسي، وفي تلك الزيارة التي قام بها الغنوشي إلى الخرطوم قادماً من فرنسا قابل بعض أعضاء حزبه وبجناحه الخاص بفندق الهيلتون كان هنالك أقوي اجتماع للحزب التونسي اليميني آتي صوت الغنوشي من خلال التسجيل الصوتي غاضباً من أعضاء حزبه وهو يقول :- (لقد نمى إلى علمي بأنكم تفكرون في قتل بن علي)

كانت اللهجة التونسية عصية لنا في بداية الأمر وكأن الغنوشي كان يرتجف من الانفعال فملامح الصوت كانت تحمل كثيراً من التقطيع والتوقف لبرهه (ألم تفكروا بالمصير الذي سوف يلحق بإخواننا في تونس من قبل العسكر في حال فشل العملية وهل تتوقعون أن تترك فرنسا أو الجزائر الأمر يصير بهدوء في حال نجاح العملية هكذا وبسلام،. ....)

أخذ صلاح قوش يستمع إلى التسجيل باهتمام بالغ وتركيز شديد ويشعل سيجارة تلو الأخرى بعدها نسخ التسجيل لعدة أجزاء وقام بصنع تسجيل مبتور كنت أتابعه بهدوء وأقوم بتنفيذ ما يمليً على بالنص بعدها أخذ التسجيل المبتور لجزء من التفاصيل وتحرك نحو مكتب نافع علي نافع مدير الأمن في ذلك الوقت، ومن حينها لم أسمع بالمقترح هذا مرة أخرى ولكن من المرجح أن قيادة الأمن السوداني اجتمعت مع حزب النهضة ممثلة في راشد الغنوشي وتم نسي الأمر تماماً.

9

يقف علي عثمان محمد طه مرحباً بضيوفه الشيخ مصطفى حمزة والشيخ عزت ومعهم شخصيه أخرى مصرية صافحه علي عثمان بكنيته شيخ سراج وهو (حسين أحمد شهيت)، الساعة بتوقيت الخرطوم تشير إلى الثالثة صباحاً صالون علي عثمان بفيلته بالمزرعة الخاصة بضاحية حلة كوكو نافع علي نافع حاضر قبل ساعة ونصف يدخل أسامة عبد الله ويشير إلى خالد العمرابي القادم مع شيخ مصطفى بالرجوع إلى نهاية الصالون لإجراء بعض الترتيبات.

يجلس ابراهيم الاسم الحركي لمصطفى حمزة والضيفان الاخرآن على المقعد المقابل لنافع بعد مصافحة الأخير لهم ببروده المعتاد، جلس الجميع علي المقاعد الوثيرة دخل أسامة عبدالله يحمل ملفاً ضخم وجلس بعيداً علي الكرسي المقابل للمكتب، لم تمضي لحظات حتي كان البشير الرئيس السوداني بجلبابه الأبيض وعمامتة المطرزة داخلاً على الجميع مصحوباً بحرسه الخاص وقف جميع من بالمكتب مصافحين، كان وقوف علي عثمان غير مكتمل فما ان مدّ الرئيس يده مصافحاَ له حتي جلس علي عثمان يسحبه من يده ليجلس بالقرب منه مواجهاً للشيخ المصري والضيفين كان الاجتماع مهماً بضمه لتلك الرموز من قيادات البلد، في هذه الأثناء تقدم أسامة عبدالله حاملاً فايل كتب عليه باللون الأحمر سري للغاية انحنى ناحية علي عثمان أولاً يستشيره ببعض التفاصيل في الملف ونظرات البشير تتابع ما يجري وعلى شفتيه ابتسامة تحتار في تفسيرها.

ومض فلاش ساطع إثر لقطات من كاميرا كانون كانت بيد خالد العمرابي توثق لهذا الحدث، تناول علي عثمان الملف من أسامة عبدالله وأخذ يقلب في الأوراق وسط نظرات نافع وبسمات البشير.

(الهجرة) كان هذا اسم العملية التي هدفت إلى اغتيال الرئيس المصري وقصد من التسمية هي هجرة أصحاب الرسول الأولي إلى أرض الحبشة، نظر علي عثمان

إلى نافع وهو يشير إلى تكاليف العملية مستدركا عن الرقم تحرك نافع حيث يجلس الشيخ ومال بجسده نحوه وهو يهمس بعد أن ركز نظره على جملة تكاليف الاستعداد للعملية.:-

- نعم،.. نعم هي بالضبط مليار ونصف دولار أمريكي

نظر علي عثمان إلى البشير الذي ظل محتفظا بتلك الابتسامة الهلامية وهو يقول :-

- اعتقد انو العملية تكلف كتير سعادة الرئيس.

هز الرئيس برأسه وهو يمد عنقه إلى حيث التفاصيل على الملف وقال :-

- بس مفترض الناس تأخذ حذرها ويتم التطبيق بصورة صحيحة

جلس نافع على مقعدة وهو يرمق البشير بنظرة استخفاف وقال ساخراً كل شيء على ما يرام حضرة الرئيس التكاليف دي تشمل الاستعداد وتدريب المجموعة المنوط بها تنفيذ العملية وكامل العتاد لهم، وفيها احتياطي لأي طارئ يحدث على حسب ما تم رفعه لنا من قبلهم.

هنا تحدث مصطفى حمزة وعلي وجهه علامات الجدية: -

- كل المجموعة جاهزة الآن وهي رهن الإشارة للوصول إلى الخرطوم وكلنا أمل في تحقيق غاية الله تعالي في إعلاء شأن الإسلام وبالأخص بعد تلك البُشريات ببدء الجهاد في بلاد الكفر أمريكا.

هنا رفع نافع رأسه في هلع ونظر سريعا إلى علي عثمان فقد كان يخشي ان يسهب الضيف في شرح تلك البشريات ونوعيه العمليات الجهادية التي كان مقرراً لها أن تكون في الولايات المتحدة الأمريكية فهى في طور التخطيط والتداول.

قاطع مختار الأمين حديث خالد مستفسراً عن ماهية تلك العمليات الجهادية التي أشار إليها.

تنهد خالد العمرابي وهو ينظر إلينا ثم قال :-

- أعتقد أن مصطفى حمزة كان يشير إلى عملية تفجير مبنى التجاري العالمي الأولي والتى كانت في فبراير 1993.

واصل العمرابي سرد بقية تفاصيل الاجتماع قائلاً:-

- ابتسم علي عثمان في خبث حقيقي فقد كان يعلم علم اليقين أن البشير لن يلاحظ إلى مثل هذا الكلام وخاب ظنه، فقد ارتسمت علامات الدهشة علي وجه الرئيس وسرح قليلاً ثم قال محاولاً إخراج صوته بثقة تنم عن فقدانه لها...

عن أي عملية تتحدث شيخ مصطفى ؟؟

وفجأة وقف علي عثمان مخاطبا الرئيس في أمر مباركة المبلغ والتجهيزات لعملية الهجرة وتدخل أسامة عبد الله سريعا معطياً خلفية كاملة له عن أوجه صرف مبلغ مليارونصف دولار أمريكي لاغتيال حسني مبارك، استدرك الرئيس الأمر ورسم على شفتيه نفس الابتسامة الأولي وصمت ناظرا إلى أرض المكتب.

10

طرقات على باب مكتب خالد العمرابي الذي صمت فجأة متوخيا حذركادر أمنى قديم وصاح بصوت خافت

نعم منو. ؟

جاء الرد من خلف الباب :-

- تهاني الشاي يا شيخ خالد

تحرك خالد من مكتبة صوب الباب واستعدل مختار الأمين على الكرسي استلم العمرابي صينة الشاي بعد فتح باب المكتب نصف دائرة تمنع النظر لداخلة وأغلقه خلفه مرة أخرى وضع خالد أكواب الشاي على المنضدة.

مختار: -

- دي معلومات خطيرة يا خالد هل تشك بأن للنظام في الخرطوم يد في حادثة تفجير مركز التجاري العالمي الأولي

ارتسمت الدهشة على وجهي مرة أخرى فلم أكن أعرف حادثة لهذا المركز إلا تلك الموثقة بما يعرف بأحداث الحادي عشر من سبتمبر

تربع ود العمرابي على المقعد المقابل للمحامي بعد أن ترك الكرسي الدوار على مكتبة وناولني كوب شاي بالنعناع وهو يقول تفضل دكتور مرتضى ومن ثم استدرك سؤال مختار له فقال بعفوية :-

- ليس مستبعد احتمال.....! ليس لدي معلومة مؤكدة بهذا الشأن عزيزي ولكن الذي على يقين منه فمنذ أن دعا دكتور الترابي للمؤتمر الشعبي العربي الإسلامي في العام 1991 في الخرطوم أصبحت تلك المدينة مكمن لأسرار الكثيرين

ومحطة تنطلق منها جميع العمليات الجهادية باسم الإسلام في كل العالم.

مختار مقاطعا حديث خالد وملتفت ناحيتي :-

- عندك معلومة يا مرتضى عن المؤتمر دا،..؟

نظرت إليه وقلت خجلاً : -

- انت عارف أنى بعيد تماما عن كل الأحداث ماعدا الفترة الاخيرة أصبحت مهتما بالعمل السياسي بصورة مباشرة!!

قال مختار موضحا لي: -

- المؤتمر العالمي الإسلامي دا نجرة كدة من نجرات الترابي دعا ليهو بعد خروجه من الحبس وبداية التمكين للنظام في السودان الفكرة منو كانت توحيد المجاهدين والعناصر الإسلامية الأخرى بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي من أفغانستان ودخول الجيش الأمريكي الخليج العربي فيما يعرف بحرب الخليج الثانية بالعراق، واعتقد انو هو بديل لمنظمة المؤتمر الإسلامي والتي تسيطر عليه المملكة العربية السعودية.....و....

هنا تدخل خالد العمرابي مؤكد حديث المحامي الذي تناول كوب الشاي وارتشف منه رشفة عميقة بتلذذ بعد أن تفل كرة التمباك التى على فمة داخل سلة القمامة تحته

المؤتمر كان في الخرطوم ثلاثة ولا أربعة أيام في شهر أبريل على ما اعتقد سنة 1991 انت عارف يا مختار كان عدد الحاضرين إلى الخرطوم كم،. ....؟

وضع البدين كوب الشاي فارغاً على المنضدة والبوخ يهرب منه وأشار براسه نافياً معرفته بالرقم، تساءلت بيني وبين نفسي كيف يتسنى لهذا البدين أن يتناول سائلاً بهذه الحرارة حتى ولو كان كوباً من الشاي.

واصل خالد حديثة: -

- تصدق يا مختار عدد الحضور فوق 500 شخص من 45 دولة يومها

اكتظت الخرطوم بالمجاهدين الأفغان كوادر الإسلاميين وحزب الله وعدد من القوميين العرب.

توقف خالد عن الحديث سارحا في أمر ما وفجأة نهض وتوجه إلى مكتبه وتصفح الفايل الذي أمامه باهتمام زائد وسط نظرات الفضول بيني وبين مختار، توقف نظر كادر الأمن الشعبي على مجموعة من الأوراق صفراء باهتة مرصوصة بعناية مطبوعة بالألة الكاتبة كان من الواضح أن الأوراق قديمة فقد بداءت تتكسر أطرافها من هروب الرطوبة تحدث خالد بعد صمت وعيونه تتابع الوثيقة بين يديه وعلى نبرة صوته شيء من التوتر :-

- نعم هنالك علاقة قوية ما بين تفجير مبنى التجارة العالمي في العام 93 وما بين المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي والذي عقد في الخرطوم مرة أخرى في ديسمبر 1993 ومؤتمر ثالث في العام 1995 في مارس وأبريل.

نظرت إلى مختار الأمين مستوضحا الأمر إلا أن خالد واصل حديثة بنفس الاهتمام بعد أن أخذ الوثائق ووضعها على جهاز التصوير ونسخ منها عدة نسخ استلمت أنا والبدين نسخة بعد أن جلسنا بالقرب من بعض أخذ مختار الأمين يطالع الأوراق أمامه ويتفحص الحروف بعين خبير وصوت خالد يتحول من اهتمام إلى انفعال :-

- لماذا لم أدرك هذا الأمر في حينها، فعلي هامش المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي في سنة 91 كان الترتيب لهذه العملية لا بل لكل العمليات الجهادية في العالم أنظر إلى الوثيقة أمامك، كانت الوثيقة عبارة عن محضر أمني يحدد القادمين ويصفهم بالمجاهدين.

وصل إلى مسامعنا داخل المكتب المغلق صوت آذان العصر فارغا من التقوى تحسس خالد العمرابي منظاره الطبي ووقف منهياً الشوق لمعرفة بقية الأحداث التي رسمت تاريخ الوطن رمادا.

١١

سيدي.

356 يوما وليلة.

الحُزن مُسْتلقي بتكدُس.

والفرح إتسع بمقدار شهقة.

حاول قلبي الولوج عبرها.

فأُلجم من الخاصرة. !!

لطالما اختالت طواويسي.

وتبجحت إلا أجمل من أيامي معكْ.

والّا أحد يُثرثر داخلي غيرك.

وشهِدتْ لك دواخلي بالوحدانية.

ولكنّي رأيتُ نساء الشكِ تخْرُج من شُرفاتك.

متشحات بالغواية.

وقد صبوت اليهن

القهوة في غيابك.

تملصت من ثوب الكيف...!

وخلعت عباءة المزاج.

ورقصت عارية في قاع الفنجان.

لأشيء يسترها غير.

ماء،، ....وسكر..

كاد النص يضرب رأسي بحروفه المؤلمة تلك وصورة صاحبة الكلمات مازالت في خيالي كما رسمتها لا أدرى ماهي مناسبة القصيدة ولكني شاهدت الألم الساكن في بيوتها خناجر تطعن في حياتنا العدم نهضتُ من على فراشي الساعة تشير إلى الرابعة صباحاً بتوقيت الضجر أشعلت سيجارة برنجي، رأسي يكاد ينفجر احتاج إلى فنجان من القهوة فقد تركت الشرب منذ زمن طويل جدا واستعنت بالقهوة في صراعى مع الإدمان..

القهوة في غيابك.

تملصت من ثوب الكيف...!

وخلعت عباءة المزاج.

ورقصت عارية في قاع الفنجان.

لا شيء يسترها غير.

ماء،، ....وسكر

لماذا تداهمني تلك الكلمات!،، لماذا هذا النص تحديداً ارتشفت من قهوة الغياب رشفة الشجون ارقص عارياً علي أنقاض ما تبقي من وطني، لم أكن أرغب أن تكون إجازتي بمثل هذا السوء نزلت إلى السودان بعد انقطاع خمسة وعشرون عاماً من أجل أن ألتمس ذكرياتي ومغامراتي الجميلة علي أزقة أمدرمان وجامعة الخرطوم فأجد نفسي مغموسٌ حد النخاع في السياسة - مختار الأمين أيها اللعين ماذا فعلت بي - كنت أعلم بأن الجهل وطن والوعي بالأحداث في بلدي منفى فأنا الذي اختار المنفى، ما كل هذا الأرق كنت اعتقد بأنني سوف أتعافى منه بمجرد

وصولي إلى أمدرمان لا شيء يؤلمني أكثر من حملي على التفكير، ما هذه الحياة البائسة ليتك سجدت يا إبليس وكفيتنا مرارتها، مازالت كلمات النص تدك أذني، سمعت هذا النص قبل سنوات أرسلته لي صديقتي تيسير الشاعرة، كنت متعاطفاً مع النص درجة الاحتضان والهمس معه لا أذكر مناسبة النص ولكني وجدت نفسي في غضون أيامٍ من الارق والسهر مردداً حروفه مجتراً ألمه مبعثراً ذاتي مع انفعالات القافية، فقد كان يحكي ألم وفراق وأي ألمٌ أشد من الاغتراب والهجرة عن وطن، مضت أيامي ما بين جدب وعمل، صحراء قاحلة من الانفعال العاطفي حتي نزواتي تركتها بعيدا وأغلقت عليها بمحبس الخوف تركت الشرب وتركت الدين أيضاً أصبحت بلا روح في بلاد قصية يحتل اللون الأبيض جزء كبير من تفاصيلها، البرودة التي تضرب في أحشائك فتفقدك معني الصبر، كانت سنوات أكاديمية فقط بكل المقاييس ضاع ربيع عمري مع سنوات جفاف وتصحر الوطن، ترعرع كُره عظيم داخلي اتجاه طارق الجعلي وزمرته لقد طمسوا عقولنا حتى جعلونا ننسي لذة الاستقلال، وعِزّة الحرية ؛ بل جعلونا لا نعرف كيف نحكم أنفسنا دون تسلط منهم ياإلهي ماذا فعلو بنا، تركت بقية فنجان القهوة على الطاولة وتحركت إلى هناك حيث بقية أجزاء الملف الذي نسخه خالد العمرابي ووقفت عند عملية برج التجارة العالمي الأولي تفحصت التقرير وغصت داخل التفاصيل.

12

العام 1991 والخرطوم تئن تحت وطأة الأناشيد الجهادية حالة من الهوس والهستيريا تكبل الوطن، مطار الخرطوم في احدي الليالي الشتوية الجافة من نفس العام تحط طائرة الخطوط الجوية السودانية رحلة رقم 4563 القادمة من بشاور باكستان يهبط رجل في العقد الثالث من عمرة يتدرج سلم الطائرة إلى الأسفل بجسد نحيل ووجه ملتحٍ وشعر فاحم مسدل تحت عمامته، وعينان لامعتين تدلان على ذكاء خارق تنعقد فوقهما حواجب كثيفة.. يرتدي جلباب عربي وعلي وجهه علامات الإرهاق، خطواته ثابته.

داخل الصالة كان في انتظاره أسامة عبدالله فقط تصافحا ببرود غير منطقي وتقدم الرجل معطيا جواز سفره السعودي إلى ضابط الجوازات الذي نظر في الاسم والصورة مقارنا إياها مع الشخصية التي أمامه ابتسم ضابط الجوازات مجاملاً صاحب الباسبورت بعد أن تأكد من اسم الشخصية تماما نظر إليه أسامة عبدالله وأومأ برأسه مشيرا له بإكمال الإجراءات نطق الضابط الاسم في سره أسامة بن محمد بن عوض بن لادن وختم علي جوازه السعودي بالدخول أخذ السعودي الجنسية اليمني الأصل ما يخصه وتحرك مع مستقبِله إلى خارج المطار.

أسامة بن لادن من مواليد 10 مارس 1957 – 2 مايو 2011 مؤسس وزعيم تنظيم القاعدة السابق؛ وهو تنظيم سلفي جهادي مسلح أنشِئ في أفغانستان سنة، 1988وهو مواطناً سعودياً حتى سحبت الجنسية منه في 1994، من عائلة بن لادن ذات الأصول اليمنية وبالتحديد من محافظة حضرموت ووالده هو الملياردير محمد بن عوض بن لادن. وكان ترتيب أسامة بين إخوانه وأخواته هو 17 من أصل 52 أخ وأخت. ودرس في جامعة الملك عبد العزيز في جدة. وتخرج بشهادة بكالوريوس في الاقتصاد ليتولى إدارة أعمال شركة بن لادن. ولقد قُدرت

ثروة عائلته بقرابة سبعة مليارات دولاروالتي استغل حصته منها لدعم المجاهدين الأفغان ضد الحرب السوفيتية في أفغانستان وهو الآن في الخرطوم منفِياً ومطارداً من قبل حكومته.

يتحرك أسامة عبدالله بالضيف إلى حيث أُمِر من قبل قيادته التي تكتمت على قدومه وبفندق الهيلتون بالخرطوم وبالغرفة رقم 405 بالطابق الرابع كانت أولى ليالي المجاهد الملياردير السعودي قبل أن ينتقل إلى فيلته التى اشتراها بقلب الخرطوم.

صوت رنين الهاتف يخرجني من تفاصيل تقرير خالد العمرابي عن أسامة بن لادن ومكوثه لأكثر من خمسة أعوام بالسودان، على شاشة الهاتف يظهر اسم مختار الأمين إنها العاشرة والنصف صباحاً

- الو عمت صباحاً أيها البدين.

يأتي صوت المحامي البدين مقهقها

- قلبت عبري ولا شنو يا دكتور.

ارتسمت علي وجهى ابتسامة خبث قديمة وقلت

- ما كنت زمان بتقول لي انت يهودي نسيت،. .

يضحك مختارويأتي صوته محملاً ببشارات طفولية

- عندي شخص عايز يتعرف عليك عن قرب دكتور وهو على استعداد لمقابلتك اليوم بعد أن حدثته عنك.

ارتسمت علي وجهي علامات التعجب!!!!

- يتعرف على أنا...؟

يرد المحامي باغتضاب :-

- ايوة اديك ليهو.

أسرح بعيدا في ماهية الشخص ومن يكون هل هو معرفة قديمة وإن كان، كيف يتعرف على.!

يأتي الصوت منسابا بموسيقى يأتي لحن هادي جميل لم أكن أتوقع إطلاقا أن تكون هي،.. لم يخطر ببالي نهائيا أن أراها مرة أخرى، نعم سامية أنثى السعادة في وطن الخذلان، امرأة من توقيت الفرح، كنت أراها وهي تتحدث على الهاتف المحمول أشاهد تعابير وجهها في ليله شديدة السواد كأنه قمر انقشعت عنه سحابة معتمة،.. امتلكتني الدهشة تماما ونسيت ما أقول.

- كيفك دكتور إن شاء الله بخير سمعت عنك اليوم كتير من أستاذ مختار مشكور علي تعاطفك الجميل معي ودعمك.

تسمرت مثل أبله لم أكن أعِ عن ماذا تتحدث وعن أي تعاطف تقصد فلم أكن متعاطفا معها إطلاقا في قضية زوجها بل كان بداخلي كُره غير محدود لطارق الجعلي فهو السبب في منفاي الاختياري، أدركت لحظتها أن مختار الأمين هذا الخبيث قد لعب لعبة قذرة بأن تحدث عني بهذه الصورة.

سمعت صوتها كأنه رجاء :-

- رأيك شنو نتقابل في مكتب أستاذ مختار بعد ساعة...؟

خرج صوتي مبحوحا هذه المرة وقلبي يرقص طربا للقاء بطعم الوطن سامية أنثى من شجن الإحساس، يداعب جسدي خدار لذيذ أنثى بنشوة الشاتو لافيت وبطعم الماساندرا شيري، سامية أنثى ومن اللقاء الأول تستطيع أن تفعل بك ما لا تستطيع أقوى أنواع الخمور العالمية أن تفعله قلت :-

- ممتاز سيدتي لقاءنا بعد ساعة

انتهت المحادثة وظللت لبرهه ممسكا على الهاتف غير مصدقا النداء، أن حَي على اللقاء، إذن بعد ساعة من الآن يكون الوطن مترامي بجغرافية مليون جرح نازف من الأمل.

تركت أوراق خالد العمرابي مبعثرة على الطاولة وخرجت مهاجراً لإمرأة أريدها

ولم تكن هجرتي لوطن أو قضية كانت إلى أرض الحبشة التي بها ملك عادل لا يظلم في حب النساء أحدا.

خرجت من المنزل بتوقيت العشق الممنوع، وفي نفس التوقيت قبل سبعة وعشرون عاماً كان هنالك لقاء في الخرطوم على هامش المؤتمر العربي الإسلامي كان اللقاء مكتوى بلهب الشهادة والدين وتجسدت الحروف من على تقرير خالد العمرابي الذي على الطاولة أشخاص بلحم ودم.

13

لم يكن قدوم أسامة بن لادن إلى الخرطوم صدفة بل كان دعوى قدمتها له أعلى سلطة دينية ممثلة في رجل على مشارف الستين، ثائر يشبه الأمام الخُميني يُدعي دكتور الترابي وبفيلا بن لادن بحي الطائف بالخرطوم كان لقاء الشيخ الثائر بالمجاهد العربي كان لقاء العشاق كلٌ في هيامه المردود من يعشق قضيته ومن يعشق سلطة سخر لها جُل وقته.

اعتلى شيخ الترابي بحذائه الأبيض وجلبابه الذي يضاهي المزن ويعكس الدجُنة السوداء على الوطن تحت حكمه، اعتلى الدرج وصولاً إلى حيث يقف أسامة بن لادن مرحباً به، الساعة تشير إلى التاسعه إلا ربع صباحا بتوقيت الخرطوم وبعربية فصيحة مصحوبة بلكنه سعودية رحب المجاهد السعودي بضيوفه :-

- السلام عليكم ورحمة الله،.. السلام عليكم،.. هلا،.. هلا

ومن خلف ابتسامة ساخرة رد العجوز

- آآآآآآ السلام عليكم مرحباً بكم في دياركم أنتم ضيوفنا.....

هكذا هو الترابي يرد الصاع بكلماته الساخرة فلست في وطنك حتى ترحب بي بل أنت ضيفي هذا ما يريد أن يقوله...

كان اجتماع غير معلن بصالون بن لادن دغدغ فيه الترابي طموحات الشاب المجاهد، ضم الاجتماع عدداً من رموز النظام على رأسهم الترابي وعلي عثمان ومدير جهاز الأمن والمخابرات نافع ونائبة قوش وكان من بين الحضور عصام الترابي الذي تربطه علاقة صداقة قوية مع أسامة للتقارب العمري علي ما يبدو.

يومها أثني المجاهد الشاب على السودان والسودانيين وقال :-

- السودان كسائر دول العالم الثالث كان في الظل، إلى أن بدأ بتطبيق الشريعة الإسلامية ولذلك يستهدفونه.....

ورد عليه شيخ الترابي بأن قوي الاستكبار تريد تركيع الإسلام انظر ما يحدث في البوسنة والهرسك وفلسطين،. .... يتخلل حديثه ضحكات تهكم واضحة،. .. الغرب لا يريد لدين الله وجود، العلمانية الكافرة تستشري الآن وكأنها سرطان لابد من استئصال الأورام الخبيثة وضربها في مقتل.

وهذا ما كان يرنو إليه بن لادن، الذى قدم إلى السودان مصحوباً بثروة طائله من أجل انفاقها في سبيل الجهاد، لم تمضي هنيهة حتي دخل إلى الصالون إثنان من مرافقي بن لادن، قام الشاب الثلاثينى بتعريف مرافقيه على شيخ الترابي والبقية/ صافح عبدالرحمن سعيد الحضور ومن خلفة كان رمزي يوسف بجسده الهزيل جلس الإثنان بالقرب من شيخ أسامة بعد تبادل التحايا وشرع الشيخ المجاهد في تقديم مقدمة بسيطة لقتال النصارى ومن ثمٌ عرض مقترحه لضرب قوي الاستكبار في أرضهم بأن تنقل المعركة من أرض المسلمين إلى أرضهم لاشغالهم في أمورهم.

وبعد مضي عام ونيف من تلك الجلسة وتحديدا في نهار الجمعة 26 فبراير 1993 وفي تمام الساعة 12:17 ظهرًا، اهتزَ مبنى مركز التجارة العالمي في مدينة نيويورك نتيجة انفجار كبير تسبب في وقوع خسائر بلغت قيمتها ملايين الدولارات، بالإضافة إلى مقتل ستة أمريكيين وإصابة نحو 1042 بجروح متفاوتة

وفي نفس التوقيت بالخرطوم كانت هنالك مجموعة تتابع ما يحدث بقلقٍ عميق، وبرسالة فاكس مبعوثة من فرنسا كانت إشارة إتمام المهمة الجهادية، خرجت بعدها تكبيرات خافتة من حناجر ذات لحي مكتظة.

- وكيف حال الإخوة هناك.؟

نطقها أيمن الظواهري في زيارته السرية إلى الخرطوم مخاطباً مهندس البرمجيات الباكستاني الأصل بفيلا بن لادن بالطائف....؟

- لم تصل معلومات بعد،. .

سرح بن لادن يومها وعلى يساره كان يجلس علي الحاج رسول الترابي وجاء خالد العمرابي مرافقاً لنافع علي نافع وعبدالباسط حمزة.

إذن فقد تم رد الصاع لقوي الاستكبار بعملية في قلب أمريكا.

خرجت من المنزل مع الهزة التي تركتها السيارة المفخخة فقد كان هنالك عبد الرحمن سعيد قبل أسابيع يعمل على تفخيخ شاحنة رايدر صفراء اللون بحوالي 606 كليو جرام من المتفجرات والتى تركها بمرأب برج التجاري العالمي.

تقرير خالد العمرابي يشير إلى أن الخرطوم ممثله في جهاز مخابراتها وأعلي سلطة بها علي علم تام بأحداث الخطة فقط تم إخفاء التوقيت عنها.

14

توقفت أمامي سيارة أجرة. يجلس في مقعد القيادة شاب يبدو أنه منهك ويعاني من السهر في صفوف الوقود أو لعله الإدمان، ابتسمت في وجهه وقلت: -

- عايز أصل السوق العربي عمارة الحرية.

لم تكن هنالك أي تعابير علي وجه السائق فقط رد وهو يمسح علي وجهه بتعب

350 جنية يا أستاذ.

لم أفاصله، فتحت باب السيارة المقابل له وارتميت سارحاً في تفاصيل التقرير وكيف عملت الخرطوم على تصدير الإرهاب للعالم في بداياتها، تركت الوطن وهربت إلى منفاي هارباً من جحيم سنوات قادمة كنت أظنها سوف تنتهي قريب وودعت كثيرا من الذكريات ورحلت، خمسا وعشرين سنة لم أحس فيها بطعم المرح حتى في بلاد الفرنجة لم تكن أمسياتي بهذه الروعة التي كنت أحسها بصحبة كوب شاي تحت ظل شجرة النيم التى بموقف الشهداء، وفي كثير من الآحيان كنت أحن بشوق حقيقي إلى إذاعة أمدرمان وبرنامج عالم الرياضية وصوت المذيع وهو يشير إلى بداية البرنامج.. .. ماذا فعلو بالوطن كيف انتهت كل تلك المعاني واستوطنه البؤس، نفيت من أمدرمان الحبيبة فطارق الجعلي وتنظيمه مزقوا كل ذكرياتي الجميلة مزقوا وطن واستوطن سرطان الهوس والجهل كنت احترق، لدي رغبة قوية في الانتقام منهم، وكأن الوطن مقبره تصيح لا تضعوا على الزهور فهذا وطن المحبطين، مازلت إلى الآن أتذكر أخِر لقاء لي مع شوارع الخرطوم وأمدرمان وهذا الاحتفاء الصغير من الأصدقاء متحلقين حولي مازالت تفاصيله مغروسه كرمح لم يقتلني فقط أصبح نزيفاً لا يتوقف طيلة تلك السنين، سرحت بعيداً فيما انقضى من عمري، رجعت أخيرا إلى الوطن محملاً بالآسى والإحباط والحزن القديم تمزقت كل ذكرياتي واشتعل الرأس شيبا بلهيب الألم، عدت إليك

يا أمدرمان بروح محطمة مشتتة ما بين طموحي الذي صنعت في بلاد الفرنجة وما بين أشجاني المعطرة برائحة الطين وضحكات الشلة ومغامراتي الجنسية، أصبحت مشتتاً كثير السرحان بين جُب الماضي وإحباط الحاضر، من أنا،. ... دكتور / مرتضى البكري الحاصل على زمالة الجراحيين الملكية بالمملكة المتحدة في جراحة التجميل والأسنان أول أفريقي عربي يعمل داخل مستشفى. (Great Ormond Street Hospital.) الملكي حصلت على الدكتوراه في رسالة تعتبر نادرة في طب وجراحة تجميل الأسنان، وماذا يعني كل هذا عندما تحس أنك بلا انتماء،. .. بلا وطن بلا قلب بلا حب،. ..بلا حضن، أغمض عينيّ في ألم،. .. الشوارع لا تخون،. .. الشارع نبض الحقيقة عبارات الثورة همس، والخيانة طابع النظام والنبض متوقف منذ زمن، السودانيون تركوا صلاة الفرض وتفرقوا لصلاة الحاجة ودعاء قضاء الدين تبعثرت ذكرياتي، لم أعد أطيق المكوث في بلدي وهذا الألم يمشي فيها برجلين، فكرت في اللقاء القادم والشيء الوحيد الذي أحببتُه سامية أنثى الأحزان والأرق،. . لا أدرى ما سر اهتمامي بها وهي أرملة طارق الجعلي لست صغير لأعرف ما بي اتجاه سامية.

يا للهول هل هو حب،. .. حب رجل تجاوز الخمسين وأي نضوج مع الهيام لقد وقعت في غرامها بل إنني على اقتناع تام بأن ما مر من العمر قبل مجيئها كان انتظاراً لها،. .خاطبت خيالها في يأس ورائحة مجاري عاصمة وطني تختلط مع صناح الباعة المتجولون حدثيني بالله عليك خبريني من أي صلصال تكوني لم أخبر قلبي عنك،. .. فهو يعلم صلاتي لك منذ أمد بعيد،. . ازرع تفاصيلك نوراً داخلي يضئ عتمة نفسي ويسند إحباطي ويفتح ألف باب للحياة، ماذا لو تجاوزت المنطق عندما أراك بعد قليل وتخطيت حدود تقاليدنا وخبرتك بما لدي من حب بعد أن ضممتك إلى صدري أؤمن تماما بمقولة أن من اخترع العناق أراد ان يختصر كثيراً من التفاصيل، وكنت أنوي اختصار كثيرٍ من التفاصيل سيدتى.

نعم أحبك حب رجل فارق الحياة يوماً بسبب زوجك،. ..... كيف لهذا اللقاء السريع أن يُفجر هذا البركان داخلي، خمسون سنة ونيف من الجفاف، صحراء نفسي تضاهي السنوات العجاف في هذا البلد وكيف نلتقي بعد كل هذه السنين من الحروب حرب الأجلاف الذين يتحكمون في مصير شعبي، مرّ عمري أمامي ومرت معه كل أحلامي وانتهت حياتي دون أن تبدأ إلا معك.

لم أفِق إلا علي صوت الشاب يقول لي:-.

- ياحاج دي عمارة الحرية،. .....

يا حاج توقفت عند هذه الكلمة وأنا أنظر إلى سائق الأجرة، وماذا لو علمت أن هذا الحاج غارقٌ في الحب، وهل للمشاعر سن،. .. أغلقت باب السيارة بعد أن أعطيت السائق أكثر من الاتفاق وتركته ينظر بدهشة إلى كرمي...

داخل مكتب مختار أشرقت شمس الحرية نورا من وجه سامية فكانت أجمل النساء في وطني،. . لها نفس تأثير موسيقى بتهوفن ونفس فعل القهوة الحبشية، سامية أنثى مخلوقة من طمي النيل، عندما دخلت إلى مكتب مختار كان تتحدث بصورة غاضبة لدرجة أن كل هذا تشكل على هيئة نقاط في وجهها فزاده جمالاً وإشراقا برغم الغضب، جهر بصرى من نورها وسُر داخلي بضيائها وقف مختار بجسده الضخم مرحبا بقدومي ومطلقا ضحكة ساخرة، هناك علي الأريكة تربع خالد العمرابي بجسده الرياضي الممشوق مرتدياُ زي قومي (علي الله) أنيقة كان من الواضح أن هنالك تأنيب من سامية لخالد فهو صديق شخصي لطارق وزميل له في التنظيم صافحتهم متعجلاً ومدُّدت يدي بيضاء من غير سوء اتجاهها نطقت اسمي بهمس وعلى شفتيها ابتسامة ناصعة وإن كانت ملامحها مازالت تحتفظ بذلك التأنيب.

يدها باردة لينة سحبت يدي بسرعة قبل أن تذوب أطرافها من حرارة اللقاء ماذا لو ارتميت علي صدرها أبكى يُتمي في وطني وأعلن الحداد لعلي أكون مطمئن الفؤاد.

لأول مرة أسمع اسمي بهذه النغمة، الأسماء تصبح غير عادية عندما ينطقها من نحب ثبتت نظرها على تتفحصني بطرف خفي، بعثرت أفكاري ماذا أقول، طارق الجعلي من أين لك هذا القلب لتترك كل هذه الأنوثة وتذهب مقبوراً إنها حكمة القدر عندما يريد.

جلست بالقرب من خالد العمرابي بعد أن مسحت عرق اللقاء منفعلاً. واصل مختار الأمين حديثة غير مكترث لحالى وربكتى الظاهرة قائلاً: -

يبدو أن الأمر أكبر من خالد العمرابي يا سامية القضية قضية تصفية صدقيني.

لا أدرى عما يتحدثون ولكن يبدو أن الأمر له علاقة بالتأنيب للعمرابي بحكم علاقته بطارق كما توقعت سابقاً تنحنح خالد بعد أن أرخي بصره إلى الأرض ترقرقت عيناه ثم أخذ في الانتحاب بصوت عالي وهو يقول :-

- كان الأمر في غايه الصعوبة. .كان من الصعب أن أعمل أي شيء لقد تفاجئت بتصفية طارق.

تكدر الجو فجأة وتوقف البدين عن التعليق حتى سامية أخذت الدموع تنهمر من عينيها وكأنها نبع لماء عذب، فتحت فمي في دهشة من المنظر أخذت أنظر إلى خالد العمرابي متساءلاً قلت بصوت خافت :-

- تصفية،. ..!!!!! كيف تصفية يعنى..؟

استدرك مختار الأمين الموقف وخاطب سامية: -

لم يكن زوجك طارق الجعلي الوحيد الذي تمت تصفيته في هذه العملية فقد سبقه عوض دكام والفنان خوجلي عثمان.... و.....

ماهذا عن أي إفك تتحدثون مقتل من ومن كيف هذا،. ....؟

15

ستتمنى أن يتشَبث بك أحد ما مثلي، لم أفلتك حتى ذابت حبالُ يدي، وطنى لما لفظتنا خارجاً دون وجعٍ وتركتنا نتوسل الحب والكرامة والثورة،. ..

جاء صوت خالد العمرابي مخنوقا من الألم كانت دموعه لا تتوقف تحدث بهمس وكأنه غائبٌ عن الوعي تماماً :-

- لم أكن أعلم بأن المشروع الحضاري سوف ينقلب على ابناءه كيف هذا؟؟ أيعقل أن يقتل من نادى معنا وجاهد لنشر المبادئ، أيعقل أن يقتل بسيف المبادئ ؟.

زفرات حرى تخرج من خالد، مختار الأمين ساهماً ينظر إلى فراغ المكتب سامية لم تكن هي، تمدّدت على المقعد سارحة في اللاشيء.

كنت متشوقا لرؤيتها والآن في شوق لمعرفة بقية التفاصيل!

يواصل خالد عرضحال القضية :-

- لم يكن زوجك سيدتي برئُ كما تدعين كان حقيراً بما يكفي، لذلك نال انتقام دعوة المظلوم ولم أكن أفضل حالاً منه فقد كنا نتبارى في الانحطاط، الأمر كله كان بأيديهم هم من خطط وهم من مول التنفيذ لم نكن إلا أداة -لعبة- عندهم وعندما فُضِح الأمر ذبحونا ذبح النعاج.

ولأول مرة يتحدث مختار بهذه الجدية متساءلاً :-

- من هم من الذين ذبحوكم يا خالد. ؟

اعتدل العمرابى في جلسته أخرج منظاره الطبي مسح عليه بمنديل ورقى وقال:-

- هذه الحقائق سوف تخرج منى لأول مرة نعم سوف أقول لن أخشي شيئاً بعد الآن. تمنيت ألموت من هذا الانتظار. الخوف والرعب ظلا داخلي طيلة تلك الفترة ما بعد المفاصلة كل طرقةٍ على الباب تحمل رصاصة، كل استدعاء تقف زوجتي بكماء خوفاً من عدم رجوعي وأضم اولادي مودعاً، إنه موت دون قتل، دون دم، دون مفارقة روح، أي أيام عشتها تلك كانوا يتفننون في إذلالي كل معسكر يشك بانتمائي للأخر.

كنت أعلم أن خالد العمرابي قد اتخذ طريقاً آخر لمواجه نفسه هكذا أيقنت عندما كنا وحدنا قبل أيام وتعري أمامي بنفس الانتحاب ولعل هذا سبب بغضه لي، رأيته ينظر ناحية مختار الأمين تغيرت معالم وجهه أصبحت أكثر صلابة وخرج صوته أكثر تصميماً :-

- تريد أن تعرف من خططوا ونفذوا ومولوا عملية محاولة اغتيال الرئيس مبارك.....؟

أومأ مختار برأسه إيجاباً وهو يقول :-

- أريد أن أتاكد فقط.

واصل العمرابي وأنفاسه تتلاحق

- نعم هم بيننا فمازالوا يتنفسون ويأكلون الطعام ويمارسون جنونهم واستعبادهم لنا يا مختار.

ارتجف جسد العمرابي بعنف وهو يقول:-

- شيخ علي عثمان هو من دبر وقتل.

كان من الواضح ان اسم علي عثمان يزلزل كيان العمرابي فالرجل ليس شيخاً إنما آلهاً لخالد، ثم ذكر اسم نافع علي نافع وأغمض عينيه ألماً. صمت خالد تماما وأخذ يرتجف بعنف، عندها تحدث مختار الأمين بعد أن أخرج ملفاً من أحد أدراج مكتبة وقال لخالد :-

- هون عليك ياعزيزي فأغلب المشاركين من قبل النظام في المحاولة تم

فضحهم من قبل الترابي إليك هذه الأسماء بالمواقع التى كان يشغلوها يومها فالتقرير الذي أمامي يقول بأن المدبرين هم:-

علي عثمان محمد طه_ ووقتها كان وزير الخارجية

ونافع علي نافع _ وكان يشغل وقتها مدير جهاز الأمن الخارجي.

الدكتور مطرف صديق _ نائب مدير جهاز الأمن الخارجي السابق،

العقيد نصر الدين محمد أحمد_ مدير إدارة العمليات بجهاز الأمن

دكتور عوض أحمد الجاز _مسئول الجناح العسكري بالتنظيم وقتها

المقدم صلاح عبد الله قوش_ مدير إدارة العمليات بجهاز الأمن الداخلي.

أتم مختار الأمين ذكر أسماء القيادات التى عملت على التخطيط لاغتيال مبارك مع الجانب المصري.

هز العمرابي مؤيداً صحة الأسماء ومواقعهم، خرج صوتي متساءلا ألم يكن الترابي من ضمن تلك المجموعة كنت مستغربا أن كل تلك الأسماء لم يكن من ضمنها العراب الأكبر للمشروع تجاهل مختار تساؤلي وشرع في سرد بقية الأسماء من الأوراق التى بين يديه وقال:-

- غازي صلاح الدين،.. وزير الدولة بوزارة الخارجية في تلك الفترة شارك في طمس آثار المحاولة بعد الفشل ولكن لا اعتقد أنه كان على علم بالتفاصيل الأوليه.

لم يرد خالد ظل صامتا ونظراتنا تتفحص ردة فعله تلك، مضت لحظات من الصمت بعدها مط شفتيه وقال :

- غازي صلاح الدين وقطبي المهدي والذي كان سفير السودان في إيران في ذلك الوقت جلهم كانوا من اهم المشاركين، فالعمليه لم تقتصر فقط على التخطيط بل حتى تلك المحاولات التى كانت بعد الفشل لطمس الحقائق تعتبر مشاركة يا مختار.

توقف خالد عن الحديث ونظرات سامية تتداخل مع نظراتى في محاولة لتفسير أكثرلتلك الأحداث.

16

الخرطوم مدينة الوجع الخرافي لماذا كل هذا الألم، ألا يكفيها ما حدث على أيدي الغزاة في سوبا بعد أن تم دك حضارتها دكا فأصبحت مثالاً للخراب، عن أي وطن نتحدث وما وصل إليه الحال الآن فعله كتشنر لمدة ثلاثة أيام فقط لعاصمة المهدي والآن امتد لثلاثون عاما من العذاب. ومن خلال دموع حارة خرج صوت خالد ضعيفا واهناً :-

- لم يكن طارق فقط من قُتل يآ سامية لقد نجوت أنا فقط من التصفية هل هي الصدفة وحدها لا أعلم.

ما لم يقله خالد العمرابي يومها بأن الجبن قد تلبسه وهو يجهش بالبكاء تحت أقدام سيده علي عثمان بأن يحفظ روحه وكأنه رب العرش وواهب الحياة، احترم الجميع دموع خالد العمرابي أرخت سامية نظرها إلى الأرض وهي ترى دموع القهر على مقل صديق زوجها كانت مندهشة من تلك التفاصيل التي يذكرها وكيف أن زوجها كان شريكاً في العملية وليس مغدوراً.

لقد كان حقيرا سيدتي صدقيني ووضيع هكذا خاطبتها في سري لم يكن بتلك الصورة التي كنتِ تتمنين بل أسوء مما قاله العمرابي خرجت من إجاباتي تلك على صوت خالد وهو يقول: -

- لقد تمت تصفيتهم بدم بارد، بعد فشل محاولة الاغتيال قتلوهم جميعا

سألت هذه المرة مندهشاً قتلوا من. ؟

أزاح خالد بنظراته عنا وكأنه يهرب منا إلى ذاكرته القلقه ارتمي هناك في جب الماضي البعيد وذكرياته الأليمة تطارده الكوابيس طيلة السنوات الماضية.

سمعت صوت مختار الأمين يأتي من بعيد نظرتُ إليه ووجدته يسند رأسه على يده التى على الطاولة ونظره إلى الاسفل:-

- انهم كثريا مرتضى كل من كانت له علاقة بمحاولة الاغتيال خلاف الذين ذكرتهم تم قتلهم جميعاً وبلا رحمة.

جحظت عيوني في هلع وأنا اسمع الأسماء لقد كانوا عصابة، نعم مافيا ليس تنظيماً.

واصل المحامي البدين :-

- كل من شارك في المحاولة الفاشلة تمت تصفيته بطريقة مختلفة ماعدا خالد العمرابي هو الوحيد الذي ظل على قيد الحياة ويمكن ان يعتبر شاهد ملك إذا حدث تغيير سياسي في السودان.

خرج صوت سامية هذه المرة حزيناً مرهقاً قالت مغمضة العينين :-

- قتلوا مَن خلاف زوجي طارق الجعلي.....؟

من خلف غيوم الدموع كان صوت العمرابي: -

- لقد كنت أنا والجعلي من الفاعلين الأساسين في تنفيذ في هذه العملية وبحكم عمل دكتور العجلى. بالوكالة الإسلامية للإغاثة في اديس ابابا كان هو الأكثر إطلاعا على تفاصيل العملية والمسئول المباشر في اديس ابابا لترتيب اوضاع المنفذين من تنظيم الجهاد الإسلامي لقد كان خطأ زوجك الوحيد هو اختياره لمعسكر الترابي بعد المفاصلة يا سامية هو ومحمد الفاتح يوسف كان زميل لطارق في الوكالة الإسلامية بعاصمة أثيوبيا لقد تمت تصفيتهم بصورة مريعة جعلت المشهد يبدو أقرب للانتقام ورسالة واضحة لكل من يحاول أن يفشي سر تلك المحاولة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد تمت تصفية تاج الدين بانقا محمد أحمد. .وأيضا قتل الملازم الطيب عبدالرحيم الذي كان يعمل بإدارة العمليات بجهاز الأمن الداخلي بصورة أكثر وحشية بعد أن قتل صديقه ياسر عبدالحفيظ..

نظرت ناحية مختار الذي أشعل سيجارة برغم معرفتي له بأنه ليس من

أنصار التدخين لقد كان مهموما حتى أن أطراف أصابعه كانت ترتجف لعل هول المعلومات التى يطرحها خالد العمرابي ضربت داخل جسده البدين، أطفأ ود الأمين سيجارته بعد أن سحب منها نفساً أخير وهو يقول:-

- لقد كان مقتل على أحمد البشير هو الأفظع ياخالد لقد تم إطلاق الرصاص عليه أمام زوجته وابنته.

ياللهول!! جحظت عيناي في رعب حقيقي وأي رعب هذا بالقياس مع تجربة طفلته وزوجته التى شاهدت الرصاصة تخترق جسده وترميه أمامها عاجزة حتى عن الصراخ أي قلب لهؤلاء!!

قاطع خالد مختار الأمين موضحا؛ -

- نعم لقد كان علي أحمد البشير رئيس لجنة التحقيق في المحاولة الفاشلة تلك فقد عينه شيخ الترابي، وهو أيضاً اختار أن يكون من ضمن الجناح المنشق عن القصر لقد كان من المؤسسين للتصنيع الحربي ولكل واحد من هؤلاء تراجيديا محزنه في القتل.

رفع مختار الأمين نظرة إلى خالد مخاطباً إياه :-

- ولكن أنت تعلم جيدا لماذا تم قتل خوجلي عثمان وعوض دكام، فليكن أُسُرد لنا تفاصيل مقتلهم أولاً وعلى حسب علمي لقد تمت تصفية الفنان خوجلي عثمان قبل فشل العملية على ما اعتقد، ولنتطرق لتصفية البقية لاحقاً عزيزي خالد.

وهذا ما كنت أريده كيف لفنان وطبيب أسنان أن يكونوا ضمن طالتهم كتيبة الإعدام هذه.

17

أخذ خالد العمرابى نفساً عميقاً وأخرج تنهيدة من أعماق صدره وسرح بعيدا كأنه يستعيد شريط ذكريات مرير قال :-

- كانت العملية تقتضي أن يتم زرع عدد من كوادر تنظيم الجهاد الإسلامي في المجتمع الأثيوبي قبل فترة طويلة حتى لا يثيروا الشكوك في وجودهم وبالفعل ذهبت الخطة كما نريد، كانت هنالك معضلة حقيقية وهي كيفية توفير بعض الأسلحة النارية للهجوم على الفرعون وكيفية إدخالها إلى أثيوبيا نعم تم إدخال جزء منها عن طريقة الوكالة الإسلامية للإغاثة وعن طريقة بعض الدبلوماسيين السودانين وتم تسليمها لأحد أعضاء منظمة الجهاد الإسلامي...مصري الجنسية يدعي صفوت حسن عبدالغنى. الذي ذاب في المجتمع الأثيوبي بزواجه من أثيوبية اسمها اببا، وبتمويل من الحكومة السودانية استطاع أن يعمل في مجال قطع غيار السيارات لم نستطيع إدخال بعض الأسلحة المهمة وقنابل القرنيت بالأخص بعد أن أخذ شك الحكومة الأثيوبية يزداد في طبيعة الشحنات السابقة الذكر وقد يؤدي هذا إلى خطر كبير على الدبلوماسين السودانيين الذين تم إرسال الشحنات عن طريقها، لذلك آثرنا السلامة وتم توفير تلك الشحنة من الأسلحة والتخطيط على أن تدخل براً إلى أثيوبيا،. ..

صمت العمرابي فجأة وتناول سيجارة من علبة البرنجى التي على مكتب مختار أشعل سيجارته وأخذ ينفث دخانها في فراغ المكتب احترمنا صمت الرجل الذي أخذ ينظر في الفراغ خلع منظاره الطبي ووضعه على المنضدة التي أمامه خرج صوته من هناك من جرح المؤامرة والخيانة والغدر كان واهناً عتياً، صوتُ حزين يحمل ألماً يفوق عدد رصاصات الغدر في صدور السودانيين منذ الاستقلال :-

- لاحت لنا فرصة لإدخال تلك الأسلحة بدون أن نثير شكوك السلطات

الأثيوبية فبحكم علاقتي باتحاد الفنانين وكنت ،. .المسئول الأمني عن تحركاتهم ورفع التقارير عنهم عرفت أن هنالك حفل لأحد الفانيين الشباب في العاصمة الأثيوبية اديس ابابا وكانت الفرصة سانحة لنا بإدخال ما نريد عن طريق الآلاتهم الموسيقية ورفعت تقريراً بذلك لنائب رئيس جهاز الأمن يومها قوش وتم إبلاغ طارق وسفيرنا باديس ابابا بذلك. تمت المباركة وتوجب علي التنفيذ، طارق الجعلي كان مقيماً بأثيوبيا بحكم عمله بوكاله الإغاثة الأفريقية وكان المسئول عن توفير الدعم المالي واللوجستي للمجموعة المصرية التى أوكل إليها التخطيط والتنفيذ واقتصر دورنا على تقديم الدعم كما ذكرت، كانت مهمتى تقتصر على إدخال شحنة الأسلحة هذه بنفسي ولكني اكتشفت أن الفنان الشاب يستخدم فقط آله موسيقسة واحدة (أورغن) في الغناء ومرة أخرى كان على أن أسرع في ترتيب الأمور ويومها كان هنالك اجتماع ضم كل من علي عثمان محمد طه ونافع علي نافع ومطرف الصديق والعقيد نصر الدين محمد وعوض الجاز الذي جاء متأخراً بعض الشيء هو وصلاح قوش مع مصطفى حمزة وبعض من أعضاء تنظيم الجهاد الإسلامي المصري وكنت أنا حاضراً لإطلاعهم على خطة إدخال الشحنة ومناقشة تكاليفها رتبت أموري بأسرع ما يمكن وعملت على أن يتم منع الفنان الشاب من السفر لأثيوبيا وفى نفس اللحظة اخترت الفنان خوجلي عثمان لبرنامج حفل في العاصمة اديس ابابا، فقد كانت تجمعني به صداقة قوية ففي فترة سابقة كنت عازف كمان بفرقته وأبلغت المجموعة التي في الاجتماع بمقترحي هذا سألني على عثمان :-

وهل تثق في خوجلي عثمان هذا،. .....؟

ترقرقت عينا خالد بالدموع وهو يذكر اجابته لشيخه علي عثمان

- نعم أثق.

خوجلي لم يكون على علم بما ننوي فعله إطلاقا. .

نظر الشيخ طويلاً إلى خالد وكانت على فمه ابتسامة لا تفسير لها ثم أشاح بوجهه مخاطباً البقية وكانت الرسالة موجهه إلى خالد تحديداً

تدرون ماهي تكلفة فشل هذه العملية،. .....؟

لم ينتظر الشيخ رداً من أحد ولكن عقد أصابع يده وفرد الوسطى والسبابة في إشارة واضحة لوضعية التصويب مع ارتخاء في عينيه التي بدأت كعيني ذئب عجوز وهو يقول :-

-Shoot to Kill

وأخذ ينظر إلى خالد بعيون كأنها الجمر، رفعت رأسي والعرق يتقاطر على جبهتي، ما هذا إنه تهديد واضح وكيف لخالد أن يغامر بصديقه خوجلي عثمان الفنان المرهف إلى هذا الحد فكثيرما صادفته على التلفاز خلف خوجلي عثمان ممسكا على الكمان طربا مع صوت الفنان،. ...

واصل خالد نفض الغبارعن تفاصيل المغامرة بعد أن ارخى جسده على المقعد تماما وأخذَت دقات قلبه تزداد عنفاً لقد كانت ذكري أليمه بحق.....

- نعم لم يكن خوجلي عثمان يدري بما نقوم به وحدهم العازفين أوبعض منهم على ما أذكرتم وضع الأسلحة وبعض المتفجرات داخل الآلات الموسيقية والحق يقال لقد أصاب هذا الفعل بعضهم بالخوف وحتى لا نثير الشكوك من ربكة العازفين فقد قمنا بتبديل عدد منهم برجال من الأمن الشعبي لهم هوايات العزف على بعض الآلات الموسيقية وقمنا بشحن الآلات كلها دفعة واحدة في طرد، كانت تلك العملية بدايات العام 1994على ما اذكرتمت العملية بنجاح وفي صباح اليوم الثاني كانت كل الأسلحة اللازمة لإتمام العملية بمنزل أحد أعضاء الجهاد الإسلامي صفوت حسن الشهير برابح تم استخراج جوازسفرسوداني لصفوت باسم فيصل محمد إبراهيم، قضي صفوت فترة بالسودان وخلالها تم وضع الخطة التى تقتضي دمجه بالمجتمع الأثيوبي وتم تسفيره على حساب الحكومة السودانية إلى أثيوبيا وكما أوضحت سابقاً بأنه تزوج من فتاة أثيوبية هناك، اقتصرت مهمة صفوت على التمويل واستئجار المنازل لعدد من جماعة الجهاد الإسلامى الذين أتو لاحقا إلى اديس ابابا، تدارك العمرابي حديثة وأخذ ينظر في وجوهنا نحن الثلاثة تماسك نوعا ما،

أشارات سامية براسها دلالة على المتابعة فقد كانت تريد أن تعرف قصة مقتل زوجها كانت على يقين وإلى وقت قريب بأن زوجها تم الغدربه والآن تغيرت أغلب

المفاهيم وانقلب حبها في الانتقام من القاتل إلى احتقار حتى للضحية، وهذا ما كان يسعد قلبي سيدتي فقد كنت اشفق عليها من هَم معرفة الحقيقة الغائبة وهل قُتل فرج فودة إلا عندما أعلنها، ليس مؤلما سيدة الحزن أن نمتلك قلبا قاسياً وذاكرة تُنسي، فزوجك كان له قلب قاسي وأنا وأنتِ كُنا نتشاطر قلبا طيبا وذاكرة لا تنسي فمهلاً أنثى العشق في زمن الجنجويد فالقادم أكبر من شجن الذكرى فالقادم كما نريد، انقطع حبل أفكاري هذا على صوت خالد العمرابي وهو يقول :-

- لقد حدث شيء مؤسف لم يكن يخطر على بالي فبعد أن أخذنا شحنة الآلات الموسيقية وقبل أن نقوم بتفكيكها في غرفة بالفندق الذي نقيم به دخل علينا خوجلي عثمان وشاهدنا ونحن نقوم باستخراج الأسلحة وبعض المعدات من داخل الالات الموسيقية فتح عيناه في دهشة، ثم صمت تماما لقد أصابة خرس وقتي وهو ينظر إلينا متساءلاً وعندما لم يجد جواباً خرج مهرولاً، كان أقرب لشخص مصدوم، وكأنه هارب من عقاب ما أو مرعوب من جسم غريب يطارده لحق به العازف عبد الكريم الشيخ ضابط بالأمن الشعبي وسحبه بقوة من يده وركله إلى داخل الغرفة وقع الفنان المرهف على أحد المقاعد في حالة من الهلع والذعر نظر ناحيتي فقد كنت الوحيد الذي يعرفه فكل الذين كانوا في الغرفة من منسوبي الأمن الشعبي كانوا أربعة بالإضافة لشخصي فقد كنت قائد تلك المجموعة.

18

وحين يكون الرحيل أمرا حتمياً حاولي أن تتركي وردةً سيدتي بدلاً عن جرح، سامية أنثى القهر كتيبة إعدام، أسلحة من نظرات العين لها فعل الرصاص، لها جسد قاتل، وأي خوف بعد أن أصبحت أعرف كل الطرق التي تؤدي إلى قلبك، وهل لرجل بلغ من الحب عتياً أن يخاف طريقاً كهذا فمالي لا أري إلا طيفها سامية،. .. سامية هتاف ثوري من أجل تحرير قلبٍ ظل مرتعاً لفساد الشهوات وعاهرات الطريق ونداء التضحية قادم من هناك عطبرةُ الحديد والنار تصدح باسمك أي خوف هذا الذى يجعلني لا أصل إلى قلب من أريد،. .

رأسي مثقل بالهموم، صباح يومٍ جديد بلا وطن مفقودا في خبايا الغيب، الشوارع لا تخون هل مازالت تلك المقولة راسخة الان!.

سيجارة البرنجي لها طعم الفقد لابد من قهوة لقد كان يوم أمس حافلاً بالمثير.

الماء يغلى ويغلى معه هدير الذكريات والحزن النبيل نعم لقد كان العمرابي يحكى لنا مرارة الوطن ومقتل خوجلي عثمان على يد مهووس، لم أرَ خالد في مثل هذا الضعف والانتحاب حتى أنه دخل في كوما سُكري قاتلة حملناه على أثرها إلى مستوصف النيل بالسوق العربي، لا أدري كيف وصلتُ إلى البيت لقد كنت مثقلا بالوطن، اعتقد أن مختار هو من قام بذلك نعم فقد كنت أسمع صوت سامية كأنه الخيال وأنا ملقى على المقعد الخلفي من التعب على سيارة مختار البيجو صوتها الملائكي يفوح بالثورة والتغيير كنت أسمع منها اسم مدينتها مدينة عطبرة ماذا في عطبرة.....؟

أخذت كوب القهوة وخرجت إلى الصالة ووضعته على المنضدة أمامي ووجهت ريموت التلفاز على أحد المحطات العربية الإخبارية.

ثورة الجياع انطلقت من عطبرة والجيش يحمى المتظاهرين

هكذا كان عنوان الخبر عن السودان.

يبدو أنها قد اينعت بقدومي سادتي.....

وضعت كوب القهوة جانبا وأنا في كامل أناقتي الحسية بالوطن، أخذت أدندن برائعة خوجلي عثمان

ما بنختلف درسني بس قانون هواك

بحفظ حروفو حرف

أول بشيل الضمة ديك

وأبري السكون حرف الوقف

وأكسر عيوني أمام عينيك

وأحفظ ملامحك بالوصف

أنا ببقي زي قيس زي جميل

أبكي وأجن أشكي وأعف

أخذت صورة الفنان تتجسد أمامي شيئاً فشيئاً وصوت خالد العمرابي يأتي من بعيد كأنه داخل جبِ سحيق وهو يسرد تفاصيل إغتيال خوجلي عثمان على يد مهووس.

سرحت بعيداً في تلك اللحظات وصوت داخلي يردد مقتل فنان... موت رسالة... هل هو قضاء وقدر الهي من السماء! فالإله في عرفنا هو الشماعة المثالية لتعليق خيباتنا في هذا الوطن، أخذت أردد نصاً لمظفر النواب لا أدري لماذا وما علاقة النص بمقتل خوجلي عثمان لعلنى كنت أخطاب سامية بإحساسي الخاوي،.

وَهَمستَ بدفء رئتيها الباردتين...

أيقتلكِ البردُ؟

أنا،.. .. يقتلني نِصفُ الدفءِ. وَنِصفُ المَوقِفُ أكثر

سيدتي نحن بغايا مثلكِ....

يزني القهر بنا.. والدينُ الكاذِبُ. والفكرُ الكاذبُ. .

والخبزُ الكاذبُ. .

والأشعارْ ولونُ الدَمِ يُزَوَّرُ حتى في التَأبينِ رَمادِياً

ويوافقُ كلُّ الشَّعبِ أو الشَّعبُ وَلَيسَ الحَاكِمُ اعْوَر

سيدتي كيفَ يَكونُ الانسان شريفاً

وجهازُ الأمن يَمُدُ يَديهِ بِكُلِّ مَكانٍ

والقادم أخطر

سيدي خبريني باسم الشعب كيف أكون وطنياً مخلصاً وجهاز الأمن يعبث بكل شيء داخلي.

هتف مختار الأمين مخاطباً العمرابي :-

يا صديقي،. . أرضنا ليست بعاقر كل أرض ولها ميلاد كل فجر وله موعد ثائر.

رد خالد متأففاً بعد أن أشاح بوجه للناحية الأخرى : -

المستبدون عبر التاريخ عزيزي يعكسون الحقائق ويزورون الأقوال لقد كان خوجلي عثمان يعرف أكثر مما يجب أو هكذا خيل لنا لذلك قتل.

وقف خوجلي عثمان مذعورا في الغرفة بعد رؤيته لتلك الأسلحة أخذته على جنب قلت له مهددا بأن هناك عملية تابعه لجهاز الأمن السوداني داخل الأراضي الأثيوبية ولا تراجع عنها الآن، وضعت يدي على فمه بقوة وقلت بصرامة :-

- يجب أن يصمت هذا، وأغمضت عينيه بيديّ أيضاً بقوة وخرج صوتي

أكثر صلابة ونغمض هذه أيضاً.

صمت الشاب الوسيم فلم يكن له في هذه الأفاعيل ولا تلك المغامرات صمت وأومأ برأسه إيجاباً وخرج فقط مذهولاً ومرعوباً.

مساء نفس اليوم كانت الشحنة في طريقها إلى أعضاء تنظيم الجهادي المصري كان التسليم بالسفارة السودانية بالعاصمة الأثيوبية، وصل امر اكتشاف الفنان للاسحة التي تم ذرعها داخل الالات الموسيقية الى الخرطوم تخوفت القيادة من فضح امرها وفشل العملية فعملت على اسكات الفنان تماماً.

خرجت من سرد خالد وأشعلت سيجارة أخرى وأنا أتمدد علي الاريكة التي بمنزلي واسترجع حديث العمرابي الذي أخذ يتعرق بشدة وهو يسرد بقية التفاصيل فبعد فشل اغتيال حسنى مبارك فى نهايات شهر يونيو 1995 إرتبك المشهد بالخرطوم وأصبحت الشتائم والمؤامرات هي سيدة الموقف فكان علي عثمان ومعه رهطة يعملون بجد لمحو كل خيط من الممكن أن يجعلهم في موقف محرج وبالأخص مع شيخ الترابي والذي استفاد من تلك الربكة كثيراً لتسديد سهامة القاتلة لخصومة داخل التنظيم.

رفع خالد رأسه إلى أعلى سرح قليلا كأنه يستجمع أفكاره ثم قال :-

- تم استدعائي بصورة عاجلة على إثر اتصال من مكتب على عثمان لتأمين ثلاثة من المشاركين الموجودين بالخرطوم وتم تكليفي مع بقية من عناصر الأمن بوضعهم في مكان آمن تحت المراقبة.

وضع العمرابي يده على جبهته وضغط بالسبابة والإبهام على صدغه يبدو أنه يعاني من صداع عنيف، أخرجت سامية شريط بندول ناولته له صب كوب من الماء وتجرعه مع الحبوب ثم واصل حديثة قائلاً :-

- كانت التقارير تصلنا من الأراضي الأثيوبية على مدار الساعة، فقد كان الأمر مختلفاً هناك بعد الفشل الكبير فالسلطات الأثيوبية يسيطر عليها الحرج من تعرض رئيس دوله مثل مصر لعملية اغتيال على أراضيها ولا تريد الاستعجال في اتهامات للسودان من الممكن ان يعود إليها بحرج أخر، هذا الأمر الذي ساعدنا

نوعا ما في التحرك لمحو آثار الجريمة أو هكذا ظننا، فقد وصل إلينا أنه في مساء يوم تنفذت العملية أعلن التلفزيون الأثيوبى في نشرة الاخبار التي كانت تبث في تمام العاشرة مساء باللغة الأنجليزيه بأن الرئيس المصري حسني مبارك تعرض لمحاولة اغتيال بعد خروجه من مطار بولى بواسطة مجموعة أرهابية عربية، لقد كان واضحا اتجاه السلطات الأثيوبيه في عدم التسرع باتهام الجانب السوداني، بل وقفت محايدة تماماً للاتهامات والأدعاءات المصريه بالإشارات إلى ضلوع السودان في العملية، حتي أن الصحف المحلية التى صدرت في الأيام التى اعقبت المحاولة كانت تقول بأن المنفذين للعملية ملامحهم عربية ويميلون للون الأبيض ولا يوجد من يحمل الملامح الافريقية بينهم، أخذت الاتهامات تنصب على بعض التنظيمات الإسلامية المصرية وتارة على منظمة حماس الفلسطينية،

قاطع مختار خالد وقال باهتمام واضعاً ملامح جادة على وجهه :-

- لقد صادف وجودي في أثيوبيا الحادث وكنت على موعد مع مرتضى أن نتاقابل في اديس.

رفعت رأسي مندهشاً، نعم كنت قد غبت عن السودان عدة سنوات ولم تكن لى رغبه في العودة وتواعدت مع مختار على أن نتقابل في يونيو بالقاهرة وليس أثيوبيا ولم افٍ بوعدي نسبة لظرف أكاديمي نعم،.. نعم.... لقد مضي زمن طويل على تلك الأحداث ولكن لم أكن أعلم بان في هذا التوقيت كانت محاولة الاغتيال، انقطعت بعدها مدة طويلة عن مختار وتواصلنا بعد حوالي ستة أشهر تقريبا ولم يذكر لى شيء خلاف لومه على عدم المجئ حسب الاتفاق، لم اتفق معك على أثيوبيا لقد كانت مصر، يا هذا هممت بالرد عليه إلا أن مختار واصل حديثة بنفس الجدية التى بداء بها :-

- تغيب مرتضى عن السودان فترة طويلة وكانت والدته شديدة القلق عليه تواصلت معه واتفقنا أن نتقابل بالقاهرة في تلك السنوات الأولي من عمر النظام كانت المعارضة السودانية تتخذ من اسمرا نقطة انطلاق لها المعارضة كانت باسم التجمع الوطني الديمقراطي بقيادة السيد محمد عثمان الميرغني ودكتور جون قرن نويت الخروج إلى اسمرا للالتحاق بقوات التجمع التى كان يقودها العميد عبدالعزيز خالد ولكن كل السبل اغلقت. لاحت فرصة الخروج من السودان

ولكن إلى القاهرة ومكثت فيها حيناً من الوقت وعن طريق بعض المعارف في الحزب الاتحادي تعرفت على مستثمر سوداني ينوي نقل نشاطة الصناعى لأثيوبيا لقلة المنافسة هناك والحوافز التشجيعية التى أقرها النظام الأثيوبي للسودانيين.

على الخطوط المصرية تحركت إلى أثيوبيا وأرسلت ايميل إلى مرتضى بأنني متوجه إليها فقد كنت في مهمة أنشاء مشروع تجاري هناك وذهبت مع أحد رؤؤس المال الوطني بتوصية من قيادي كبير بالمعارضة السودانية لبحث المسائل القانونية.

صمت البدين متناولاً جواز سفرة الأخضر من أحد ادراج مكتبة الأمر الذي شجعنى على الحديث :-

- نعم لقد تذكرت وجدت الايميل بعد أكثر من شهرين ولم أتشجع في الرد عليك فقد كنت أجري وقتها امتحانات اكاديمية يا صديقي.

انصت العمرابي وسامية لحديث مختار الذي أشار إلى فيزا الدخول للأراضي الأثيوبية يومها قال :-

- وصلت مطار أديس أبابا في نفس يوم الحادث 26 يونيو 1995

كنت استمع لتلك التفاصيل من مختار لاول مرة، لم يسردها من قبل تابعته باهتمام بالغ هذا البدين بطنه غريقة...

نزلنا إلى مطار اديس حوالى الساعه 12 ونصف ظهراً بتوقيت أثيوبيا أي بعد تنفيذ المحاولة بساعتين تقريبا كنت بصحبة عامر فشودة وتيسير الفاضل اذكر ان الجو كان رائعاً والأمطار تهطل بغزارة حتى ان تيسير قال لى :-

- الجن الأثيوبي سوف يكون له طعم خاص مع تلك الامطار

تهللت اساريري لحظتها وقلت

- بل الفودكا الروسية هي ما نبغي.

أشار عامر بيده ونحن على سلم الطائره الأثيوبيه التى أتت بنا من القاهرة

إلى طائرتين للخطوط الجويه السودانيه جاثمتين على أرض المطار بعلمها المميز، عرفت فيما بعد بأن احداهما كانت الطائرة التى حملت الوفد السوداني المشارك في مؤتمر القمه بقيادة رئيس النظام عمر البشير.

صمت البدين لبرهة ثم واصل وسط فضولنا لمعرفة التفاصيل من قلب الحدث حتى أن خالد بدا عليه اهتمام غريب لمعرفة أحداث مرت عليها سنوات واصل مختار حديثة:-

- كان بانتظارنا أحد السودانيين المقيمين باديس ابابا ويمتلك مصنعا للمياه المعدنية هنالك ويمت بصلة قرابة لعامر فشودة إلا أن عامر لا يثق فيه كثيرا هكذا أسر لى صافحنا المستقبلين بحرارة السودانيين عندما يتقابلون في الغربة صعدنا على متن سيارة مرسيدس 123 كانت من السيارات الحديثة في ذلك الوقت.

خرجنا من ساحة المطار التى لا تبعد كثيرا عن بداية مدخل المدينه والمناطق السكنيه، وكان أول تعليق من تيسير الفاضل على ما أذكر على حركة المرور فقد تمركزت عربات من الشرطة الأثيوبية على الجانب الآخر من الطريق تلزم سائقى السيارات للسير في اتجاه واحد، إذا كانت خارجه من المطار أو متجهة إليه، والجانب المغلق تحديدا هو الأيمن الذى من المفترض أن نسير فيه، وألذي عرفت لاحقاُ بأنه المكان الذى وقع فيه اطلاق النار

تمتم الأمين وهو سارحا يستجمع تلك الأحداث :-

- بعد سنوات رجعت إلى أثيوبيا وشاهدت المنزل الذي مكث فيه الإرهابين لقد كان على جانب من ذلك الطريق القريب جدا من المطار إذا فقد كان الأمر معداً بخطة مدروسة، قال مختار كلمته تلك وهو ينظر لخالد وأومأ الأخير براسه

وقال :-

- بأكثر مما تتصور لقد كانت خريطة المدينة بكل تفاصيلها تحت يد عدد من عناصر تنظيم الجهاد المصري تم وضع الخطط من خلال زيارات ميدانية متكررة على مدي أكثر من سنة وخلالها تم إعداد النقاط والتنفيذ

صمت العمرابي معطيا الفرصة للمحامي البدين ليسرد تفاصيل كان يدري بها، فقد كانت تصله في شكل تقارير مكتوبة، ولكنه الآن يري الجانب الآخر للقصة من رجل معارض لنهجه القديم واصل البدين بعد أن اشعل سيجارة ومد علبة البرجي لى بدورى تناولت منها واحدة ورفضت أن أشعلها أمام سامية خوفاً عليها لا أكثر.

واصل مختار حديثة. :-

- هل تصدقونى إذا قلت لكم انه حتى تلك اللحظه وبعد انتهاء العمليه وعودة مبارك للمطار ومنه إلى مصر لم نكن نعلم ونحن داخل اديس ابابا بالحادث ولقد سمعنا بتلك المحاولة فقط من التلفزيون الرسمي الأثيوبى الذي نعي موت عدد من الجنود الأثيوبيين جراء الهجوم ففى حقيقة الأمر حتى السودانيين الذين التقينا بهم داخل فيلا قريب عامر فشودة لم يكونوا ملمين بتلك الأحداث فالامور في أثيوبيا تجري عكس ما يكون في الخرطوم فالشعب الأثيوبي شعب غير فضولي ولا يتدخل في شئون الغير ولا يتبرع أي شخص منهم في الحديث عن امر لا يهمه لذلك كانت الأمور تسير على نحو عادى وبنفس الجدولة التى كنا نريدها، كنت بين الحين والحين أتذكر مرتضى كنت اتمنى مجيئه إلى اديس فهي تشبهه كثيراً وتخيلته معي نجوب شوارعها ونحتسي البيرة الأثيوبية ويغنى لنا بصوت عثمان حسين فقد كان بارعا في تقليد صوته ويجيد غناء قصتنا وشجن وايضا يجيد ترديد بعض الاغاني لفنانيين آخرين بارعاً فى استخدام العود.

نظرت الى سامية وعينها تحمل اعجاب حقيقي وعلى شفتيها ابتسامة رائعة، لا أدري لماذا تذكرت أحمد شاويش في تلك اللحظات وسرحت مع نغم الكلمات داخلى مفجراً ناراً للعشق والارق وصوت نغرشات العود بأنامل المغنى تحفر على وجدانى حرمان ظل يلازمنى طيلة حياتى

بتذكرك.....

وكت الكلام يصبح صعب..

والليل يودر في النعاس..

وكت النجم يتلالا زي عقداً بيضوي عليهو ماس..

أنا في المداين الضايعة ضايع لي زمن..

غريب عيون..

سرحان على الأرض الغريبة وبسأل الشوق عن وطن..

بسأل الناس عن شوارعاً فيها سافرت ومشيت

وعن كلاماً داير أقولو..

قلت فيهو وياما غنيتو وبكيت

وعن عيونك كيف بتصدح فيها أحلام الأماني

كيفن بتصبح لهجة تانية مع الأغاني

والسفر

خلاني اشتاق للسفر

لو ألقى لي خاطراً سمح

كان كلمة واحدة أقولها وتداوي الجرح

كان مرة في عينيك أنسي ومرة أقسى

ومرة ياخدني النعاس

وكت النجم يتلالا زي عقداً بيضوي عليهو ماس..

مع نهايات المقطع تلألأت أمامي سامية نجم هوي على قلبي، تجول بصري فيها، رفعت أهدابها ناحيتى وعليها ابتسامه تقتلنى عمداً، خالد العمرابي فطن إليها وارخي بصره سريعا تاركا لى المجال للتمعن وتبادل الود، دقات قلبي كالرصاص الذي هطل على سيارة الرئيس المصري إلا أن جسد سامية لم يكن مصفحا فقد استقرت داخلها رصاص هيامي فنزف دمها حباً يروي عطشي لقد كنت طريح الثري

مريضا بتناول أياما بل سنوات من الفساد العاطفي ساميه طبيبتي، كنت أشيّد نفسي كل حين فينهار جسدي فأعيد تشيّده مرة أخرى إلى أن انهرت تمام والآن سامية ترمم كل ما بداخلى، قلبي وحده يعلم ما أريد وعلى أحضان سامية بكيت وطنى وجرح البلد ينهش روحي، كل نهار دونك سامية خذلان يطرق قلبي وأبوابي، لم أعد أطيق المكوث زماناً مضي لكنى الآن بين جنبيك وطن يولد من جديد، تنحنح مختار الأمين وهو يناولني كوبا من الشاي الأحمر بعد أن وضع بقية الأكواب على المنضدة التى أمام خالد خرجت سريعا من هيامى وسامية يتضرج خدها خجلاً بعد أن فضَحَتها نظراتها، جلس البدين هذه المره على المقعد الذي أمامي مواصلاً حديثة الذي انقطع:-

- نعم لقد واصلنا عملنا بعد الحادثة وكانت أعمالنا وتحركاتنا اليومية عادية هل تصدقون مكثتُ في أثيوبيا لمدة شهرين ونيف لم ينتابني أدنى شعور بالهواجس أو القلق ولكن دائما ما كان يعتريني شك بأن نظام الخرطوم له يد في هذا الأمر وكنت أبوح بذلك لعدد من السودانيين أثناء تجوالنا ولكن لم يكن لدي دليل قاطع خلاف حس كادر سياسي يري أن نظام الخرطوم من السوء بان يشارك في مثل هذه الإثم العظيم، ركنت في النهاية غير مؤمن بأن هذا عمل أرهابى قامت به التنظيمات الجهاديه المصريه ولا علاقة للنظام به.

تناول مختار كوب الشاي أرتشف منه وهو ينظر في اللاشئ، يستدعى الذاكرة ليسرد أحداث مضي عليها حيناً من الدهر، تمتمت في سري هذه هي مصيبتنا الكبري تكمن في ثقافة المشافهة واستدعاء الذاكرة كيف لرجل مثل مختار الأمين أن يعتمد في سرد تلكم الأحداث على ذاكرته فقط ألم يجد الوقت ليكتب تلك التفاصيل ولو على سبيل المذكرات اليومية لعل بعض الامور الهامة سقطت من ذاكرته المريضة تلك فهو قد شارف الخمسين من العمر لم أكن في وضع نفسي جيد حتى أناقشة في تلك المسالة ولكنى عاهدت نفسي أن أكتب كل أحداث اليوم التى تمر على ويجب أن أكتب كل ما مر بي خلال إجازتى تلك، أصغيت مرة أخرى لمختار بعد أن استجمع الأحداث في عقله ونظراتى تتلصص على سامية، بين حين وحين كانت نظراتنا تتقابل تحكى الشوق داخلنا أيقنت بأن سامية تكن لى ودا ولكن ما مدى هذا الود، هل حب أم انهار واصلت الاستماع لسرد الأحداث :

بعد مضى شهرين تقريبا، يبدو أن السلطات الأثيوبيه قد تأكدت ومن خلال تحرياتها ومساعدة أجهزة الأستخبارات الدولية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بأن للسودان ضلع كبير في محاولة الاغتيال الفاشلة تلك، وفجأة أعلنت السلطات هناك قرارا يفضي بمغادرة المنظمات السودانية التى لها صلة بالسودان على نحو مباشر وغير مباشر خلال 72 ساعة تقريبا، ..

يومها سألنى عامر فشودة كقانوني ماذا يقصدون بالمنظمات ذات الصلة بالسودان على نحو غير مباشر....؟

كنت على يقين بأن النظام الدموي في السودان قد استغل علاقاته مع بعض المنظمات الإسلامية التى تنشط في افريقيا وبصورة خاصة أثيوبيا في تنفيذ هذا المخطط لذلك قلت له :-

- المقصود من ذلك المنظمات (الإسلاميه) التى كان يهيمن عليها السودانيون مثل منظمة (الدعوة الإسلاميه) والإغاثة الإسلامية.

ألقي مختار الأمين كلمته تلك ونظره يتحول إلى سامية التى رفعت حاجبها هلالاً. لم أتمالك نفسي فارتسمت على وجهى علامات الانبهار ليس من حديث ذلك المحامي اللعين الذي سرده لى للمرة الأولي ولكن من ذلك الجمال الذي أراه أمامي في شكل أنثي، واصل البدين الحكي كانت تبدو عليه ملامح الحزن :-

- لا أدري لماذا فهم الأثيوبيون أن المقصود من القرار هو كل السودانيين فقد كانت كارثة بالمعني الحقيقي للكلمة وليس المعني المجازي. لقد عانى الكثير من السودانيون بعضهم فقد روحه والبعض الآخر فقد أمواله وأملاكه أثر هذا القرار وتوفي عامر فشودة الذي أودع أموالاً طائلة في البنوك الأثيوبية هارباً من جحيم النظام في الخرطوم إلا أن الإنقاذ طاردته إلى خارج الحدود وقضت عليه تماماً.

تحول الحزن على وجه مختار إلى ألم يعتصر قلبه إلى أن فاضت عينه بدمع حار وهو يتذكر الرجل الذي انتهت ذكراه بموته إثر سياسات النظام الحاكم، استجمع مختار بعض قوته وخالد العمرابي أكفهر وجهه من تلك الأحداث هل كانت ممارساتهم إلى هذا الحد من القسوة لعله يسأل نفسه الآن كيف كان جزءاً من كل هذا.؟

يخرج صوت مختار مخنوقاً :-.

- كان لنا جار أثيوبى بالحي الذي نقطنه باديس ابابا صادفته صباح يوم ما بعد القرار بأيام قال لى :-

لماذا أنتم هنا حتى الآن؟

استنكرت سؤاله وقلت :- لماذا قلت هذا الكلام.

رد غاضباً :-

- ألم تسمعوا القرار الذى صدر من الحكومة بأن يغادر السودانيين جميعا خلال 72 ساعه؟؟.

يومها نظرت إلى من معي مندهشاً إلى هذا الحد وصل السودانيين بأن يُطردوا من كل الدول؟ لم يقف الأمر عند هذا فقد كان هنالك ماهو أشنع فقد شاهدت بأم عيني شرطي يقبض على عريس سوداني وزوجته في الطريق العام دون أي ذنب ساقهم أمامه كالنعاج ونحن نتابع مندهشين من معاملة الأثيوبيين تلك إلى أن جاء بهم إلى (ضابط) وقال له باللغة الأثيوبية..... ديل سودانيين...!

نظر إليه الضابط ثم نظر إلى العريس السوداني وزوجته التى تبكمت من هول المفاجأة وقال ماذا فعلوا....؟

فرد عليه الجندى بغضب هستيري : أقول لك سوداني فتقول لى ماذا فعلوا....؟ يومها لم نتمالك انفسنا فتدخلنا سريعا عاملنا الضابط ببرود لم يعتقل منا أحد تركنا وأمر الجندي بالانصراف.

صمت مختار برهه وهو ينظر إلى خالد ثم قال :-

- الأمر المثير للدهشة أن جُل المنتمين (للنظام) أو الذين كانوا مقربين منه للغاية بدأوا في تصفية أعمالهم إغلاق مكاتبهم وشركاتهم قبل أيام من قيام النظام الأثيوبى باعتقال السودانيين الأمر الذي ولد لنا إحساس بأنهم كانوا على علم بما سوف يحدث.

قاطعة العمرابي موبداً وهو يلوح بكلتا يديه :-

- أذكر أن شيخ على عثمان محمد طه وقد كان وزيراً الخارجيه في تلك الفترة سافر عدة مرات إلى أثيوبيا في زيارات سرية لم تكن معلومة حتى لبعض قيادات النظام بالخرطوم ولكن لطبيعة عملى التى ارتبطت بمكتب شيخ علي كنت أعرف مواعيد سفرة بل في مرات عديدة كنت أقوم بتوصيلة إلى المطار أو استقباله عائدا من أثيوبيا وفى احدي المرات إلى استقبلته فيها ظهر عليه بعض الإضطراب والقلق وعرفت بعد وصولنا إلى المكتب بأن الحكومة الأثيوبية قد أبلغته بوجود أدلة دامغة وبراهين قوية تثبت تورط الحكومة السودانية في محاولة اغتيال حسنى مبارك على أراضيها وبعد هذا الحديث كان هناك اجتماع عاصف بفيلا شيخ علي عثمان.

كنت أتابع حديث خالد ومختار باهتمام محاولاً تدوين بعض النقاط المهمة تناولت سامية هاتفها المحمول تنظر إلى شاشته لمعرفة المتصل قالت :-

- هذه عائشة الشريف المحامية يبدو أنها تحت العمارة الان.

لم أعرف الاسم ولكن تهللت أسارير مختار الأمين وهو يقول:-

- ردي عليها خليها تجي علينا.....

ردت سامية على الهاتف وأنا أنظر إلى مختار بتساءل عن ماهية عائشة تلك.

19

انتبهت إلى مراسل القناة الإخبارية وهو يسرد تفاصيل الاحتجاجات في بعض المدن السودانية والتي أصبحت تتمدد وتنادي بسقوط الحكومة تفجر فرح داخلي والتقرير يشير إلى ظهور دعوات من كيان غير معروف على الميديا الالكترونية لنقل الاحتجاجات إلى الخرطوم تمتمت بفرح كبير يبدو أنها تسير في الاتجاه الصحيح رسمت ابتسامة ثقة وأنا أعيد أحداث ذلك اليوم بمكتب مختار الأمين

دخلت علينا عائشة الشريف يومها، أربعينية ترتدي ثوباً أبيض وتحمل حقيبة كبيرة سوداء على كتفها الأيمن وعلى يدها اليسري تحمل ملف به أوراق رصت بعناية، صافحها الجميع بحرارة حتى خالد العمرابي ظهرت علامات الارتياح على وجهه وهو يلقي عليها التحية، عائشة الشريف لها لون قمحي نحيفة بعض الشئ تبدو عليها علامات الارق والتعب تتنفس بصعوبة لعلها حرارة طقس الخرطوم أو لعلها تعاني من أزمة ربو حاد، رمت جسدها على أول مقعد أمامها وتناولت كوب الماء الذي مده إليها زميل مهنتها البدين لا أدري ما سر هذا الاهتمام إلى أن تناول بعض الأوراق من يدها وفتحها على عجل كانت من ضمنها مذكرة مكتوبة بخط اليد يا اللهي إنه خطاب موجه لقيادة التنظيم موقع باسم الطيب عبدالرحيم يحمل تهديداً واضح بأنه سوف يفشي بعض الأسرار حول العملية الفاشلة ولكن ما علاقة ذلك بعائشة الشريف،. .....؟

كنت أهم بالسؤال وأنا أطالع الخطاب ولكن قاطعني خالد العمرابي وهو يشير إلى :-

- دا دكتور مرتضى صديق قديم وابن عم لمختار الأمين

حييتها مرة أخرى برأسي ناظرا إليها.

واصل خالد تعريفة وهو يقول:-

- عائشة الشريف زوجة علي البشير أحد الذين تم اغتيالهم بعد فشل ا لعملية

كنت قد سمعت بهذا الاسم قبل ذلك وبأن المشار إليه تم قتله أمام زوجته وابنته نهاراً جهاراَ نظرت راسماً الدهشة على وجهي قام مختار بتصوير كامل الملف عدة نسخ احتفظ بها وإعطى الملف لعائشة مرة أخرى ومن ثم جلس على المقعد المقابل لها، رجعت أنفاس عائشة لطبيعتها وظهر بعض من جمالها المتدثر تحت هم ثقيل وكدر، وصوت مختار الأمين يشرح لها طبيعة اللقاء بأنهم يجمعون كل ما يتعلق بالمحاولة الفاشلة التي كانت في العام 1995 وما ترتب عليها وأنهم يحتاجون لها في التوثيق وتحديداً مقتل زوجها

ارتسمت علامات الحزن على محياها وهي تقول :-

- كان كابوسا مستمر معى أنا وابنتي الصغيرة حتى الآن، لن نستطيع تجاوزه.

قاطعها مختار وهو يتفحص الأوراق المنسوخة أمامه :-

- اعتقد أن شهادتك تلك سوف تكون ممتازة أري إنك قد قمتي بتدوين كل المعلومات.

هنا ترد عائشة :-

- نعم حتى تلك الخطابات التي أرسلها الطيب عبدالرحيم بعد قتله لصديقه ياسر عبدالحفيظ من داخل سجن كوبر وبخط يده.

لم يتمالك خالد العمرابى نفسه، نزلت دموعه غزيره وهو يقول :-

- لقد كانت مذبحة بحق. كيف وجدت قلب لأكون جزء من تلك العملية

صمت الجميع لسماع بقيه الحكاية من خالد العمرابي الذي أرخي بصره وأخذ تنهيدة بصوت مسموع وقال :-

- لقد مضت فترة من الزمن بعد فشل محاولة الاغتيال وشهدت تلك المدة

كثيرا من الأحداث وبعد رجوع علي عثمان الأخير من أثيوبيا تلقيت اتصال هاتفي من مكتبه حوالى الساعة الواحدة إلا ربع صباحاً بأن أتوجه إلى منزل الشيخ على وجه السرعة، وصلت إلى هناك حوالي الساعة الواحدة والنصف. داخل المنزل كانت هناك عدد من الشخصيات المنتخبة بعناية.

تنحي خالد العمرابي جانباً والعرق يبلل جبهته وآثارُ الإرهاق ظاهرة على عينة رفع حاجبه في دهشة وهو ينظر مستغرباً وجود الدكتور الترابي بملابسه البيضاء لم تكن علي وجه شيخ حسن تلك الابتسامة الساخرة التي تعود أن يظهرها في أي محفل يضم تلك القيادات كان وجهه متجهماً غاضباً يصارع غيظاً داخلى ومن بين الحضور كان رئيس البلاد عمر البشير متوهطاً أحد المقاعد ويبدو عليه ارتباك طفيف ولكنه طبيعي في وجود الترابي فقد تعود الحضور على ارتباك البشير في حضرة شيخ حسن استمد البشير بعضاً من القوة بوجود الزبير محمد صالح علي يمينه فأخذ يهمس له، غالبا يوضح للزبير نوعية الاجتماع علي يسار الرئيس تربع الطيب إبراهيم الشهير (بالطيب سيخة)، على الجانب المقابل كان بكري حسن صالح وعبدالرحيم محمد حسين في نهاية المجلس كانت نظرات إبراهيم شمس الدين تتنقل بين الحضور وعلى وجهه صرامة واضحة، يمين شيخ الترابي جلس على الحاج محمد وعلى يسار الشيخ كان إبراهيم السنوسي بنفس ملامح الشيخ، عوض الجاز وغازي صلاح الدين تجاورا وكل منهما سارحُ في مستقبل تلك الأحداث العاصفة، علي عثمان صاحب الدار والدعوة ارتدي بدلته الاشتراكية برغم وجوده بالبيت تنحنح ونظره على شيخ الترابي حمدالله واثنى عليه رحب بضيوفه الأمر الذي أثار حفيظة علي الحاج فنظر إليه قائلاً :-

- إن شاء الله الداعي خيراً،. . شيخ علي

تحول نظر علي عثمان عن الترابي وجال على الحضور وهو يقول :-

- في الحقيقة، إن ما دعانا إلى هذا الاجتماع هي تلك الأحداث التي كانت بالعاصمة الأثيوبية ومحاولة اغتيال فرعون مصر والذي أحب أن أعلمكم به بأننا اشتركنا مع جماعة الجهاد المصرية في محاولة الاغتيال تلك، وقدَّمنا لهم كل الدعم الذي طلبوه للقيام بهذا العمل ولقد كانت العملية تحت مسمي الهجرة كنا نقف على أغلب تفاصيلها، ولكن حدث ما لم يكن متوقعا فالتقارير الواردة

من هناك تشير إلى أن خمسة قُتلوا في مسرح الحدث من جماعة الجهاد الإسلامي وهم عبدالقدوس القاضي وكنيته (محمد) مصطفى عبدالعزيز كنيته (تركى) وتأكَد أيضاً مقتل كلا من شريف عبدالرحمن وهو قائد العمل الميداني في العملية بالعاصمة الأثيوبية وكنيته (عمر) وعبدالهادي مقود وكنيته (حمزة) والخامس محمد عبدالراضي مشهور باسم إيهاب، كما تأكد لنا أن السلطات الأثيوبية ألقت القبض على ثلاثة منهم وهم صفوت حسن عبدالغنى وكنيته (رابح) وأيضاً ألقت القبض على عبدالكريم النادي عبدالراضي وكنيته (ياسين) والعربي صديق حافظ محمد وكنيته (خليفة)،

صمت علي عثمان لبرهة يحاول أن يستجمع بعض قواه وقال :-

- استطعنا أن نُهرّب واحداً منهم هو حسين أحمد شهيت المشهور بفتحى أو سراج وإثنان كانوا موجودين في الخرطوم لمتابعة العملية هم الشيخ مصطفى حمزة ونائبة عزت، وقد جمعتكم لأقول لكم أننا "سنُصَفِّي" هؤلاء الثلاثة، وأنا أملك كل المبرِّرات الشرعيَّة والسياسيَّة لذلك،. ...

ران صمت رهيب بعد ما قاله علي عثمان وأخذ الجميع ينظر إلى بعضهم البعض ففي الواقع لم يكن الصمت من أجل الصمت فقد صمت الجميع لسماع رأي الترابي الذي أخذ يحدق في وجه علي عثمان والبشير راسماً ابتسامة استخفاف واضحة على شفتيه لم يجرو أحد على الحديث، صمتٌ تام تجاوز العشر دقائق كاملة، أخذ خالد العمرابي من خلف الحضور يتفحص الوجوه التي أمامه إلى أن قطع صوت خافت خجول صمت القبور هذا مؤيداً لما قاله علي عثمان.

- نعم، نُصفِّيهم.....

نظر الترابي داخل عيني عمر البشير صاحب الرأي الأخير وكأنه يحاول قراءة شيء محدد ولا شعورياً أطرق الرئيس رأسه نحو الأرض هارباً من نظرات الشيخ العجوز الذي تحول ببصره إلى علي عثمان محاولاً سبر أغواره وكانت المفاجأة الأخرى لخالد بأن أرخي علي عثمان بصرة أيضاً متجاهلاً نظرات الشيخ، ارتفعت درجات الحرارة بصالون علي عثمان وتصبب العرق من أغلب الموجودين عمَّ صمت عام مرة أخرى، ونظر الشيخ يتجول بين الحضور أدرك الترابي بحسه السياسي القديم

بأن علي عثمان قد أجري حديث سابق مع البشيروآخرين قبل الاجتماع للاتفاق حول بعض الأمور ابتدر الشيخ العجوز حديثه ونبرة التهكم واضحة ونظرات الاستخفاف تتجول بين الحضور وإن رسم علي محياه الغضب رسماً :-

- لاحول ولاقوة إلا بالله لا حول ولاقوة إلا بالله،. ...

تفجرت أوردة الشيخ العجوز غضبا هذه المرة وقال منفعلاً وهائجاً موجها حديثه إلى علي عثمان الذي بدا مثل تلميذ خائب يتلقي توبيخ من أستاذه :-

- معقول إنت نائبي.....

صمت الشيخ ونظره مركز على علي عثمان ثم تحول إلى البشير الذي زاغت عيناه وانكمش على مقعدة مثل الزوجة التي ظبطها زوجها في وضع الخيانة وقال باستخفاف مهين مع إشارة دونية من يده :-

أنت أنت رئيس البلد، أتستحلون قتل النفس مع جماعة اتفقتم معها على عملٍ..؟!

لا حَوْلَ ولا قوَّة إلا بالله..... لا. . حول ولا قوة إلا بالله...

صمت الجميع وحوقلة الترابي تتبعها حوقلة إبراهيم السنوسي وعلي الحاج الذي أطرق سمعه لهمهمات إبراهيم شمس الدين، ارتفع حاجبي الزبير محمد صالح وهو ينظر إلى البشيروعلي عثمان باستغراب

قال مواصلاً حديثه وتانيبه كأنه أب يصدر أوامره علي ابناءه والكل يطرق سمعاً :-

- أنتم سياسيُّون، هل يُعجِزُكُم أن تُخرِجُوهم من هذا البلد إلى أي جهةٍ؟ ولماذا جئتم بهم إلى الخرطوم (لقتلهم). .؟

صمت شيخ حسن الترابي لبرهة ثم قال :-

أما إذا كنتم تخشون أن تطالبوا بتسليمهم من أثيوبيا أو مصر، أو الأمم المتحدة، فليُعلنوا عن أنفسهم بعد خُروجِهِم.

نظر علي عثمان إلى حسن الترابي نظرات ذات تساؤل وقبل أن يُهِمّ بقول شيء وجَّه الترابي حديثه مشيراً نحو دكتور غازي صلاح الدين الذي استعدل على مقعده متحفزاً للأوامر :-

- عندكم مسئول سياسي، يمكنكم أن تطلبوا منه مخارجة سياسيَّة بدلاً من أن تستحلوا القتل بغير حقٍ. !

لم يكن حديث الترابي يومها حرصاً على عدم سفك الدماء ولكن كان يوجه درساً واضحاً في أن كل المعضلات من الممكن أن يكون لها حل عنده.

توقف خالد العمرابي عن السرد وبأيادي مرتجفة تناول كوب الماء بلل انفعاله بالأحداث ونظرات سامية تلاحقه بأن يُتم بقية القصة أخرج المحامي البدين علبة العماري الخاصة به ضرب عليها عدة مرات وفتحها قربها من أنفه استنشق عبير التمباك وكشح داخل تجويف فمه ربع ما بالعلبة ثم زم شفتيه وقال:-

- نعم كانت الأحداث التي أعقبت المحاولة الفاشلة قاسية وفي اعتقادي الشخصي إن الشرخ العظيم الذي عجل بانشقاق النظام إلى مؤتمروطني وشعبي قد بدأ منذ هذا اليوم عزيزي خالد، لقد سمعت قبل هذا حديث منسوب لعلي الحاج عن ذلك الاجتماع من طبيب رافق علي الحاج إلى ألمانيا أثناء علاجه لأحد ابناءه هناك أشارلي بالنص ما قاله له علي الحاج: (بأنه لم يري البشيروعلي عثمان ذليليْن كما رأهم في ذلك اليوم).

نظر خالد إلى مختار وأومأ برأسه وهو يقول نعم لقد كان هذا واضحا فالترابي استفزعلي عثمان والبشيربصورة قاسية ولقد كانت نظراته سهاما تستقر في القلوب وتنفذ من الاتجاه الآخر.

تدخلت سامية محاولة حث خالد على اكمال السرد.

- وهل تم تنفيذ خطة الترابي أمّ الغِل والحسدُ أعمي المشاركين فيها بخطة أخرى. .؟

رد العمرابي سريعاً:-

- لم تكن الظروف مواتية لأي خطة بديلة فقد كان الارتباك سيد الموقف عزيزتي وتوقف العقل عن التفكير عند اغلبية المشاركين فقد نزلت خطة الترابي من السماء كأمر مقدس فبعد أن انفض الاجتماع شرع علي عثمان والبقية في تنفيذ الخطة الأولي وهي إخراج المتهمين الثلاثة من الخرطوم وتم إيكال المهمة لغازي صلاح الدين

قاطعت خالد العمرابى هذه المرة :-

- هل تم اختيار غازي صلاح الدين بموجب توجيه الترابي

نظر العمرابي إليّ بضيق :-

لماذا يكرهني خالد؟ كل ما يبدر منى تساؤل لماذا أري علامات الضيق دائماً على وجهه؟ هل هذا راجع لذلك اليوم عندما كنا معاً وأخذ بالانتحاب والبكاء أم لسبب آخر ؟ لا أدري

رد خالد بفتور :-

- نعم ولسبب آخر فقد كان غازي صلاح الدين في تلك الفترة يشغل موقع أمين المؤتمر الوطني وبالتالي تجمعه علاقات كبيرة بعدد من الدول مثل إيران وماليزيا وأفغانستان التي كان فيها محاربا يتبع للأفغان العرب في فترة ما، استدرك خالد ضيقه وواصل حديثه:-

وبحكم قربي لعلي عثمان كانت أغلب التحركات مطلع عليها، اقتضت الخطة توفير طائرة خاصة وتم إبلاغي بوجوب جلب المصريين الثلاثة الذين تم تأمينهم بالخرطوم وفي تمام الساعة الرابعة صباحا تم الإقلاع بهم إلى طهران رافقت غازي صلاح الدين في تلك الرحلة ولم يكن لدي أيّ فكرة عن الوجهة في البداية وعند نهاية الرحلة علمت بأن السلطات الإيرانية لم تتلقي إخطار بمجيئنا إلا أنهم فتحوا مجالهم الجوي لنا، كان في استقبالنا سفير السودان يومها كان بطهران قطبي المهدي، دخلنا إلى الأراضي الإيرانية ومعنا المصريين الثلاثة بجوازات سفر سودانية دبلوماسية وأسماء حركية وعلى الفور وبمجرد وصولنا إلى السفارة على ما أذكر شرع قطبي بالاتصال ببعض المسؤلين الإيرانيين شارحا لهم بعض التفاصيل

وبضرورة ترحيل المصريين إلى افغانستان، أطرق خالد قليلا وهو يسهب بالسرد :-

- لم نهدأ يومها ولم نذق طعم الراحة وبشروق شمس اليوم الثاني كانت هنالك طائرة تقل المصريين الثلاثه إلى أفغانستان.

أخرج خالد علبة سجائر برينجي من جيبه وأشعل واحدة سحب انفاس منها بتوتر وهو سارح في تفاصيل الأحداث التي تضاهى أفلام جيمس بوند في الحبكة السينمائية لم يدُر بذهني أن تكون المنظومة الحاكمة في السودان بهذا القدر من الجاسوسية والتخطيط.

نفث خالد دخان سيجارته وعلى وجهه همٌ كبير ظل جاثما عليه فيحاول أن يخرج همومه مع دخان سيجاته إلا أنها ظلت تعصره عصراً، تنهد ونظرات الفضول تلاحقه من سامية ومختار وعائشة الشريف، آثرت الصمت هذه المرة حتى لا أثير حفيظته تلاقت نظراتي مع نظرات سامية ابتسمت لها بحنان بالغ بادلتني نفس الابتسامة مع مرارة تجتاح وجهها الحزين انتبهت فجأة الى تلك الدمعة التي تكورت علي مقلتيها تحاول أن تخفيها جاهدة ولكنها نزلت على قلبي دماً ماذا لو ظهرت كل دمعة بكيناها سراً عشيقتي وكل شعور جارح كتمناه فخرج من أعيننا على هئية شوق، الا ان ألم الخيانة خيانة وطنك لك وخيانة الحبيبة لعشقك اكثر ايلآما، و أي جرح أكبر من أن تكتشف في لحظة ما بأن حياتك أكذوبة كبرى تحاول أن تستر فضيحتك بيديك العاريتين فتنزع ما تبقي من غطاء عورتك ويا..... ويحي على وطن لم يتقبلك والحبيبة شاردة بألم خيانتها عنك خرجت من هذا الكابوس على صوت خالد يسرد بقية مغامرتة تلك ظل وجه خالد متكدراً وكأن تلك الذكريات تنغرس داخل جسمه خنجرا مسموما:-

كان الأمر يحمل تمويها واضحاً فقد نزلت الطائرة إلى مطار طهران كأنها تحتاج إلى التزود بالوقود في مسيرتها إلى كوالا لامبور وفي نهار نفس اليوم توجهنا إلى ماليزيا هنالك مكثنا ساعات وعادت الطائرة مرة أخرى إلى الخرطوم، ولمزيدا من التمويه، قيامنا بزيارة أبوظبي لمدة من الزمن وفى حوالي الساعة السابعة مساء كان مدرج مطار الخرطوم يعلن عن نهاية المهمة بطمس معالم الجريمة وتوجهنا فوراً إلى فيلا الشيخ علي عثمان الذي كان في انتظارنا وعلمت منه بأنه تم التنسيق مع مراسل الجزيرة وجريدة الحياة اللندية أحمد زيدان لعمل لقاء مباشر على قناة الجزيرة

مع مصطفى حمزة من أفغانستان ينفي مشاركته في المحاولة الفاشلة وتأكيد أن الخرطوم ليست متورطة فيها.

صمت العمرابي لبرهه محاولا جمع بعض التفاصيل قال بعد أن أخذ تنهيدة حارة :-

- لقد شهدت السلطة بعد ذلك عددا من التغييرات وكأن الحكومة تعترف بما قد ارتكبت من إثم فقد تم تغيركل أطقم وزاراتها، وبتهوره المعهود أصدر الرئيس البشيرقراريقتضى اعفاء نافع علي نافع من رئاسة جهاز الأمن وتوليه وزارة الزراعة

ابتسم مختار الأمين ساخراً وهو يقول :-

- لقد كان واضحاً أن هنالك اضطراب وتخبط داخل التنظيم.

أكد العمرابي ما ذهب إليه البدين قائلاً :-

- بالضبط يا صديقي فليس هنالك معنى من لاعفاء مطرف الصديق من إدارة العمليات الخاصة وتوكيله بمهام بسفارة السودان في نيجيريا واستعان البشير بأحد الرتب العسكرية على سدة جهاز الأمن يدعى الدابي فالبشير بهذه التعديلات قد أعطي أسماء المشاركين من التنظيم في تلك العملية للجميع حتى صلاح عبدالله قوش لم يسلم من هذه التعديلات فقد تم إعفاءه من موقعه كنائب لجهاز الأمن إلى موقع بأحد المصانع التابعة للتصنيع الحربي.

20

أصبحتُ وحيداً اتجولُ داخل فراغات الوطن كنت اخترع اشخاصاً اخاطبهم في الخيال واندهش لحكاياتهم، حكايتهم – حكاياتى. اذكر ذلك اليوم الذي صارحت فيه شخصية من اختراعي بخيانتي لوطني وأنى هربت من أول صدام، نظرت إلى الشخصية باحتقاروأنا اسرد تفاصيلي الكاملة كنت اتعري أمام نفسي لقد اجبرتنى وحدتى ان اتوزع عدة اشخاص، كنت اتعرف على نفسي كل يوم، والان أصبحت مفضوح حب بارملة عدو تسبب في جرحي، واهتزاز ثقتي، فتحت كل ابواب عشقي مشرعة فتسلل لصوص الوطن اعداء لى ولكٍ سيدتى، أنثى الاحزان خرجتُ في ذلك اليوم ابحث عنك وسط الجموع إثر دعوة كيان مجهول لموكب بقلب الخرطوم تواعدنا أمام عمارة الحرية التي بها مكتب مختار الأمين بالسوق العربي، انا وانتِ والحب والثورة جيئتنى يومها ترتدين ثوباً أبيض خلته كفنى فقد مت شهيدا في عشقك فمن أكون دونك، ومع تمام توقيت الثورة ارتفعت تلك الزغاريد وكأنه فرحي نظرت إليك وانتى تضعين غطاء ثوبك على نصف وجهك بعد أن بللتيه بقليل من الخل وتبرعتى لي بكمامة احمى بها انفاسي التى امتلات برائحتك، سامية زوجة طارق الجعلي أحد أركان النظام تصرخ بصوت عالي حرية،.. .. سلام..... وعدالة... الثورة خيار الشعب... تنفض كرهها لزوجها ولمنظومتة وتستعيد كرامتها، التهبت الخرطوم ولم أدري إلا وانا ممسكاً بيدك ومهرولاً معك، بعد أن اختفت الرؤية تماما اثر قنابل الغاز المسيلة للدموع ركضنا معاً مثل طفلين، إلى ان أوقعنا حظنا العاثر أمام كمين لرباطة النظام إنهالو علينا ضرباً وأنا احميك بجسدي رُفعِنا على ظهر أحد البكاسي انهال الرباطة علينا ضربا وركلاً وسباً، كان بصحبتنا عدد من الثوار، كلٌ يري ناحية موقع نزول الضرب عليه وأنا الكفيف من الألم اراك واكتفي بعماي، مساء نفس اليوم خرجنا من زنازين النظام بعد أن لحقنا مختار وترافع عنا، خرجتُ إلى وطنٍ يحمل التغيير فبعد أن كنت مرتاد لسجون شرطة الاداب قبل خمس وعشرون سنة الآن ادخل

السجن ثائر واي فرق سيدتى ما بين الاثنين، انها الثامنة تماما وأنا اخطو أولي خطواتي خارج القسم الجنوبي حيث تم احتجازي بعد المظاهرة، الثامنة تماماً سيدتى لم يرن جرس المنبه داخلى ولكن تم ايقاظ الافراح برؤيتك امام سيارة مختار الأمين وانتى تبتسمين لى بحب غامر وتهمسين في اذني بعد أن ارتميتي في حضنى حمدالله على السلامة، لم تخافي التقاليد وتلك النظرات التي كانت تتابعنا بحب حقيقي وهي تراك تُعبرِين كما تريدين عن فرحك لحظتها ايقنت ان هنالك تغيير جذري يحدث في الوطن.

تركتك يومها بمنزل مختار الأمين تضمدين جراحي وقلبي مثخن بجرح عشقك سرحت مع انفعالاتك وخوفك علىّ وصدى هتاف الثوار مازال عالقاً براسي (#تسقط_بس) رفعت راسي ناحيتك في تلك اللحظة التى دخل فيها خالد العمرابي ممازحا لي :-

- بقيت ثورجي يا مرتضى؟؟؟.. ...

نظرت في وجه خالد وعلى شفتي ابتسامة ساخرة يبدو أن العمرابى قد تصالح مع نفسه هكذا قلت لنفسي.

قهقة البدين وهو يناول خالد كوبا من الشاي وقال:-

- عيارو فلت خلاص الدكتور دا، مما جاء من بلاد الفرنجة.

نظر خالد العمرابي بأسي إلى سامية وهو يقول :-

- لقد كنت اليوم أنا أيضاً في الموكب.....!

رفعت سامية عينها مندهشة من حديث خالد، حتى مختار الأمين توقف عن رشف الشاي وهو ينظر الينا ونحن نعيد النظر إلى خالد العمرابي الذي أخذ حيزا حيث كنت مستلقي على فراش عريض بينما جلست سامية على كرسي بجانب مختار الذي انفعل قائلا:-

- مهلا عزيزي خالد يبدو إن هناك سوء فهم هل قلت انك كنت مشاركاً اليوم في الموكب المتجه إلى القصر الجمهوري لتقديم مذكرة بتنحي النظام؟؟

لم يجب خالد بل نظر إلى كأنما يريد ان يوصل رساله ما ثم شرع قائلاً:-

- لعلها عقدة الذنب صديقي البدين لعلها صحوة ضمير متاخرة ولكنى شاركت بقوة لن اغفر لنفسي ما سببته من ألم طيلة تلك الفترة التي كنت فيها جزءاً من هذا النظام.

تنحنح مختاروخرج صوتة متحرشجاً.....

- عن أي ذنب تتحدث خالد، ذنب المشاركة ام ذنب الدماء،. .....؟

سرح خالد وبدأ الحديث واصوات الثوار مازال يصل صداها إلى المنزل ورائحة الغاز المسيل للدموع أصبحت هي السائدة في سماء الوطن لشهور.

- لعلها عقدة الدم صديقى وعقدة المؤامرة والقتل.

21

توقفت سيارة خالد العمرابي أمام مدخل سوق ليبيا غرب أمدرمان في نهار غائظ من أيام نوفمبر لسنة 1994 واضعاً نظارة شمسية تقيه أشعة شمس الخرطوم الحارقة، ترجل عن مقعد القيادة، راجع ورقة على يده بها عنوان الدكان الذي يريد، تحركت خطواته الواثقة سريعا متجها إلى المربع السابع دكان رقم 312.

عم هارون خمسينى تبدو على وجهه الصرامة الشديدة يرتدي بدلة اشتراكية وتظهر عليه آثار النعمة يمتلك دكان للملابس الجاهزة ومن داخل هذا الحيز الضيق كانت تدار أغلب عمليات مراقبة تجار السوق وترفع تقارير دورية عن نشاطهم التجاري توقف العمرابي أمام دكان هارون الذي خرج مسرعاً مرحباً بالضيف وبعد تبادل الترحيب توجه هارون مصطحباً خالد إلى خارج السوق من الناحية الأخرى إلى ان وقف أمام زاوية للصلاة صاح هارون مناديا باسم آدم بلغة العربية المكسرة.

ومن داخل الزاوية رد صوت ضعيف واهن ثم سمع صوت أقدام تتحرك نحو الباب أطل رجل أربعيني نحيل له ذقن أشعث وملابس رثه يبدو عليه أثر الفقر المدقع.

ادمو كيف إن شاء الله طيب

صافح آدم هارون عدة مرات مع تكرار السلام والسؤال عن صحة أفراد الأسرة فردا فردا بدا الضيق على وجه كادر الأمن الشعبي من هذه المماطلة تحت أشعة الشمس الحارقة فهو في مهمة محددة مرتبطة بزمن نظر بضيق إلى هارون الذي أسرع معرفا خالد باسم عبدالمجيد صافحة آدم وعلى عينه انكسار واضح جذب هارون آدم من يده وتحركوا إلى حيث تقف سيارته الاول من الناحية الأخرى للسوق.

داخل السيارة كان من الواضح أن هارون قد أوضح التفاصيل بدقة لادم الذي أظهر حماسا وهو يتطلع لصورة خوجلي عثمان الفوتغرافية، استعدل العمرابي داخل السيارة ناحية هارون النحيل ذو الذقن الأشعث وهو يقول :-

- الزول دا زي ما قالوا ليك مفترض نتعامل معه وفق الشرع فهو فاسق ينشر الفساد ويغنى.

بدأ غضب خفى على وجه آدم وتسارعت ضربات قلبه أخذ يطيل النظر لصورة خوجلى عثمان تتبدل ملامحه لسخط عارم يرفع يده اليمنى ويتحسس كتفة الأيسر سكينه مربوطة بإحكام، ينتهز هارون الموقف ويبدأ من جديد وبلغة عربية مكسرة وبسيطة مخلوطة بلهجة الزغاوة يلهب حماس آدم سليمان ويذكره بتحريم الإسلام للغناء، يتلو عليه أيات من كتاب الله تحث المؤمنين على الجهاد وقتال المنافقين تنهمر دموع الشيخ الأشعث مع تكرار.

- لاحول ولاقوة إلا بالله،.. ...حسبي الله ونعم الوكيل يخرج صوته بعربية مكسرة ومن بين دموعه يطيل النظر ناحية اليسار ويده تتحسس السكين التى على كتفه للمرة الثانية ويقول:-

- هارونه إلا هو مسلم وبصلي . ؟

ينظر هارون إليه بعد أن أومأ لخالد وهو يقول :-

الا الرأجل ما يكتفي بحلق الشنب كمان يغنى.

لم يدر بخلد العمرابي ما يرمي إليه هارون إلا أن آدم أخذ يردد

- لاحول ولا قوة إلا بالله ترك هارون آدم مع العمرابي بعد أن امتطى الإثنان سيارة الأخير وتحركوا إلى قلب الخرطوم.

كان واضحا ان علي عثمان ينفذ تهديده كما وعد خالد ذات اجتماع فقد تسربت إشاعة عن أسلحة وصلت الى العاصمة الاثيوبية عن طريق آلات موسيقية حتى قبل بدء العملية، تخوف علي عثمان ورهطه من الفنان الوسيم وما قد يخرج منه تاكيداً لتلك الاشاعات فكانت خطة اسكات الفنان رسالة لكل

المشاركين بالكتمان.

يوم جديد من عذاب القبر باسم القدر والسلطة، النظام يحارب الإبداع ويتفنن في إذلال الوطن، الساعة تشير إلى السادسة تماما اليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر لسنة 1994 تقف سيارة كرونا جيش بدون لوحات على مقربة من دار الفانين بأم درمان ينزل آدم سليمان يرتدي جلباب سوداني مترهل وعلى رأسه طاقية بيضاء وسروال تحول لونه أقرب للبني من القذارة تفوح منه رائحة صناح نتنه يبدو تائها زائغ العينين شكله أقرب للجنون من شخص عادي، ترجع ذاكرة الرجل إلى الثلاثة أيام الماضية منذ أن فارق خالد العمرابي بأحد بيوت الأمن الشعبي وهنالك تعرض لعملية تشويش مخططة بعرض أفلام بُورنو لفتيات سمراوت تبدو ملامحهم سودانية ومع نهاية كل مقطع تعرض صورة الفنان المغدور يتقدم أحد الشيوخ ويهمس في أذن آدم سليمان وهو جاحظ العينين من صورة الفتيات العاريات يهمس الشيخ:-

- ديل عايزين الفاحشه في البلد

- ديل بساعدو على غضب الله

وتظهر مرة أخرى صورة الفنان

مونتاج ردئ لمحتوي فيديو معد بشكل سئ ولكنه يمر على رجل بسيط مثل آدم سليمان، يرجع الرجل إلى واقعه والسائق يشير إلى دار الفانين ويقول:-

- سوف تجد الرجل هناك يدعي عبدالقادر عليك أن تنتظر إلى ما بعد صلاة العشاء.

تحركت السيارة تاركه آدم سليمان يجول ببصره على المكان اختار ركن قصي على شارع ضيق افترش الأرض بعد أن صلى المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، فالرجل على سفر تحسس السكين على كتفه للمرة الرابعة على التوالي أخذ يتلو بصوت خافت بعض من أيات الذكر الحكيم مضي الوقت بطيئا أوقات الانتظار دائما هكذا ارتفعت دقات قلبه عندما رأي أنوار دار الفنانيين وعدد من الزوار يدخلون، وقف و اتجه نحو القبلة رفع يديه وكبر أدي ركعتين وسلم بلل الدمع خده وهو

يسال الله الشهادة توكل على رب السموات خطواته بطئية نحو بوابة الدار.

بالقرب من البوابة كانت بعض الجموع الداخلة إلى الدار، وقف عدد منهم يتبادل التحايا المسائية الإضاءة خافتة في هذا المكان جلس بعض العازفين أمام البوابة يرتشفون الشاي المميز للعم خضر صاحب الكافتيريا بدار اتحاد الفانيين تحلق عدد منهم يرسلون القفشات ويضحكون بصوت عالي، تقدم شبح لكائن غريب عن المكان ألقي التحية بصوت خافت

- السلامو عليكم

رد أحد الفنانين الشباب التحية وأدخل يده في جيبه يريد أن يعطي السائل حاجته ظن أنه متسول

- إلا إن نظرات آدم سليمان كانت تحمل شيء آخر بعد أن رفض عطاء الشاب سأل بإلحاح ظاهر عن عبدالقادر

جاوبه أحد العازفين وقد فطن بأن السائل له حاجة مع الفنان فقد كان مشهورا بأن الفنانين يقضون حوائج الناس بالكتمان لذلك أشار إليه حيث يكون عبدالقادر سالم رجعت الشلة التي أمام الباب لحكاويها وضحكاتهم وتناسوا أمر السائل.

تقدمت أقدام آدم سليمان إلى الداخل صورة الرجل لا تتناسب مع المكان خطوات مترددة وخوف يعتري الرجل، يتصبب عرقاً يشاهد الاختلاط بين الرجال والنساء في ساحة الاتحاد وتتقافز في ذهنة تلك المشاهد من أفلام البورنو يتصبب عرقاً تقفز عروقه من منابعها وهو يسمع صوت ضحكة أنثوية على مقربه منه عيناه تتطاير وبصره يزوغ، دقات قلبه مثل طبل افريقي يضرب بقوة يقترب أكثر وسط فضول النظرات يتطلع في القوم يجول ببصرة على الساحة يخطف طريدته إنها هناك توزع ابتسامتها والحديث بين خوجلى عثمان وبعض المطربيين في منتصف الساحة، يعترض الرجل أحد العازفين

كيفك يا حاج عايز منو،. .؟

يرد آدم سارحاً في لاشئ،. ..... عايز عبدالقادر

يشير العازف إلى نفس المنضدة التي رأي طريدته فيها،. ... ويقول :-

بتلقاهو هناك

إذن هذا هو،. .

ترتفع دقات قلبه بصورة كبيرة تتقدم خطواته ببطء لا مفر الآن عدو الله أمامه، يقف الرجل أمام الجمع ويحدق في خوجلى الذي رأي تلك النظرات المريبة في عينيه لم يدر بخلده بأن هذا هو قاتله وقف مرحباً به لعله أتي لحاجة

كبر الرجل ثلاثا وفي جزء من الثانية إستل سكينه شلت المفاجأة الجميع انغرست السكين على بطن الفنان خوجلى الذي صرخ

- أخ مالك يا أخي

لم يجاوبة إلا الهلع من المنظر، تتطايرت عيون القاتل شررا وهو ينزع السكين ويعاجل الضحية التي تكومت على نفسها تريد السقوط بضربة أخرى على الظهر تدخل الفنان عبدالقادر سالم محاولا التصدي للقاتل وسط هرج ومرج وتكبيرات القاتل تتعالي على صياحات البقية، الوضع من السوء بمكان أين المفر يطلق القاتل ساقيه للريح يقفز على الحائط الشمالي للدار ويفر هارباً تتم محاولة إسعاف الفنان ولكن هيهات تدخل سيارة كريسيدا بيضاء تقل الفنان مع آخرين إلى مستشفى قريب، يطارد عدد من العازفين وبعض الفنانين الجانى وتتم محاصرته وانتزاع السكين منه بمعاونة مجموعة من العابرين وتسليمه للشرطة

داخل مكتب على عثمان محمد طه يقف خالد العمرابي مطأطأ الرأس بعيون حمراء من أثر البكاء، يحمل تقريراً بكامل تفاصيل الواقعة، ينظر نافع إلى الجزء الأخير من التقرير وفاة الفنان خوجلي عثمان على يد أحد المجانيين بدار اتحاد الفنانيين مساء الحادي عشر من نوفمبر للعام 1994 ينظر إلى صلاح قوش ويتنهد على عثمان بصوت مسموع ويقول :-

- نعم يجب ان تتم العملية دون اى توتر،. ...

يصمت و ينظر الى خالد العمرابي بعين حادة ويقول :-

-لقد كان خطاء فادح يا خالد ان يتعرف الفنان على تلك التفاصيل

يخفض العمرابي نظره الى الأسفل وهو يقول :-

- لقد دفع ثمن ذلك.

22

حَاولتِ حرقي فاحْترقتِ بنارنفسكِ فاعذريني. . لا تطلبي دَمْعي، أنا رَجُلٌ يعيشُ بلا جُفُونِ. . مَزَّقْتِ أجملَ ما كتبتُ وغِرْتِ حتى من ظُنُوني. . وكسرتِ لوحاتي، وأضرمتِ الحرائقَ في سُكُوني. . وكرِهتني وكرهتِ فَنَّاً كنتُ أُطعمهُ عيوني. . ورأيتني أهَبُ النُجومَ محبَّتي فوقفتِ دُوني. . حاولتُ أن أعطيكِ من نفسي، ومن نور اليقينِ. . فسخرتِ من جُهدي، ومن ضرباتِ مطرقتي الحَنون. . وبقيتِ – رغم أناملي- طيناً تراكم فوق طينِ. . لا كُنتِ شيئاً في حسابِ الذكريات، ولَنْ تَكُوني

أخذ صوت نزار قباني يعلو بتلك الكلمات وأنا أراقب الأسى ينمو على جسد سامية التي أسندت رأسها على كفها والألم يعتصر قلبها وأنا الغارق في بحور الشك خمس وعشرون عاماً من أكون.. .؟ لست سوى حقير باع القضية واشتري بها ثمن صمته وراحة بال منسية.

جلسنا على شاطىء النيل أمام بوابة عبدالقيوم نتأمل سريانه بصمت وعلى مقربة منا كانت عائشة الشريف ترتب بعض الأوراق باصابع مرتجفة، الحادي والعشرون من ديسمبر لعام ما قبل السقوط والدعوة إلى مواكب الاحتجاجات على النظام تطرق الأذان بقوة، النظام مسعور يضرب ويفتك ويقتل بدم بارد رأس النظام ما زال يرقص على أشلاء الضحايا والدم لم يكفيه ما فعل بالبلاد فأصبح يأخذ الأرواح من اليفع والشباب، أتحسس مكان الألم والضرب المبرح الذي تعرضت له في الموكب السابق آثار السياط ما تزال على ظهري، تخرج سامية من صمتها مثل عروس البحر ثغرها منبع الشهوات تقول بتوتر :-

- تأخر مختار.

أجيب ونظري يتفحص دواخلها لعلي أصل إلى منبع الحزن هذا :-

- لم يتاخر...!!! مواعيدنا الساعة الثانية عشروالآن تمام العاشرة

ترد بحياء :-

- اعتقد قد أتينا مبكرا قليلا،. ...

أرسم ابتسامة ذات مغزي واقول :-

- أتظنين ذلك. .؟

يحمر خدها خجلاً وتتمتم بعبارة ما،. ..

أتكى على أشواقي وأهمس لها :-

إذا الأمر بيدي فليغب مختار اليوم وأكون بصحبتك فقط

تنظر إلى والخجل يأكلها وتقول :-

بالجد. .؟

- نعم

أتدرين سامية :-

- إن أجمل ما في الحياة، قلب تحكي له ما تشاء.

تتجاهلني عمداً.....

تقف قائلة :-

- ما رأيك أن نتمشي قليلاً حتى تعتاد قدميك على السير بعد أن تعطلت جراء الضرب في المظاهرة الأخيرة

أنظر إليها بجراءة تعودتها من قبل، أمد يدي ناحيتها تساعدني على النهوض تبتسم لى لم أرَ مثل تلك الأنوثة من قبل أقف قبالتها أتحسس وطني داخلها أشيح بوجهي مبتسماً وأقول :

- أتدرين سامية اعتقد أن تميم البرغوثي قد قال هذا الشعر فيك.

الخَصْرُ وهمٌ تكادُ العينُ تُخطئَهُ. . وجوده بابُ شكٍ بعدما حُسِما،

والشَّعرُ أطولُ مِن ليلي إذا هجرت. . والوجْهُ أجملُ من حظي إذا ابتسما

تنظر إلى مندهشة من جرأتي تلك وعلى عيناها شبه عتاب أشيح بوجهى وأضحك بقوة حتى أن عائشة نظرت إلينا مبتسمة.

أهمس لنفسي :-

لا تعاتبيني بنظراتك سيدتي فأنا رجل المسافات البعيدة والقلب الخاوي ملقي على قارعة الطريق أتسول وطناً وأنثي أقضي معها ما تبقي من عمري الذي انتهي لحظة ميلادي هل تدركين سيدتى أنني أتوقع الرحيل قبل أن يتحرر وطني وأعلم أن الكلمات لا تنتظر ولحظات الحب شحيحة في بلدي لذلك أنتهز هذا اللقاء لأقول سجد قلبي أمامك خاشعاً يرتل اسمك باكيا،. ....و....

وفجأة تشبثت سامية بكتفي إثر انفجار إطار سيارة على الطريق العام وعلامات الخوف ترتسم عليها، حقير... هذا الوطن الذي يقطع هذه اللحظات بانفجار إطار ألم أقل لكم بأن لحظات الحب شحيحة في بلدي، مددت ساعداي أحيط بهم سامية وعينا عائشة تراقينا ببط بعد أن قفزت من مقعدها أيضا لاهثة وخائفة استدركنا أمر إطار السيارة وجلسنا على مقرب من شاطي النيل نراقب سريانه الأبدي بصمت كان الجو ممزقاً مهترئ التفاصيل في انتظار لا شيء خلاف شوق اعمي لأنثي بجانبي نظرتُ هائماً في عينها أهمس بحب أخبريني أنثاي بحق كوش العظيم كم تبلغ زكاة الشوق إذا بلغ النصاب في دين المحبوب، سرحت في جرح شوقي النازف وكلمات أحد الكتاب تضج في عقلي (كل الجروح تؤدي بصاحبها إلى القبر أو تنتهي ملتئمة إلا جرح حبك رفض أن يتصرف مثل أي جرح)، وجدت نفسي وسط عائشة وسامية ممسكاً على ألة العود التي جلبتها من السيارة أدندن أغنية حمد الريح مع تمايل عائشة وابتسامة سامية في انتظار مختار وخالد

شال هم فرقتك قلبي

معاك أريتو كان يرحل

و جنبك ومشتهيك يا عيون وكيف لما الفراق يحصل

إن شاء الله ما يحصل

بريدك يا شقا الأيام

كان بيك الحبيب يسعد وأسهر نجمي عز الليل

بعد روح صباحك جد

وابكي معاي عيون احباب عشان اسف الدموع يشهد

ماكان الفراق منيه ولافرقة عيونك وعد وكيف لما الفراق يحص

إن شاء الله ما يحصل

مجبور قلبي يتعلم بعد ولف عليك يقسى

عشان لو لحظه تنساك عيون ماتعلمت تنسى

أنا الفارقت مرساك قبل اشواقي ماترسى وأصابح بكره كيف العيد

وعايش فرقتك هسى معقول قلبي بس يقسى وكيف لما الفراق يحصل

إن شاء الله ما يحصل

سامية كانت تدرك بأنني أخصها بتلك الكلمات فازدادت خجلاً على خجل لم ترفع رأسها وأنا اشير إليها مع كل كلمة مع ضحكات عائشة التي تناست ألمها بمقتل زوجها، يرتفع صوت أداة التنيه المميز لسيارة مختار الأمين، يلوح لنا بيده من على الطريق العام يوقف العربة ويقفز منها بخفة لا تتناسب مع جسده الضخم يتقدم ناحيتنا وعلى يده بعض الأوراق وجريدة يومية نتبادل التحايا والسؤال.....

أيامك يا مرتضى كمان عود وغناء والنيل والوجه الحسن

قال البدين كلماته تلك مع غمزة بعينه اليسري لسامية، وهو يجلس على أقرب مقعد صغير تحته انضم إلينا وصاح مخاطباً بائعة الشاي أن تسرع بكوب من

القرفة على حساب دكتور مرتضى الفنان دا،. .

ابتسم مجبراً واضع العود على الجنب واضم يدي إلى صدري.

يفتح البدين صفحات الجريدة اليومية ويأخذ صورة فوتغرافية قديمة ويناولها إلى سامية التي تنظر إليها وفضول يقتلنى!!

يظهر على الصورة عوض دكام طبيب الأسنان المعروف لقد عملت مع دكتور دكام منذ فترة طويلة وتدربت على يده بدايات تخرجي حزنت لموته كثيرا تعرفت عليه عن قرب حدثني عن حياته فقد كان شفيفاً يحب الضحك مرحُ يعشق الحياة في احدي ألايام حكى لى بأنه درس بالإنجيلية وتخرج منها وعمل بالتدريس بحلة خوجلي عام واحد سألته يومها مستغرباً

كيف عملت بالتدريس وأنت الآن طبيب

رد على باسما كعادته

اشتغلت بالشهادة الثانوية يا (مورتى) هكذا كان يسمينى ففي فترة الستينات الشهادة الإنجيلية كانت تعادل الشهادة السودانية

أرد ساخراً :-

- انت من زمن الستينات يا دكتور

يطلق طبيب الأسنان الشهير ضحكة قوية اشتهر بها

- انا من زمن الدود يا مورتى

ابتسم ويواصل سرد جزء من تفاصيل حياته

- كان عندى معرفة وعلاقة طيبة باللواء حسن بشير نصر، كان وزير الدفاع ووزير شؤون الرئاسة الكلام دا زمن عبود الفترة دي نهاية الخمسينات وبدايه الستينات الزمن دا انت كنت وين،. ...؟

أطلق قهقه عالية وأقول :-

- يا إلهي دكتور الوقت دا ما اعتقد أن والدي قد فكر في الزواج.

نظر إلى الطبيب وهو يكركر بصوت عالي مواصلاً حديثة :-

قدمت عن طريق سعادة اللواء لمنحه في يوغسلافيا لدراسة الطب يسرح طبيب الأسنان الأشهر في السودان لزمن بعيد مستجمعاً أحداث من الماضي ويقول :-

- سافرت بعدها لدراسة طب الأسنان كانت من أجمل أيام حياتي ولكن كنت مرتبط بالسودان وجدانياً لذلك رجعت بمجرد أن نلت البكالاوريوس.

أصمت محترما شجن أستاذي الطبيب وذكرياته التي يسردها وجعاً يخرج صوته حنينا لحقبة مازالت داخله يقول :-

- أول تعيين لى بوزارة الصحة كان بمستشفى أمدرمان وبعديها مستشفى بحري ومع تخبطات نظام مايو والأزمات الاقتصادية البدت تظهر فضلت أعمل عيادة خاصة وشرعت في المشروع دا كهدف أساسي وبالفعل أنجزت عيادة أسنان حكومية كقسم بذاته بمستشفى بحري وبعديها بفترة إفتتحت عيادتى الخاصة بشارع علي عبدالرحمن ببحري

أخرج من ذكرياتي تلك بصورة عوض دكام التي جلبها مختار أتناولها وأنظر إليها، الطبيب أصبح مجرد ذكري جميلة في وطن قتل كل أنواع الإبداع عن عمد وصادر كل جميل أتذكر عيادته تلك كانت نموذج جميل للعيادات بمستوي السودان أجمع لقد زرته فيها كثيراً

تلتقط أيادي عائشة الشريف الصورة مني وتقول :-

- الصورة باديس ابابا

مختار الأمين موافقا رأي عائشة :-

نعم هذه أخِر صورة التقطت لعوض دكام في اديس ابابا وبعدها تم اعتقاله في اديس رجع الخرطوم ومنها توفّى، تحوم كثير من الأقاويل حول سبب وفاته.

تسرح سامية كأنها تبحث عن شيء ما وتقول اعتقد بأن دكتور عوض دكام

أيضا قتل....؟

جاء ردي مغتضباً

- هذا مجرد تخمين ولكن الذي من الممكن أن تكون له اجابه مقنعة هو خالد العمرابي.

يستلم البدين كوب القرفة من بائعة الشاي يضعه على التربيزة التي أمامه ويخرج هاتفه المحمول يتصل على رقم يأتى صوت خالد موضحاً :-

- أنا جنبك يا عزيزي دقائق وأكون معكم.

يغلق الخط وتظهر سيارة العمرابي على الطريق، تواصل سامية حديثها إلى حين وصوله :

- في اتصال بيني وبين طارق علمت منه بأن عوض دكام في اديس ابابا، لم اشاء أنا استرسل معه في سبب زيارته ولكن من حديثة استنتجت ان الدعوة للزيارة بدرت منه لا أعرف السبب فطارق بحكم وجودة في اديس كان أغلب ،. .المسئولين ونجوم المجتمع يقابلونه كان أشهر من سفير السودان بأثيوبيا.

وصل خالد العمرابي في هذه الاثناء محيياً الحضور رد عليه الجميع التحية تناول (بنبر) صغير خلع نظارته الشمسية ووضعها مع علبة السيجائر ومفتاح السيارة على التربيزة الصغيرة التي أمامه

- تشرب قهوة ولا شاي ،. ..... اصلو مرتضى عازمنا اليوم يا صديقي

هكذا كانت مداعبة مختار

يرد خالد وعلى شفته ابتسامة جاهد كثيراً في رسمها :-

- ومرتضى يعزمنا شاي مفترض يعزمنا على سمك أو شيه ضان.

أيّد الجميع مقترح خالد بمرح طفولي ولم يكن هنالك مخرج خلاف أن نتوجه إلى أقرب مطعم يقدم تلك الوجبات خلاف عوضية سمك لوجود معارف مختار الأمين هناك.

داخل المطعم كان خالد العمرابي ممسكا بصورة عوض دكام سارحا في تفاصيل أحداث محاولة الاغتيال الفاشلة للرئيس المصري وضع الصورة جانباً وعيناه تحمل كثيرا من التفاصيل لم يشاء أحد أن يقطع صمت الرجل لعله يستجمع أفكاره خرج صوته هادئاً وكأنه يحكي قصة ما قبل النوم لأطفاله

نعم كانت هذه واحدة من أخطاء طارق الجعلى التي عجلت بالقضاء عليه فقد دعا الجعلى عوض دكام لزيارة اديس ابابا نزل يومها الدكتور بفيلا الجعلى فقد كان يسكن أعزبا ولهذه قصة كانت محل سجال بيننا فالكل كان يعلم الخلاف الدائر بين طارق الجعلى وزوجته

أشاحت سامية ببصرها وفتحت فمى دهشة

- خلاف

نطقتُ تلك الجملة بدون وعى مني ولم أجد أي إجابة، خلاف تجهم وجه سامية التي صمتت تماما

وقال خالد مواصلا حديثه:-

- نعم الخلاف كان قد وصل إلى أن يعيش طارق في اديس وحيداً وفي كثير من الأحيان كان اقتراح المقربين من خالد له بالزواج ولا أدري هل فعل ذلك أم لا. ؟.

جحظت عينا سامية بصورة كبيرة وهمت بقول شيء، إلا أن مختار الأمين قاطعها فورا محاولا عدم شخصنة تفاصيل السرد فاللقاء لهدف محدد :-

- وماذا عن عوض دكام

رد العمرابي

نعم كانت دعوة عوض دكام في هذا التوقيت تحديدا للتمويه ولكن دائماً ما تظهر المشاكل بحسن الظن وطيب النية بالصدفة المحضة خرج عوض دكام يوم الإثنين 26 يونيو 1995 إلى شارع بولي بوسط العاصمة الأثيوبية وأخذ يلتقط صوراً تذكارية كعادته عند خروجة خارج السودان

خرج عوض دون علم طارق الجعلى الذي كان مشغولاً باستقبال الرئيس السوداني باديس ابابا واثناء تجوال الدكتور أمام صينة شارع بولي الرئيسي التقط مع عدد من الأثيوبيين والسودانيين صور تذكارية وأيضا صور منفرداً تناول خالد الصورة وأخذ ينظر إليها، في هذه الأثناء وضع الساعي صينية مليئة بالأسماك أمامهم مع بقية الأصناف لم يتمالك البدين نفسه فقال بعد ان وقف وتوجه مسرعاً لغسل يديه :-

- نكمل بعد الأكل،. ...

ولأول مرة أري خالد العمرابي يضحك بهذه الطريقة وسط تبسمات عائشة الشريف التي لحقت بمختار بينما سامية ظلت واجمة بحديث العمرابي عن مشكلتها الشخصية مع زوجها تلك المشكلة هي التي فتحت شهيتي للطعام في انتظار يوم طويل من المظاهرات والمواكب ضد المنظومة الحاكمة.

23

كنت أعرف كل الدروب المؤدية إلى قلبك سيدتي، و سلكتها برغم وعورة الطريق.

ارتدت سامية يومها فستان أسود طويل مكشوف الأيادي وعلى رأسها غطاء أسود تائها مع شعرها الذي تركته مموجا يعبث بي كما تعبث الأمواج بقارب صغير - من قال بأن الأسود لون للحزن لم يري سامية ترتدي، راودتني ذات ليلة حلماً فصرت مجنوناً بها وفي الواقع لم أر سامية منذ ثلاثة أيام، أخِر لقاء لي بها كان بالمطعم الذي تناولنا فيه وجبة الأسماك النيلية برفقه مختار وعائشة والعمرابي، كان يوم للحداد كئيب ممزقاً كخرقة قديمة مرمية باهمال يحمل كل مظاهر البؤس، طويلٌ يومها وشاق. استرسل العمرابي في سرد أسرار تبعات محاولة اغتيال الرئيس المصري الفاشلة باديس ابابا قائلاً :-

- بعد فشل عملية اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك ألقت القوات الأمنية الأثيوبية القبض على جميع السابلة بالقرب من الصينية التي على شارع بولي وكان من ضمنهم الدكتور طبيب الأسنان الذي تم حجزه داخل أقبية جهاز الاستخبارات الأثيوبية وبعد تفتيش أمتعة المعتقلين وجد بحوزة الدكتور كاميرا حديثة بمقاييس تلك الفترة وبها صور للصينية وبعض المباني المطلة عليها فتم حجزه لعدة أسابيع ولم تستطيع السفارة السودانية يومها أن تتدخل لإطلاق سراحه إلى أن وصل تقرير مفصل عن الدكتور عوض دكام من السفارة الأثيوبية بالخرطوم والتي شهدت بأنه شخصية عامة مشهورة ولا تحوم حولها أي شبهات ولا ينتمي للنظام.

صمت العمرابي لبرهة وهو يطوف ببصره على المجموعة حوله، ارتشف من كوب العصير الذي امامه ثم واصل قائلاً :-

- عند رجوع عوض دكام إلى فيلا طارق الجعلى حدث امر غريب فقد كان من ضمن الموجودين سفير السودان بأثيوبيا وقتها علي السيد وشيخ علي عثمان محمد طه الذي كان في احدي زياراتة السرية، يومها احتد النقاش بين الجعلى وعلي عثمان في وجود السفير، ولم يعلم أحد سبب النقاش ولكن وصل إلى سمع عوض دكام أو هكذا ظننا، كان الخوف أن يكون الطبيب قد وصلته معلومات بخصوص العملية وتورط قيادات النظام فيها، رجع علي عثمان غاضبا يومها وظهرت عليه علامات التوتر.

بعد أيام قليلة كانت أقدام عوض دكام تلامسُ أرض مطار بولي الدولي وفى وداعه مضيفه طارق الجعلى وبمجرد وصوله إلى مطار الخرطوم تم وضعه تحت المراقبة بحذر ورفع تقارير عنه لمعرفة ما مدي معلوماته عن العملية وفى نفس اللحظة وضعت خطة محكمة للتخلص من طارق الجعلي الذي أصبح في عرف علي عثمان يمثل خطراً كبير وفعلاً بعد اجتماع ضم كلٌ من نافع على نافع وصلاح قوش.. أسامة عبدالله وآخرين تحركت فرقة مهام خاصة إلى أثيوبيا ضمت حوالي 4 من عناصر التنظيم (امن شعبي) أحد هؤلاء العناصر كانت تجمعة علاقة قربى بعيدة بطارق الجعلى، كانت الخطة تقتضي أن يتم تصفية طارق الجعلى باي طريقة دون أحداث ما يشير بأن نظام الخرطوم خلف هذ الأمر الذي تم بالتنسيق الكامل مع أحد العمال الاثيوبيين بوكالة الاغاثة الإسلامية.

جحظت عينا سامية وهي تسمع تفاصيل اغتيال زوجها الذي انقطعت أخباره تماما في تلك الفترة حتى إنه لم يكن يرد على اتصالاتها الأمر الذي أثار فيها كثيرا من الغضب.

واصل العمرابي وسط اهتمام مختار ونظرات عائشة الشريف التي انكمشت على نفسها من مشهد يعيد لها تلك التراجيديا المحزنة بمقتل زوجها أمام عينيها.

كانوا يحملون جوازات سفر أوربية إذ تم ابتعاثهم منذ زمن إلى عدد من الدول الاوربية للدراسة وتم حلق شعورهم بطريقة مميزة ولباس محدد فنايل (تي شيرت) وبناطلين جينز وأحذية اسبورت فبدى الأمر وكأنهم شباب في طريقهم لنيل الملذات في أثيوبيا ووصولوا إلى داخل العاصمة الأثيوبية عن طريق خطوط طيران مختلفة من مصر ودبي وكينيا والطيران الأثيوبي القادم من فرنسا تقابلوا للمرة الأولي

داخل أحد الفنادق ولمزيدٍ من التموية قضوا الليلة في الشرب والنساء وزادويوماً من عندهم مستمتعين بحياة أثيوبيا. أحمد عبدالمجيد ضابط أمن شعبي يبلغ من العمر 34 عاماً بُعث لمدة سته أشهر لدراسة اللغة الإنجليزية بلندن فقضى أكثر من خمس سنوات بها متجسساً على الجالية السودانية هناك فهو من قرية حجر العسل، غميء وخبيث يفعل كل المنكرات ولا يتورع من مضاجعة أنثى في الثمانين، له نظرة واضحة في النساء وأنهن لا يصحلُن إلا للنكاح برغم سنواته التي قضاها بالغرب، اسحق داؤد عصبي كثير الشرب له جسد ضخم قدم للجوء أكثر من مرة ولم يوفق تلقفته السفارة السودانية تائها بالقاهرة وأصبح أحد عيونها على السودانيين هناك، سافر إلى فرنسا بتمويل من الحكومة السودانية لدراسة إدارة الأعمال ولم يتم الدراسة. قدم للجوء وتم إعطاءه الجواز الفرنسي بعد فترة وجيزة تعامل مع سفارة السودانية برفع تقاريره عن قيادة الحركات المسلحة، متزوج من تشادية له ثلاثة أبناء يبلغ من العمر 38 سنه لا تظهر عليه علامات تقدم العمر، كمال الدين عبداللطيف أنيق جسده رياضي عليه غرة صلاة واضحة من اسرة متدينة عريقة بمدينه بحري والده من القيادات الإسلامية القديمة كان ميلاده بلندن فترة اعداد والده للدكتوراة بأحد جامعاتها، كانت لكمال الدين ميل جنسي شاذ فالتقارير تقول أنه تعرض لاعتدات جنسية متكررة فترة المراهقة مما خلق لديه حقد مخيف تجاه المجتمع، أما الشخصية الأخيرة لها صلة قرابة بطارق الجعلى من جانب والده، شرس خبيث مراوغ يدعى مجدي اليمنى أكبرهم سناً، وأحد الشباب الذين كانوا في التحرك الانقلابي ليلة 30 يونيو والدته يمنية عُين بسفارة السودان باليمن وهناك تعرف على أخواله ونال الجنسية اليمنية.

مكث أربعتهم ثلاث ليال ببارات أثيوبيا وبين أحضان بائعات الهوي وفي اليوم الثالث تواصل مجدي مع طارق الجعلى يعلمه أنه باديس ابابا مع بعض زملائه رحب الأخير بقريبه كأي سوداني وتواعدا أن يتقابلوا في كازينو بالقرب من كونج كونجي وبالفعل كان اللقاء وتبدو على الشباب علامات السكر والخمول مررها الجعلى بإنه طيش شباب ولتتم ضيافتهم وعندما عرض عليهم تناول وجبة بأحد المطاعم كان الرد قاطع بأنهم يحتاجون مزيدا من النوم بعد أن فقدوا جل مالهم في الفنادق حيث تعرضوا للسرقة. أخذهم الجعلى إلى منزله وهناك أخذوا قسطا من الراحة.

صبيحة اليوم التالي وبمجرد خروج طارق الجعلى لمكاتب الوكالة الإسلامية للإغاثة كان أسحق داؤود يعبث داخل غرفة نوم طارق الجعلى وخلف لوحة لمنظر طبيعي للسودان على الحائط تربعت خزينة صغيرة فتحها اسحق بسهولة تناول من داخلها مسدس ساقية بينما توزع البقية، توجه كمال الدين عبداللطيف ومجدي اليمني إلى الصالة مراقبين وتحرك أحمد عبدالمجيد إلى داخل مخزن ملحق بالفيلا أخذ يبحث بدقة وعيناه تطوف بالمكان بسرعة باحثة عن صندوق اسود قديم ، وجده تحت كم من المهملات أخرجه وفتحة على عجل وقعت عيناه على بعض الأسلحة التي كان من المفترض أن تتم بها عملية اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك، أخذ الصندوق بساعدين قويين وتحرك إلى الخارج.

كانوا يتحركون بسلاسة وكأنهم يعرفون الفيلا عن ظهر قلب ويحددون ما يريدون على وجه الدقة، وضعوا صندوق الأسلحة بغرفة طارق الجعلى تحت أحد المقاعد بعد أن أفرغوه تماما من محتوياته واخرجوا صور لمستندات القضية التي تدين نظام الخرطوم وتوضح علاقة بعض منسوبيه مع المتطرفين المصريين وتم تمزيقها ووضع جميع الأوراق وأي مستند معها كانت له قيمة داخل حقيبة معينة أخذوا كل الأسلحة وحقيبة الأوراق معهم لغرفتهم بالطابق الأول بعد سماع صوت الخادم الأثيوبي في الجهه المقابلة للفيلا معلنا قدومه.

24

الساعة تشير إلى تمام الثامنة مساء بتوقيت اديس ابابا تتوقف سيارة طارق الجعلى الفورويل أمام باب الفيلا والمطريعلن قدومه برذاذ خفيف. ينزل الجعلي بتمهل وأيادي الخادم الأثيوبي تتسابق لحمل محتويات السيارة والأوراق، يدخل الجعلى إلى الصالة وينادي على مجدي الذي يخرج من الغرفة مرتديا كامل ثيابه ينظر إليه طارق مندهشاً ويقول:-

- انتو كنتو بره ولا طالعين،. .....؟

يرد مجدي بقلق غير ظاهر :-

- لا حنطلع بعد شوية،. . كدا

الجعلى اعملوا حسابكم السلطات الأثيوبية تعتقل أغلب السودانيين ووصلنا انذار أخير بالمغادرة وغالباً أسافر للسودان خلال أيام، بعدين شكلو في مطر شديد حيكون،. .....

يقف الخادم الأثيوبي أمام سيده متساءلا هل يضع الشنطة وبقية المحتويات على المكتب أم داخل الغرفة في الأعلى يستلم كمال الدين الأغراض منه وطارق يأذن له بالانصراف

- ان شاء الله تكونوا اكلتو حاجه اديس جوها بارد

قال طارق كلماته تلك وهو متوجه إلى الطابق الأعلى حيث الغرفة وكمال الدين من خلفه.

- ايوة اكلنا..... الحمد لله تسفاي ما قصر معانا،. .

فتح الجعلى باب الغرفة وعينه تنظر لمحتوياتها سأل باستغراب من الذي أتى بهذا الصندوق إلى الغرفة..؟

وفجأة تنهال على رأسه ضربة قوية افقدته توازنه وهو يفتح عيناه في هلع ينظر إلى كمال الذي لحقت به بقية المجموعة وعلى يد اسحق كان مسدس طارق نفسه بعد أن تم وضع كاتم الصوت فيه إنطلقت منه رصاصة أستقرت بين عيني طارق الجعلى التى جحظتا في رعب حقيقي وسقط مضرجاً بالدماء سارع مجدي وأحمد عبدالمجيد بضرب الرجل على رأسه مرة أخرى صمت بعدها جسده تماما وتناثر دمه في أرجاء الغرفة.

اسرعوا بالنزول بعد أخذ شنطة طارق الجعلى وبقية الأوراق، نزلو من الغرفة كانت أغراضهم جاهزة ولكن كانت في انتظارهم مفاجأة أخرى داخل غرفتهم كان الخادم الأثيوبي يعبث بمحتوياتها وقفوا متسمرين إلا أن اسحق ركله على بطنه بقوة واطلق رصاصة استقرت على قلبه تماما و بأسرع مما هو متوقع وضع اسحق داؤود المسدس على يد الأثيوبي بعد أن تأكد أنه لفظ أنفاسه الأخيرة. خرجت المجموعة على عجل بعد أن أخذت كل ما يشير إلى مشاركة نظام الخرطوم في عملية الاغتيال الفاشلة وتركت جثتين داخل الفيلا.

تحركوا إلى منزل محمد الفاتح يوسف الذي لا يبعد كثيرا عن فيلا طارق الجعلى في ذات الحي النائي توقفت سيارة رينو حمراء أمام فيلا محمد الفاتح يوسف وترجل منها كمال الدين عبداللطيف يحمل كلاشنكوف بين يديه ومن خلفه كان مجدي اليمنى يحمل مسدس ساقية آخر عثر عليه ضمن الأسلحة التي كانت في الصندوق، على مقعد السائق تربع اسحق داؤود متحفزا للانطلاق ونزل أحمد عبدالمجيد مراقبا الشارع من السابلة والشرطة الأثيوبية، اجتاز الإثنين الأوائل حديقة فيلا دكتور محمد الفاتح يوسف بسرعة وخبره تدل على إنهم على درايه بخريطة مهمتهم.

رن جرس باب الفيلا، في هذا التوقيت بدأت الامطار تهطل بغزارة، جلس محمد الفاتح مع زوجته الأثيوبية بصالة المعيشة اندهش الدكتور وهو يسمع جرس الباب ناظراً إلى زوجته التي لم تبدي استغراباً لعله أحد أقاربها، تقدم محمد الفاتح بخطي ثقيلة نحو باب الفيلا فتح الباب فتحة صغيرة بحيث يستطيع معرفة

القادم، طالعه وجه وسيم بملامح سودانية عليه غرة صلاة نظر إليه وعلامات الاستفهام تبدو على وجه،. .

- السلام عليكم

بلهجة سودانية خالصة بادر كمال عبداللطيف دكتور محمد الفاتح بالتحية

رد الدكتور ومازالت علامات الاستفهام تراوح مكانها

- وعليكم السلام،. ..... اتفضل

فتح كامل باب الفيلا وعند نهاية الممر كانت زوجته الأثيوبية تتطلع للقادم الذي يتحدث العربية وبمجرد أن اكتملت نصف الدائرة التي يخطها باب الفيلا كان مسدس مجدي اليمني يظهر من خلف كمال ويطلق زخات من الرصاص تلقاها دكتور محمد الفاتح يوسف على صدره وعنقه ورأسه، زوجة محمد الفاتح أصابها ذهول لحظي فوقفت متسمرة من هول المفاجأة وجسد زوجها يترنح. لم تمضي سوى أربعة دقائق وكان جسد الدكتور مسجي على أرض الفيلا أمام الباب والسيارة الرينو الحمراء تنطلق في اتجاه الطريق البري إلى السودان.

25

وصل أمر اعتقال الدكتور عوض دكام إلى الخرطوم قبل أن تلامس أقدامه أراضيها وبمجرد وصوله إلى المطار كان في استقبالة عدد من الفنانيين والمشاهير فرحين برجوعه سالماً، مضت الأيام ثقيلة كئيبة في ظل قبضة امنية اثقلت ظهر الوطن لم تكن الخرطوم كعهدها دائما أصابها الوجوم أصبحت ثقيلة الدم إلا من لحظات يقطتفها الفنانون بين حين وحين وقعدات بصالونات بعض الرموز، هجر أغلب الشعراء والفانون السودان، بدأ الدكتور عوض دكام يبدي ضيقه وحنقه. كثيرا ما أبدى تحفظه على ممارسات النظام وتضيقه على المشاهير وأصحاب المواهب وبدأت الثرثرة تأخذ حيزا آخر حول تلك الأحداث التى كانت بمنزل طارق الجعلي ووصل همس طبيب الأسنان إلى صلاح قوش مسجلاً على شريط كاسيت على ما يبدو أن الطبيب تعرض لخيانة ما وجزء من ثرثرته حول محاولة اغتيال الرئيس المصري كان مسموعا هناك، لم تمضي أكثر من نصف ساعة حتى كان تقريرا مفصلا حول الطبيب موضوعا على مكتب شيخ علي الذي لم يأخذه التفكير إلى أي اتجاه آخر سوى كتم هذا الثرثار وإلى الأبد.

رفع خالد الجعلى نظره داخل المطعم بعد سرد طويل لأحداث متلاحقة ظلت طى الكتمان لسنوات عديدة ولعل ما شجع العمرابي على خوض مغامرة نشر تلك الأسرار مع عدد من الوثائق هو ذلك الحديث الذي داربينى وبينه يوما ما. واعتقد أن هنالك سببا آخر هو تلك الاحتجاجات الأخيرة التي تعم البلاد لأكثر من شهر والتي يري بأنها تختلف عن بقية الاحتجاجات السابقة.

أخذت سامية ترتجف من هول تلك الأحداث ولم تستطع التعليق وخالد يحكى لها تفاصيل اغتيال زوجها بمؤامرة دنيئة وغدرٍ واضح، مختار الأمين أصابه الخرس المؤقت وهو يتطلع إلى القاص الذي أصبح يتصبب عرقاً بالرغم من برودة الجو.

كان يوماً خانقاً شديد التوتر حتى أن عائشة الشريف أصابتها نوبة ضيق الشعب الهوائية وهي تستمع كيف قتل محمد الفاتح يوسف أمام زوجته الأثيوبية الأمر الذي أعاد لها مشهد قتل زوجها علي البشير.

كنت أتابع كل هذا بضيق حقيقي كيف لأمثال خالد العمرابي أن يصمتوا كل هذا الوقت عن فضح مثل تلك الممارسات، لم استوعب حقيقة أن يكون الولاء لمثل تلك المنظومة لهذه الدرجة، أخذت أنظر إلى خالد وداخلى يغلي من الألم ألهذا خلق الله السودان، نظرت إلى سامية طويلا ودقات قلبي مثل طارصوفي يمدح النبي صلي الله عليه وسلم وتمنيت لو احتويتها بين يدي مخففا عنها اغترابها الداخلي: مؤذية هي لحظات الشوق لشخص أمامك ولا تستطيع أن تعبر عنها.

أخرج العمرابي زفرات حرى وهو يتطلع إلى الصورة الفوتغرافية لعوض دكام وقال بصوت أقرب إلى الهمس :-

- لقد تم قتله بالسم لقد كانت مادة (الريتسين) جحظت عينا عائشة الشريف هلعاً فتحت فمي برعب حقيقي وقفت كثيرا لاسم المادة وكنت أهِمُ بسؤاله كيف تم الحصول على هذه المادة فالرايستين بحكم دراستي كطبيب هو بروتين شديد السمية، يستخرج من بذور نبات الخروع يقلل من تصنيع البروتين بالجسم وله مدي سام واسع بالجسم ولاسيما على جهاز المناعة حيث يثبطه. ولايوجد لهذا السم ترياق. مما يجعله سما شديد التأثير. وأعراضه الأولية تعتمد على طريقه التعرض له ومن بينها الحمى وتلبك معوي والكحة لم أفِق من أفكاري وأنا أهمُ بالسؤال حتى باغتني خالد برد مباشر.

- تلك المادة وفرتها إيران للنظام بشكل أساسي وكان من المفترض أن يتم دمجها مع غازات أخرى لتصنيع عبوات الغاز المسيل للدموع وبعض أنواع القنابل لقد تم تعريض الدكتور للمادة عن طريق وضعها له داخل مكيف سيارته مرة ومكيف العيادة مرة أخرى وفى نفس اللحظة تم دسها في ساندوتيش شاورما.

26

جلست سامية أمامي داخل كافتيريا الريفيرا بأمدرمان مثل ملاك صغير ترتدي أسودا يليق بها تماماً، لم أشفي منها حتى وهي بجانبي توضأت بماء شوقها فلا صلاة لقلبي بدون حبها، كانت تنظر في اللاشئ عيناها سحابة حزن وصمت بلا حدود، صحراء قاحلة بعد أن تم محو كل لون أخضر داخلها، أي ألمٍ يعيشه الوطن داخلك سيدتى! وأي كره تحملينه لهؤلاء الذين يتحدثون باسم الدين!، خلفي كانت معزوفة حزينة، ترسلُ نغمات الناي مرثية للشهداء، يعلو صداها مع آهات الأمهات المفجوعات بفقد ابنائهن في الاحتجاجات الأخيرة، وأنا المتيم بها فقدت وطنا منذ أن وعيت، لا أدري لماذا تذكرت مقولة علي شريعتي في هذه اللحظة (واقع كل ثورة بعد سقوط الديكتاتور يذهب الثائر ليخلد للنوم والراحة ويستيقظ المتخاذل من نومه بكل نشاط ليستلم السلطة).

صمتت سامية صمتاً للوطن والصمت عزيزتي لا يشفي الوجع بداخلنا ولا يسد فراغات الاشتياق التي تعتلينا ولا يصلح خلل عقولنا الصمت مخدر يضمدُ جراحنا لساعات فتحدثي أستحلفك بخيار الشعب أن تتكلمي، رفعت سامية أهدابها فتقافزت ملائكة الرحمة تثبت قلبي كي لا يطير، نظرت داخل عينيها مدّت يديها تقبض على كفي براحتيها أيقنت لحظتها أن الدفء يأتي بالقرب من الحبيب قالت بشجن :-

ما عارفة أنا ملخبطة يا مرتضى شعوري نحوك دا ما عرفت افسرو كيف! بالجد

ركعت أمام شوقي لكلمتها ارتل تعويذه المجوس أمام نار حبي لها :-

- فكري كويس يا سامية أكيد مافي شعور بجى من فراغ انتى عارفة إحساسي ناحيتك.

نظرت إلى وهي تعصر بكفيها على يدي ذبت من دفء يديها ودمعة تنزل من عينها اليسرى تبلل صحراء حياتي من قبلها.

- الحاجة الوحيدة المتأكدة منها مرتضى اني بكون مرتاحة لمن اشوفك وبشتاق ليك في غيابك ! وهل يكون الحب خلاف هذا سيدتى فكلماتك تلك بللت قلبي العاشق بعد شوق فياض، شددتُ على كفيها وأنا أنظر إلى شروق شمس وجهها أمامي يضئ وطناً داخلي.

إذن سيدتى لندع الأيام تفعل ما تريد، دعيها فهي مأمورة ببناء محراب حب نتعبد فيه سويا..

وفى ذلك اليوم بُحتُ بسري إلى سامية بأنني أقوم بتدوين أحداث زيارتي للسودان تلك لعمل رواية أهداءاً لها

ابتسمت سامية بخجل وواصلت حديثي :-

- لقد اتفقت مع خالد ان يمدنى بكل الوثائق التى تؤكد تورط بعض النافذين في قتل من شاركوا في المحاولة الفاشلة لأغتيال حسني مبارك، نظرت إلىّ سامية بعد أن وضعت راحة يدها علي كفي وهي تقول :-

- وكيف وثق فيك خالد !!!؟ كنت اعتقد أنه لا يبادلك الود.

سرحت في ذلك اليوم الذي جمعني أنا وخالد العمرابي فقد تعري أمامي،. .كان يبكي بحرقة سالت دموعه غزيرة كنت اعتقد بأنه تانيب ضميرولكن اتضح لى أن الخوف كان مسيطراً عليه فتلك طبيعة المقهور التي ذكرها مصطفى حجازي في كتابه سيكلوجية الانسان واسهب في شرحها فرويد، وكثيرمن علماء النفس،. .. الخوف. . الخوف من المواجهه يلعب الخصم دائماً على هذا الوترعلى خوفك ورعبك، خرجت من شرودي هذا ونظرت إلى سامية قائلاً :-

سوف أحكي لك يوما ما عن ثقة بخالد العمرابي تلك، وكيف كانت.

تلك الليلة سكنت فيها سامية بجواري حبيبة وسماء الخرطوم تهطلُ حجارة من سجيل على النظام وهتافات الثورة ترتفع في كل مدن السودان بشعارها تسقط بس

27

لم تكن عائشة الشريف ابنة الثانية والعشرون تدري وهي تعتلي سيارة زوجها علي البشير مساء ذلك اليوم بأن اللحظات القادمة هي المسافة الواقعة بين دفء أسرتها الصغيرة وفقدان زوجها الأبدي أخذت طفلتها بين أحضانها تقبلها وبداها تعمل على إعادة ترتيب عمامة زوجها.

الرابع والعشرون من مايو للعام ألفين وواحد، كُتِب على اللوح المحفوظ بأن تُقبض روح علي البشير بدراما أقل ما تكون: واقعية، علي البشير زوجها وابن عمتها خريج جامعة السُّودان، كليَّة الهندسة الميكانيكيَّة، كانت تعلم بحكم توجهها للتيار الإسلامى مشاركة زوجها وبفاعليَّة في تنفيذ الانقلاب فهو من المدنيين الذين إرتدوا الزي العسكري يومها للتحرك المشهور باسم الانقاذ سنة 1989.

وجد علي البشير رعاية خاصة نسبة لنبوغه في مجاله التنظيمي والهندسي فقد تمَّ تأهيله تأهيلاً كبيراً في مجال العمل الإستخباري والعسكري والتقني.. يحكي لها دائما بأنه أول من حمل جهاز كمبيوتر في تاريخ القوَّات المُسلَّحة أثناء مشاركته في حرب الجنوب وكانت مغامراته في الأحراش هي حديثهم الدائم بعد المفاصلة، حدثها بأنه كان يُرسلُ الإشارات من جهاز الكمبيوتر وسط دهشة الضباط، من مناطق العمليات إلى رئاسة وزارة الدفاع في الخرطوم هي الآن تذكر حديثه لها عن مهارته في استخدام الأسلحة الخفيفة والثقيلة ويشرح كيف تدرَّب على قيادة الدبابات كانت تعلم طبيعة عمله أيضاً بسفارة السودان عندما انتدب لها بجمهورية تشاد حيث أدار العمل الإستخباري في منطقة غرب أفريقيا وحوض النيل..

ومن خلال عيون مليئة بالدموع احتضنت عائشة صورة زوجها نظر إليها خالد العمرابي والأسي يعتصر قلبه، مسحتُ بأطراف يدي على رأس ابنة علي البشير التي فقدت النطق منذ رؤيه مقتل والدها وما يقارب السبع عشر عاماً لم تلفظ

كلمة كانت نظرات الذهول فقط هي ما تعبر به مع نوبات بكاء هستيري تعتليها بين الحين والحين احتضنت سامية عائشة ودخلن في نوبة بكاء حار.

نظرت راسماً دهشة على ملامحي وهمست في سري :-

- أي عبط هذا لماذا يبكين،. .....؟

أيبكين أزواجهم الذين تسببوا في ألم وطن كامل أم يبكين الخيبة التي رمتهم في أحضان مثل هؤلا الرجال الذين أبكوا شعباً ثلاثين من السنوات العجاف.

داخل منزل عائشة الشريف بالدروشاب كانت تلك التراجيديا التي ألهبت ظهر الوطن وسخرية القدر أن تتباكى أرامل على أزواجهن الذين رملوا ثلث الوطن تناول مختار الأمين كوبا من الماء ومدّه إلى عائشة التي تجرعت بعضاً منه واستغفرت رب العالمين ثلاثاً عبس وجه سامية مع ذكر الرحمن وتمتمت قائله :-

- البكاء عليهم خيانه للوطن لقد كنا نبكى خيبتنا عائشة

تهللت أساريري بهذا الكلام إذن فقد حلت عقدة سامية أو هكذا اعتقدت. خرج صوت مختار الأمين معاتباً :-

- لا اعتقد سيدتي، البكاء والحزن الآن على تلك الطريقة التي أُخذ بها زوجك وزوج عائشة. فالموضوع ليس شخصي إطلاقا ولا تشفّي في الضحايا بل نبكي طريقة القتل البشعة التي تمت بها إرسال أرواحهم عند رب رحيم.

أومأ خالد برأسه موافقاً حديث مختار وهو يقول :-

- لم تكن تلك الطريقة نتاجا للصدفه بل هي أرضية فكر المنظومة بأكملها.. رفعتُ حاجب الدهشه وأنا استمع لكلمات خالد الذي واصل حديثة :-

- بعد الاجتماع الأخير بمنزل علي عثمان والذي أوصي فيه الترابي بخروج المصريين الثلاثة (مصطفى حمزة وعزت نائب مصطفى حمزة وحسين شهيت) الذين إحتموا بالخرطوم وتم ترحيلهم بطائرة خاصة إلى أفغانستان... أصبحت سهام الشيخ العجوز تتسابق في ضرب صدور كل معارضيه لم يكتفى الترابي بذلك وإمعاناً في إذلال خصومه داخل التيار الإسلامى الذي صنعه، عمد علي تشكيل

لجنة تحقيق في أحداث محاولة الاغتيال هذه، لم أرَ في حياتي علي عثمان ونافع بهذا الضعف وهم يتبارون في نفي كثير من الحقائق. كثرت رحلات على عثمان إلى اديس ابابا وكان أن احتد مع طارق عثمان الجعلي كما ذكرت سابقاً، وأوصي شيخ الترابي بتشكيل لجنة تحقيق في ماهية تلك العملية وأوكلها علي البشير، الحقيقة التي يجب أن أذكرها بأن علي البشير وفي فترة وجيزة استطاع أن يجمع كثير من الأدلة التي تدين المجموعة التي شاركت الجهاد الإسلامى في وضع الخطة وتمويل اغتيال مبارك.

توقف خالد العمرابي عن الحديث وهو ينظر إلى الأرض ظهرت على ملامحه قوة وهو يقول :-

- السياسة لاتعرف العجز والعاجز يُسحق في العمل السياسي فقد كان واضحاً أن علي عثمان وآخرون يجمعون على الغدر والغدر من شيمتنا نحن الإسلاميين أو هكذا أصبحت اعتقد، تم الاستعانه بالمؤسسة العسكرية في المواجهة ضد الترابي خرج البشير في الثامن من رمضان لو تذكرون معلناً شق التنظيم بناء على مذكرة وقع عليها عشرة من قيادات التنظيم.

قاطعة مختار قائلاً :- نعم مذكرة العشرة

واصل العمرابي حديثة :-

نعم استعانت تلك القيادات بالجيش في مواجهة المدنيين داخل التنظيم وفي البداية كان الانقسام يحمل مسمى القصر والمنشية وبمجرد إعلان الشيخ العجوز عن المؤتمر الشعبي أصبح الانقسام واضحاً و.....

قطع صوت مختار الأمين تسلسل أحداث خالد للمرة الثانية:-

- هل كان انضمام علي البشير للمؤتمر الشعبي سببا في قتله؟؟؟

صمت خالد طويلاً حتى خيل لى بأنه لم يستوعب سؤال مختار إلا أنه استدرك قائلاً:-

- في اعتقادي إن مقتل علي البشير بهذه الطريقة البشعة كانت رسالة

للحزب المنشق وأيضاً تصفية حسابات في شخص علي البشير فبحكم متابعتي اللصيقة لمحاولة اغتيال مبارك وما سببته بعد فشلها : باستطاعتي أن أقول أن المؤتمر الوطني في تلك الفترة كان يحمل غِلاً اتجاه المؤتمر الشعبي يضاهى بل يفوق غِله اتجاه الشيوعي فالسبب الأكبر لسجن الترابي وإبعاده عن المؤتمر الوطني كان تلك الطريقة المهينة التي تعامل بها مع من شاركوا في المحاولة. يتناول العمرابي صندوق السجائر يشعل واحدة ينفث دخانها في الهواء ويقول :-

- علي البشير كان يحمل كماً هائلاً من المعلومات، جمعته صداقة قوية بأسامة عبدالله في فترة سابقة.

رفع خالد نظرة إلينا متمعناً في وجوه من حوله ثم قال لقد كان ملف علي البشير في يد أسامة عبدالله وصلاح قوش.

أطلق العمرابي تنهيدة واضحة ثم رشف من كوب الماء حيث تدخلت عائشة الشريف تتحدث من بين دموعها عن تفاصيل ذكرها زوجها:-

- لقد تم إغراء علي بعدد من المناصب بعد أن إتخذ موقفاً ضد المؤتمر الوطني ومن ضمن ما عُرِض عليه أن يعود إلى وظيفته بالتصنيع الحربي مع الراتب الذي يحدده هو، رفض وبشدة كل العروض برغم الظروف المادية التي كنا نمر بها وحتى بعد زيارة أسامة عبدالله وصلاح قوش هنا بالمنزل لم يخرجوا منه بجديد.

صمتت عائشة وأنين ذكرى زوجها يعتصرها عصراً.

نفث العمرابي نفثاً أخير من سجارته وهو يقول :-

- يوماً بعد يوم تنامى كره عظيم للمهندس علي البشير في قلب قيادات المؤتمر الوطني، تمت سرقة جهاز اللابتوب الخاص به بأوامر من أسامة عبدالله واتضح لنا بعدها ان أغلب الملفات الخاصة بالتحقيق في قضية اغتال حسني مبارك والذي اصطلح على تسميتها (الهجرة) كانت محفوظة في مكان ما آخر يعلمه علي البشير وبعض قيادات المؤتمر الشعبي واعتقد بان أغلب الافادات التي صرح بها الترابي على قناة الجزيرة كانت من ضمن التحقيق الذي قام به علي البشير ولكن الشيخ لم يكن أميناً ولم يشير إلى مصدر المعلوماته.

28

طارعقل علي عثمان مساء خميس صيفي وهو يردع أسامة عبدالله بتقصيرة في مهمة إستمالة علي البشير.

تدخل نافع مواضحاً أن علي البشير شخصية غير اعتيادية وله ولاء غير منطقي للترابي، تلاقت عينا نافع علي نافع وعلي عثمان وتحت وهج النيران كانت المأساة.

يرن جرس التلفون داخل أحد مكاتب جهاز الأمن بموقف شندي يرفع هشام عوض النور الحسن سماعة الهاتف يلقي هشام التحية بعد معرفة المتصل على الجانب الآخر، أخذ يستمع بصمت وبين كل لحظة والأخرى يومئ برأسه ويقول :-

- تمام سعادتك،. ...تمام سعادتك

استمرت المكالمة ما يقارب النصف ساعة وهشام عوض يستمع بخشوع تام وضع بعدها سماعة الهاتف الثابت سرح للحظات ثم أخرج فائلاً من بين الأوراق المرصوصة على مكتبه، العنوان على الفائل علي البشير مكتوب بقلم شيني أحمر أخذ يقلب الأوراق، ويجمع منها بعض المعلومات، كتب جزء منها علي ورقة صغيرة وأخذ سماعة الهاتف للمرة الثانية وقام بالاتصال.

صوت رنين الهاتف على الجانب الآخر يتواصل يرد أحمد عبدالقادر ساتي ويتبادل التحايا مع المتصل.

يصل صوت هشام عوض إليه هامساً :-

- أسمع في ماموريه اليوم ممكن نتقابل بعد نص ساعة في المكتب هنا موقف شندي..

جاء الرد سريعا،. .....

- أيوة ممكن،.. على أتم الاستعداد،..

لحظات صمت تبدو قصيرة يستدرك فيها هشام أن المهمة تتطلب ثلاثة اشخاص ذكروا له في الاتصال السابق يرد:-

- طيب ممتاز ، خلى عوض عابدين العوض يجي معاك في أوامر بي كدا المأمورية دي نطلع فيها نحنا الثلاثة.

لم تمضي نصف ساعة حتى كان ثلاثتهم يستقلون سيارة بيك أب وفي طريقهم لمنزل علي البشير الأوامر تقتضي أن يتم خلق مشاجرة معه تنتهى بقتله.

حركة الهواء تقل مع اقتراب السيارة لحى المهندس الشاب، الشمس تنتحي في رحلتها حياءاً من الحقيقة القادمة وكأنها تعجل الغروب، تمام السادسة مساء تعج الطرقات بحي الدروشاب بالعابرين الكادحين، كلٌ يلملم أطراف الخيبة بنهاية يوم من حكم المؤبد بحياة اتسمت بنفاق الحاكم وقهر المحكوم، ضغط أحمد عبدالقادر على مكابح السيارة وهو ينظر للإثنين الذين تربعوا على يمينه وقال :-

- الموضوع دا ممكن يكبر حبة لو تدخل أولاد الحلة ورجال يكون علي البشير على معرفه بهم من سكان الحي.

وكأن كلماته قد نزلت من السماء تفتح باباً مخفياً لهم أيد عوض عابدين ما ذهب إليه أحمد وعضض حديثة قائلاً :-

- ايوة معاك بالأخص الشوارع في المنطقة دي مليانه بشر

رد هشام عوض الحديث بتساؤل :-

- رايكم شنو..؟ أنا بعرف عساكر من الشرطة الشعبية في نقطة الدروشاب اتصل عليهم ونسوق معانا عدد منهم.

لم ينتظر أحمد ساتى أي تأييد من البقية فشرع في تنفيذ ما تبادر في ذهنه، أخرج تلفونه المحمول وضغط على رقم بدليل الهاتف لم تمضي لحظات حتى رد الآخر :-

- ياعمك الأخبار اليوم طريتنا والله امس معاي الرشيد بابكر في سيرتك

رد أحمد :-

- تمام والله يا تركاش انت وين،. ..؟

كانت لهجة أحمد تحمل كثير من التوتر الأمر الذي دفع عبدالله تركاش إلى الرد مستغرباً

- نحن في نقطة بسط الأمن الشامل مالك الحاصل شنو،. ..؟

صمت أحمد ساتى للحظات ثم قال :-

- لا بس..... عندنا مهمة،. .... في مهندس كان شغال في الحكومة وشال العربية بتاعة الشغل وكب الزوغة كنا متابعنو وهسة عرفنا مكانو وين رد تركاش بحماس :-

- يا زول امرك مقضي تب تعال علينا معاي خالد إسماعيل آدم والرشيد بابكر وقبل شوية دخل علينا تاج الدين مصطفى منتظرنك.

أغلق أحمد ساتى الخط وشرح للبقية تفاصيل المكالمة غَير مسار السيارة بوصف أحمد نحو نقطة بسط الأمن الشامل.

في هذه الاثناء وعلى الجانب الآخر ارتدت عائشة الشريف ثوبها واحكمت رباط رأسها بعد أن تعطرت ووضعت قليل من العطور السودانية على عنق ابنتها الصغيرة ثم أخذت في إعادة ربط شرايط حمراء على شعرها وهي تهزج ببعض ألاغاني التي تمدح فيها صغيرتها خرج صوت علي البشير منها زوجته أن تسرع في الخروج.

- بسرعة ياعائشة عايز نلحق المغرب في الصافية

ردت عائشة وهي تحمل ابنتها،. ...

- بس خلاص جاهزين. .

تحركت الأسرة الصغيرة إلى الخارج بعد أن أحكم علي البشير أغلاق أبواب المنزل، عائشة مبتهجة وعلى شفتيها ابتسامة تتربع على الجانب الأيمن لزوجها داخل السيارة الدبل كبين وتقوم بإصلاح عمامة زوجها الذي يدير المحرك متمتماً ببعض الأذكار لركوب الدابه، لم تمضي لحظات حتى ساد هرج خلفهم وعدد من الرجال يتقافزمن على بكسي نظر علي البشير إلى السيارة خلفه ومن أرقامها أيقن أنها تتبع إلى أي جهه كانت أصواتهم متتداخله وهم يهرولون نحوه.

اقيف يا زول،. ..... يازول اقيييف.

تحرك علي البشير وضغط على دواسة البنزين وعائشة تتساءل بهلع

- في شنو ياعلي مالم ديل،. .. الحاص شنو،. .؟

إنطلق علي البشير بسرعة تجاوزت ال70 ك/س في شوارع ضيقة مأهولة بالعابيرين الذين فتحوا أعينهم دهشةً وهم يشاهدون مطاردة كما الأفلام الأميريكية على قناة أم بي سي 2، الغباريرشح من تحت إطارات السيارات وهتاف عساكر بسط الأمن الشامل يملاء المكان.

- افتح الطريق يازول.... زح بعيد،. ....يا حيوان افتح الطريق.

فجأة وفى منتصف الطريق طفل في العاشرة يعيق مسار المهندس المطارد نصف متر أو أقل لطفك يا رب توقفت السيارة الدبل كبين على بعد سنتمرات والطفل يفتح عينه بهلع ناظرا إلى السائق وعائشة تصرخ

- حتضرب الولد.... علي،. . علي

ضغط علي على الفرامل بكل قوته الأمر الذي جعل العربة تصدر صوتا قويا وتنسحب إلى الأمام مخلفه وراءها دخان عظيم وغبار متجنبة الاصطدام بالطفل، فجّت السيارة الأخرى العجاج وترجل من بها في لمح البصر تقدم هشام عوض النور شاهراً سلاحة نحو السائق ومن خلفه أحمد ساتى وعوض عابدين فتح الأول باب السائق وتناول علي البشير بقبضة يده قاوم المهندس بكل قوة وصراخ ابنته الصغيرة وزوجته يصم اذنيه، تكالب ثلاثتهم عليه وتم انزاله بالقوة تجمهر عدد من المارة : فالمشهد غير مألوف فُتحت الأبواب التي على الشارع تستوضح

الأمر بدافع الفضول. شرع أحمد ساتي وعوض عابدين بضرب المهندس على رجله اليسري بماسورة كانت بيد أحمد ساتي سقط أثرها علي الأرض المشهد يتطور والفضول يزداد. تتعالي صيحات عائشة وهي تشاهد زوجها مرمى تحت الركلات والضرب المباشر يندفع بعض العابرين لاستوضاح الأمر يرفع هشام عوض النور سلاح إلى أعلى ويصيح :-

- ماعندك دعوي يا زول نحنا حكومة...

تنسحب الأصوات المعارضة متحسرة على أمن الوطن يصنع أفراد الشرطة الشعبية طوقا بأجسادهم علي سيارة المهندس وداخلها زوجته التي احتضنت صغيرتها وهي ترتجف بقوة وابنتها تتشبث بها يسحب أحمد ساتى وعوض عابدين المهندس علي البشير مسافة امتار من أعين زوجته ممسكين على كتفيه وساعديه فقد المهندس القدرة على المقاومة بعد الضرب والركل الذي تعرض له، تجحظ عينا عائشة وهي تشهد هشام عوض النور يضع فهوة مسدسه على رأس زوجها تحت أذنه اليسري تضم صغيرتها وهي تصرخ تحاول فتح باب السيارة ليدخل إليها عبدالله اوشيك من مقعد السائق ويحول دون نزولها، منع خالد إسماعيل فتح الباب من الخارج لم يكن يدور بخلدهم أنها عملية قتل كانو يتوقعون أن هشام عوض الكريم يقوم بتخويف سارق السيارة حسب ما وصل إليهم جحظت أعينهم وارتسمت علامات الدهشة مع صوت العيار الناري الذي شق قلب عائشة قبل أن يلج إلى رأس زوجها لم يفهم عساكر الشرطة الشعبية الأمر،. .وقفوا وعلامات الحيرة تغطى وجوههم وهم ينظرون إلى جثة المهندس الهامدة أمامهم.

وضع هشام عوض النور سلاحه علي خصره ببرود وتحرك نحو سيارة المهندس بعد جر عائشة منها بواسطة أحمد ساتى وعوض عابدين نزلت عائشة صامته جاحظة العينين تنظر فقط إلى جثمان زوجها تحركت السيارات من منطقة الحادث ووجع عائشة يماثل صدمة ابنتها التي فقدت النطق منذ ذاك الوقت.

29

عندما رأيتكِ أول مرة بمكتب مختار الأمين عانقتكِ طويلاً أخبرتكِ عن أيامي السيئة بدونكِ إعتذرت كثيراً لنفسي عن غيابي عنكِ، أخبرتكِ يومها كم كنت عالقاً في الموسيقى التي تشبهك مكتفي بكِ هنالك في ذاكرتي قبل أن أراكِ فكل الذي عشته قبلك نارتنتهى إلى رماد سيدتي.

أكثر ما كان يخيفني هو فقدان سامية بعد أن وجدت الحب معها، ظل الخوف داخلي يرفض التصالح معي كأن هناك مانع ما لشيء يغض مضجعي ولا أدري ما هو، لعلها لعنة طارق الجعلى التي ظلت تصاحبني منذ أن إلتقيت به بمستشفى الأسنان وعرض على الإنضمام إلى تنظيم المؤتمر الوطني،.. الحب سيدتي شيء من عظمة الله وأنفاس الشيطان وعذابات الأنبياء وغموض الآلهة، وأنا نبي الأحزان،.. رسول التعاسة أبحثُ عن نفسي بين ركُام الذكريات وبقايا الألم وهواجس الفراق وأي شوق إلى عينيكِ سيدتي شوق يجعل الحزن رفيقي يرسلني إلى عوالم استهلاك النفس وعذاباتها.

إنها الثالثة صباحاً أيها العاشق المجنون مازلت أتقلب على فراشي يجافيني النوم شوقاَ لأرملة شيطان مات مغدوراً بلهيب النار وهو من نار،.. الثالثة صباحا أُرتل كل تعاويذ الديانات السماوية والأرضية لعل إحداها ترفق بي.

ياللحزن..... لقد جِئتُ إلى الوطن بعد غياب مطأطء الرأس محبط الطموحات عاشقاً لأرملة.

إنها الثالثة صباحاً: موعدي مع الأرق وطاحونة الذكريات موعدي مع اليقين بوطن والشك في حبي لكِ وللوطن.

أصنع لنفسي كأساً من القهوةِ... الماء يغلي وداخلي يغلي من الشجن أجتر مرارة

الذكرى مع سيجارة أشعلتها لعلها تبدد ما بي من توتر. . أرتشف البن المسحوق بعظام الوجع عليّ أن أري وجه سامية على سطح الكوب، خمس وعشرون سنة من الجفاف أينعت شكاً وألماً... وعتمة الفقد والخوف من القادم الآن وقد جف حبر التمنيات فليكن من حكم القدر ما يكن،. . رسالة واتساب تقطع كل ما بي.

- صاحي. .؟

صورة الثائر من عطبرة رافعاً يده بأشارة النصر وضعتها سامية على بروفايل الوتساب وأي نصر أكثر من هذا ، كتب لها :-

- ما نمت أساساً. .!!

تخرج حروف كلماتها صوتٌ له صدي

- مالك ما نمت. !!! أنا برضو ما جاني نوم بفكر فيك كتير.

صمتٌ دام دهراً.... وحروف الكلمات تنحر وجداني

- ممكن أتكلم معاك...؟

أرد عليها وصوت آذان الخلاص ينادي بصلاة فجر التاسع من يناير من عام السقوط.

- ايوة..بالتاكيد

أضغط على زر الاتصال ترد هي دون مقدمات

- مالك ما نمت مرتضى...،

وكأن جوابي معد سلفا ودون حياء :-

- شوقك عزيزتى أرق بلا حدود !!!!

تصمت لبرهه أري إحمرار خديها، ومحاولة الهروب من حرجها

- متوقعة اليوم يكون مصيري، في رأيك تغير جغرافيا المواكب من الخرطوم

إلى أمدرمان موش كويس.

أتناول كوب القهوة وأنا ابتسم لذكائها في تغيير مجري الحديث أرد مصطنعا شخصية محللى قنوات السُفه العربية :-

- اعتقد انو كويس بالأخص ونحن في حرب ومن الواضح أن تجمع المهنيين بالشكل الغامض الفيهو دا رجح كفة المبادرة، أول مرة أكون متيقن سامية بأن النظام ضعيف فاقد السيطرة ومضطرب تستمع سامية باهتمام وترد :-

- انا خائفة من مسيرة الكيزان اليوم مرتضى إذا قدروتصادف المؤيدين والمعارضين ممكن تحصل مذبحة عديل!!

أرد بثقة لا أدري من أين أتت فأنا العاشق الكاذب بالأحداث السياسية :-

- لا ما تخافي: النظام فقَدَ أغلب المؤيدين له. وتجمع أنصاره بالساحة الخضراء الخرطوم، وموكب المعارضة حيكون بأم درمان.

صمت يتخلل المكالمة أجد نفسي قائلاً.. ....

- رأيك شنو نتقابل اليوم قبل الموكب ونتحرك سوا،..؟

مرت لحظة تخيلت أن سامية تبتسم بخجل وكأنها كانت تنتظر أن نكون معاً قالت بحماس :-

- طبعا لازم نكون مع بعض.... نتقابل في دكان خالد العمرابي بسوق أمدرمان كويس...؟

فكرت بطريقة مختار الأمين كسياسي وأثنيت على المقترح وأغلقت الهاتف للقاء الثورة والحب.

تجول بخاطري تجهيزات أمدرمان يوم أمس مع المحامي البدين كانت أم دُر وكأنها يوم وقفة العيد حركة لجان الأحياء وتجهيزات المنازل وتحركات مختار الأمين والذي اعتقد جازماً بأن له علاقة بذلك الكيان الذي يدعى تجمع المهنيين، الكتابة على لافتات القماش تجهيز البوسترات ورش مونتاج للفيديوهات التي تحكى عن

أمدرمان وتدعو لموكب غداً.

حتى بيوت أقربائي وخالاتي كانت مع التوقيت أغاني الثورة بصوت ود الأمين وصوت وردي تصدح من أغلب بيوت أمدرمان القديمة تم تجهيز عدد ضخم من السندوتشات وقوارير الماء، قامت احدي قريباتي مع عدد من بنات الحى بعمل أكثر من 1300 قارورة صغيرة بها تركيبة ماء ممزوج بالخل وبعض الجلسرين، كانت تقوم بقياس التركيبة في إناء كبير وتخلطه وتجعل البقية يقومون بتقسيمه في تلك القوارير حتى يتم توزيعه على الثوار يوم الموكب حمايةً لهم من أثر قنابل الغاز المسيل للدموع، نعم هكذا كانت أم دُرقبل يوم الموكب نشاط وحركة في كل بيت، كنت أسمع الزغاريد وغناء البنات في بعض البيوت مصحوبا بالدلوكة أهازيج وهتافات

حكومة الجوع.

تسقط بس،، تسقط بس،، ..

حكومة العسكر،، ...

تسقط بس

أطفالٌ ونساء ورجال وشباب. . بنات وكهول، أمدرمان صاخبة اليوم، بل في أشد حالات فورانها،، ...

تذكرت كيف تم اختيار أمدرمان كنت بغرفة جدي عثمان جقود بالمنزل القديم قبل ثلاثة أيام بعد الموكب الثاني داخل ولاية الخرطوم عندما سمعت مختار يهمس لأحد المرافقين لنا بالغرفة من أبناء الحي بأن الموكب القادم سوف يكون بأم درمان استمعت يومها لتلخيص دقيق من مختار حول طريقة المقاومة لإسقاط النظام ورحيل البشير وإمكانية خلق آليات جديدة للمناهضة، وأن اختيار مدينة أمدرمان سوف يعزز من مشاركة أكبر عدد من المواطنين وبمشاركة الأسر أيضا، وتفعيل دور لجان المقاومة في الأحياء، فموكب أمدرمان يعتبر أول موكب داخل الأحياء فكل المواكب السابقة كانت في قلب الخرطوم، بعد يومين من هذا اللقاء الصدفة، استمعت لتهديدات مباشرة من النائب الأول للرئيس على احدي

القنوات الفضائية المحسوبة على النظام هدد علي عثمان محمد طه، الشعب بشكل مباشرةً بتحريك كتائب الظل لمواجهة المتظاهرين يا إلهي ما هذا الرجل؟؟ يبدو أن ما قاله خالد العمرابي عنه قليل. متعطش للدماء بشكل مقزز نعم هو أشبه بدراكولا مصاص الدماء.

ألم يكفيهم ما ختطفوه من أرواح؟ ألم يكفي جنرال هذه البلاد حكم ثلاثون سنة بالعذاب؟ كيف يصف السودانيين بالفئران وبهذه الوقاحة.

30

الثانية عشر ظهراً بتوقيت النضال عمارة البرير سوق أمدرمان من الناحية الشرقية، وقفت ممتلى بالثورة ومن على البعد لاحت أنثى الدهشة متغطية بعلم ثلاثي الالوان لوّحت لي بعلامة النصر وركضت مهرولة نحوي، رسمت ابتسامة حنينة على شفتي وخالد العمرابي يغمزلى بعينه اليسرى لم أفق من دهشتي إلا على جسد سامية يرتمي على، تحاصرني هي برائحتها تلك التى لم تغب عني منذ أن رأيتها يوماً بمكتب مختار الأمين، كنت أعرف أن هناك شيء ما يربطنا شئ يبقينا مشدودين لبعضنا على الرغم من معرفتنا القريبة كنت مؤمناً جدا بأن الأرواح هي التي تتلاقي وؤمن بنغزة القلب المفاجئة لذلك كنت أعرف روح سامية منذ العهد القديم وما جاءت رسالة الثورة على شعاب أمدرمان إلا لتلاقي أجسادنا كما اليوم.

لم أكن أطيق الحديث في السياسية ولكن تغير كل هذا بسببها هي من بذرت في بذرة الثورة وسقتها المواكب والمظاهرات، هي من بدل حالى من باحثاً عن الملذات والشهوات إلى هاتفٌ بسقوط النظام... والحلم ببناء وطن جديد، فبعض الأشخاص الذين يمرون بنا يعيدون تشكيل حيواتنا من جديد لنشعر بدخولهم لعالمنا الخالي وكأننا ولدنا لأول مرة أشخاصٌ يختلفون عن ماضيهم وقد أحدثت سامية زلزالاً داخلي جعلني أكفرُ بحياتي السابقة فأنا رجل أنهكه الهروب مثقل بالفجائع والخيبات المتتالية، رجلٌ يتوق للاستقرار وإن كان على حافة حب وهتاف بحرية وطن، رجل فتح للحزن ألف باب فلم يعد يعزية بريق الآمه ولا صدى أحزانه، الآن تتراءي أمامي كلمات محجوب شريف ماثلة كأنها جسد بدم وأنا أجول ببصري على الثوار المتراصين في انتظار ساعة الصفر ليعلو الهتاف، قابضاً بيدي اليسرى كف سامية ويدي اليمني تهدئ ضربات قلبي العاشق وصوت محجوب شريف يأتى من داخلي بعد خمس وعشرين سنة من الهروب.

جيناك

وكنا طلعنا منك

نحن مرفوعي الرؤوس

جيناك مرفوعي الرؤوس

أفتح زنازينك أهو بنفتح

صدورا ما بتكوس الرحمة تب

ما فينا مرقا فيهو سوس

بل فينا عرقا من جزور

الشعب عشقا لايداس

نحن بندوس على كل من

عايزيدوس نحن بندوس

الكلمات تعنيني إنها مني ولي، يخيفنى القدر هذه المرة لا أدري لماذا..؟ فهذا الموكب الثالث لي وهي بجانبي لماذا أري قلقي يشاطر دقات قلبي، حسرتي على وطني ثلاثون سنة من النزيف،.. الواحدة تماماً بتوقيت الحزن والنصر حزن على الشهداء ونصرٌ بالدماء الواحدة تماماً، وصوت سامية يعلو بداخلي زغاريد تغطي على خوفي وروح محجوب شريف ترتل معي.

جيناك

وكنا طلعنا منك عنوة

كدا واقتدار

تشهد ترابيسك

هديك وهذا الجدار

نهر الجماهير العميق

جلجل شديد الانحدار

زلزل حديد الانكسار

امتد حولك واستدار

وملأ الطريق

فاذا بأسوارك ضفاف

وسواعد الناس النخيل

حملتنا امواج الهتاف

في ذلك الصبح الجميل

حملتنا افواج الكفاف

ومدامع الفرح النبيل

الغدر ما بقى إنتصار

والانكسار المستحيل

المستحيل

المستحيل

وتتشابك أيادينا أنا وخالد العمرابي كادر الأمن الشعبي الرافض لحكم الجلاد المستقيل من حياة العذاب باستئناف جديد للرب بأني كنت من ثُلة الحاكمين، من الناحية الأخرى تحيط يدي بكتف سامية حباً وخوفاً، وطوفان الثوار يردد

حرية.....سلام،. .....وعدالة

والثورة خيار الشعب

انشطر نهار أمدرمان بهتاف الثورة والموكب يتقدم من داخل السوق القديم صوب شارع العرضة ترتفع كاميرات الهواتف النقالة في بثٍ حي على حسابات الفيس، وأم دُركما لم تكن من قبل، الطامّة تزلزل أركان النظام فهو في رمقه الأخير، هل هي صدفة أن أشاهد الثورة بعد خمس وعشرين سنة قضيتها بعيدا عن الوطن أم أن القدر يتربص بنا لموعد اخر، تمد سامية كمامة مبللة بالخل للعمرابي وتساعدني على ربط كماماتي وتعديل منظاري الطبي تتقابل أعيننا في لهفة الهتاف، أضغط بيدي على كفها إني بخير فقط كوني بجانبي.

ويتعالى الهتاف والثورة أنثى كل الوطن أنثى من أين اكتسبن تلك القوة، تنفجر السماء بدخان كثيف وأصوات الرصاص تختلط بصياح الثوار.

سلمية..... سلمية

تعثرت بسبب الركض فإن رجلاً بلغ هذا العمر من الغياب يتعثر. تقع أمامي عبوة غاز مسيل للدموع أكاد أموت من الاختناق، الموكب يتبعثر أين سامية..؟،.. أين سامية..؟ صوتي مخنوق وسؤالي مبحوح.

تتلقفني أيادي الثوار من أعلى، يحملني علم الوطن على كتفة مهرولاً بي وخلفي فتيات يحاولن جاهدات منع تقدم رباطة النظام أغيبُ عن الوعي وصورة الثوار تتحول ظلمات بعضها فوق بعض واصواتهم تاتى من جب سحيق ونوّر الأمل دمائي التى سكبت مع رصاصة قناص مزقت جانبي الأيسر بالقرب من جلوس سامية هناك مكان القلب، فهل صَد عشقي نار الشر التي انطلقت من قلبٍ حاقد لم يسمع محجوب شريف يوماً وهو ينشد:-

نحن بنحب شاي الصباح

والمغربيه مع الولاد

والزوجة

والأم الحنون

والأصدقاء

وإلى اللقاء

واللمه عند الأمسيات

والتكيه جنب الأغنيات

والقدله في السوق الكبير

نتمشى نغرق في الزحام

ملء العيون

بنحب كدا ونعشق تمام

31

لم يكن يوم التاسع من يناير موكباً بل كان ملحمة حقيقية، يا هذا لقد تم تقسيم أمدرمان إلى عدة نقاط لتجمع الثوار، هكذا بدأ مختار سرد وقائع اليوم العظيم بمستشفى الأربعين بعد عملية استئصال رصاصة القناص التي قاربت على قتل سامية المتربعة داخل قلبي واصل مختار بنفس الحماس وأنا استمع تفاصيل الملحمة التي غبت عنها مبكرا فأنا دائما هكذا إما الهروب من القضية أو الغياب، كثيرا ما أشعر بأن رحيلي الأول ماهو إلا جبناً فقد كان من الواجب أن أبقي وأقاتل طارق الجعلى وزمرته دون أن أنفي نفسي وأتخلى عن كل زكرياتي هرباً في سبيل أن أحيا بسلام، أشعر دائما بأن وخز قلبي جبنٌ وبأنني أقل شجاعة، ماذا لو كنت واجهت الجعلى ورفضت الانضمام لحزبه الخائن بوقاحة ربما كنت انتصرت لكرامتي التي أهدرتها، نعم أعلم تماما أن ذلك يعني السباحة في محيط واسع من الهوس مالحة وثقيلة مياهه، وبالتأكيد سوف يكون قدري الغرق ولكن كرامتي لم تكن لتهدر، كم تمنيت أن أسأل شهداء اليوم كيف نجوا من هذا العبث.. ؟ أفقت من شرودي على صوت مختار الأمين وهو يقول :-

- انت عارف انت ليك 24 ساعة غائبا عن الوعي في المستشفى هنا يا مر تضى

نظرت إليه ببرود وسألته

- أين سامية ؟؟؟

أطلق البدين قهقة عالية وهو يلوح بكلتا يديه

- ياااا راجل والله فضحتنا.. فضيحة.. من البنج ما فكا وانت بتنادي باسم سامية

أطلت سامية من خلف البدين شمسا للحرية وقفت بالقرب مني مبتسمة

- حمدلله على السلامة

- الحصل شنو انت مشيتي وين. ؟

يصل إلى صوت خالد العمرابي

- كنا بنفتش عليك أول ما حصلنا شارع العرضة من اتجاه مستشفى التجاني الماحي انفتحت أبواب الجحيم فينا من رصاص وبمبان وبعديها ما شفناك سامية كانت بتصرخ زي المجنونة باسمك المهم كل واحد فينا جري في اتجاه دخلنا مع الثوارحي العباسية وكانت معركة كروفر حوالى ساعتين ونصف تقريباً وكنا متأكدين انك حتظهر بمجرد تجمع الناس مرة تانية بس لمن سمعنا انو في إصابات وسط المتظاهرين خفنا و... قاطعتة سامية وعلى وجهها بعض من كدر بسبب تذكرها أحداث التاسع من يناير :-

- اليوم دا كان عصيب فعلاً بالأخص بعد ما فقدناك لم أعِ بنفسي فقد كنت أركض مغمضة العينين وبجانبي خالد يحثني على الركض ومعنا عدد من الثوار، ما متذكره بالضبط الحصل شنو من كثافة البمبان واطلاق الرصاص كل المتذكراه أني كنت أبحث عنك بالرغم من كل هذا الهرج.

قالت كلماتها الأخيرة تلك وهي تخفض عينيها خجلاً وسط تبسمات العمرابي ومختار امتلأت الغرفة بعدد من الزوار، ثواروممثلين من لجنة أطباء تجمع المهنيين وبعض الأهل انسحبت سامية خارجاً تركتني وحيدا رغم هذا العدد من البشر.

كنت أكابد حرارة جرحى وأنا استمع لحديث مختار الأمين مع أحد الزوار اعتقد أنه شخصية مهمة في هذا الحراك تحدث الضيف عن إصابات يوم أمدرمان بأنها بلغت ثمانية إصابات كان من الواضح أنه يمتلك معلومات دقيقة بذكر أسماء الجرحي فقد سمعت اسم هشام الشواني هذا من قبل بأنه تمت إصابتة بالقرب من مبنى البرلمان ذكر الضيف اسم ابوالقاسم بابكر بأنه تلقى إصابة في رجله وتم إجراء اللازم من قبل أطباء مستشفى أمدرمان إلا أن اسم دكتور بشير مصطفى بشير جعل مختار الأمين يترنح فقد كان المذكور صديقاً أو معرفة للمحامي البدين

تم سرد بقية أسماء مصابي موكب المدينة العتيقة مع تحديد مكان الإصابة سمعت اسم دكتور منذر أزهري مصاب في صدره وأنس مختار مصاب في رجله وياسر محمد مصاب في يده وشخص يدعي ملهم تمت إصابته في الراس مباشرة وآخر يدعى محمد خالد تم إصابته من أحد القناصة برصاصة، كان اسمي من ضمن المصابين وتألمت بحرقة عندما علمت بأن إثنين من الثوار استشهدوا وهم في رعيان شبابهم لم تتجاوز أعمارهم الخامسة والعشرون صالح عبدالوهاب وشاب آخر يدعى محمد الفاتح أي ألم وأي وجع لهذا الوطن، لم أشاهد خالد العمرابي منذ وقت لعله غادر لبعض أشغاله كانت سامية هنالك تتحدث بحماس واضح مع احدي قريباتي لعل مسار الحديث عن موكب أمدرمان، لقد نفخت سامية من روحها تلك في جسدي فاسيتقظ حلمي بوطن مرة أخرى. إسترقتُ السمع مرة أخرى لاحدي الضيوف كانت على ما أظن صحفية تتكلم بحماس وتفاصيل عن الموكب نظرت إليها بطرف عين تجمع حولها عدد من الثوار وشاهدت سامية ومختار الأمين يقتربون منها أيضاً

تحدثت الصحفية حديث الملم بالأمور والعارف بتحركات الثورة :-

- تجمعنا داخل ود نوباوي العدد كان كبيراً ليس من الشباب بل كل سكان تلك المنطقة خرجوا أتحركنا نهتف بسقوط النظام وشعار الثورة حرية،.. سلام،. ... وعدالة،.. صادفتنا مواكب أخرى انضمت إلينا حتى أصبح الهتافات تشق عنان السماء، ومن كثرة الثوار الموكب دا كان فيهو شباب وأطفال نساء وشيوخ حتى أني رأيت نساء حوامل يجرجرن أرجلهن وسط الجموع.

صمتت الصحفية تلتقط أنفاسها فقد كان الحماس طاغياً عليها مدت إليها احدي قريباتي كوباً من الماء تجرعت منه قليلاً ثم واصلت حديثها بنفس الحماس :-

- لمن وصلنا شارع عبد الله خليل وصينية الأزهري المظاهرة دي كان فيها (2000) شخص تقريبا، أصدقكم القول لقد ظلت هذه المنطقة محررة تماماً وعصية علي الأمن والشرطة لساعات طويلة ظللنا خلالها نطلق شعارات ثورتنا السلمية

سرت قشعريرة داخلي وأنا استمع لهذه التفاصيل أخذت الصحفية بملامحها السودانية الخالصة تلك تصف ذلك اليوم بإسهاب نظرت إلى تلك الأعناق المشرئبة إلى المتحدثه وجدت هنالك وجه سامية تبادلنا النظرات ابتسمت لى بحماس وددت لو أرسلت إليها قبله في الهواء ولكن صوت الصحفية تخلخل سمعي مرة أخرى وهو تقول :-.

- عند " استوب الشهداء" من الناحية الشرقية ظهر موكب آخر من ناحية الملازمين علي أقل تقدير يتكون من 2500 شاب وشابة وهم يرددون

" حرية سلام عدالة "

" سلمية سلمية "

واندمج الموكبان، طوفان أجبر العسكر ومليشيات النظام على التقهقر بل الانسحاب. انتفضت الصحفية وهي تقول كنداكات وترفع يدها بعلامة النصر بفخر واصلت حديثها بصوت أعلى وحماس أشد :-

بنات السودان ثورة، بنات أمدرمان كنداكات والله بسالتهنّ يُحسدن عليها وفجأة ارتفعت الزغاريد ونسي المستمعين أنهم في مستشفى وزيارة لأحد المصابين تعالت الهتافات (تسقط بس،. . تسقط بس) وشرد الألم مني ولم أعِ بنفسي إلا وأنا واقفٌ شاهرٌ يدي اليمنى بعلامة النصر وصائح ومخرجا كل خيباتي القديمة.

- الطلقة ما بتقتل

ردد الجمع حولي بقتل سكات الزول

الطلقة ما بتقتل

بقتل سكات الزول

حكومة القهر

يردد الضيوف حولي مرة أخرى تسقط بس

حكومة الجوع

تسقط بس

انضم إلينا عدداً من زوار المستشفى فى الغرف التي تحولت إلى موكب صغير حتى الأطباء والممرضين والمرضي هتفوا وسط دموع القهر طاردين رائحة الموت والعجز مصممين على الخلاص، رأيت سامية مثل كل الثائرات جميلة لها رائحة الوطن قصاصات من رحيق الريحان وعطر الياسمين كل الوطن أنثي.

ومن بين ثنايا الهتاف كانت قصة موكب أمدرمان في التاسع من يناير لعام التحرير واستقلال الوطن، وصدي صوت الصحفية الشابة يضرب أصقاع الوطن مردداً حكاية الثورة.

لثلاث أيام متتالية، لم تكن أمدرمان مثل بقية أيامها كانت ثورة تحكي أمجادها بكل الطرق كانت تعبر عن انسانها الذي تناسي كل قهر الماضي والآن ينادي بكل السبل لوطن جديد، كان صوت الصحفية يومها يحكي اسطورة تلك المدينة وعشق نسائها للثورة والانعتاق خرجن يواجهن رصاص النظام بالأغاني والزغاريد والدلوكة أصواتهن تشق عنان السماء وأطفالهن يقومون بتوزيع السندوتشات والمياه للثوار وأخريات يقمن بتوزيع قوارير الخميرة المخلوطة بالجلسرين والماء على المصابين، لقد أثرت تلك الجموع الحاشدة على مليشيات النظام وقواته التي كان يبدو عليها الخوف والارتباك حتى إنه لوحظ عدم ارتكازها في مكان واحد تتحرك في عدة اتجاهات كمحاولة لسد نقص ما ولكن هيهات.

صمت صوت الصحفية الشابة واستسلمت أنا للنوم مجهداً بعد الهتاف المتواصل وصممت أن أكون من ضمن الموكب القادم، تزاحمت على الأحلام والذكريات كانت صورة سامية مبتسمة تضئ ظلام حلمي بوهج وأنا السائح في ظلام همى بوطن وحب أنثي، اسيقظتُ على صورة الشهيد صالح عبدالوهاب والشهيد محمد المصطفى خوجلي، كانت أرواحهم الطاهرة تصعد إلى السماء مثل فراشات متعددة الألوان، رأيت محمد المصطفى ينظر لقاتلة ويقول:-

- الحب هو أن تسرق أحلامي برصاص تطلقها فيسيل دمي وترتفع روحي وتنعم أنت بوطن اخي،. .

لم أتمالك نفسي إنهرت من البكاء بأي ذنب قُتِلت تلك الأرواح بدت لى صورة

علي عثمان من خلف الشهداء مسخ شيطاني وهويتوعد المتظاهرين بالثبور كان صوته واضحاً في أذني وهو يقول :-

- (بأن للنظام كتائب ومجموعات على استعداد للتضحية، وهي من وراء مؤسسات الدولة)

تلطخت صورة الوطن بعفن تلك الكلمات واصل نائب الرئيس حديثه فحيحاً مثل حيةً عجوز تلفظ سمومها على الجميع :-

(هناك كتائب ظل كاملة موجودة تدافع عن النظام إذا احتاج الأمر لتسيير دولاب العمل، وتدافع عنه إذا احتاج الأمر أن تقوم بالعمل المدني، وتدافع عن النظام حتى إذا اقتضى الأمر التضحية بالروح)

وأي حقد هذا كيف لنفس سوية أن تزهق روح انسان آخر، وأنا أتقلب على سرير مرضي بمستشفى الأربعين تذكرت حديث خالد العمرابي يوم كنا في طريقنا لمكتب مختار الأمين تحدث يومها عن طبيعة تلك الشخصية وكيف أنها تبث الرعب في قلوب الكثيرين، فتحت عيناي بعد أن سمعت صوت أقدام بالغرفة كانت الممرضه تستعد لإعطائي بعض الأدوية رأيت مختار الأمين ممددا على الكرسي بجانبي مختاريا الله رفيق عمري وصديقي استسلمت للممرضة وهي تطعن إبرة الموت البطئ على عضل يدي اليمنى وفى خيالى لقائي مع خالد العمرابي وحديثه عن على عثمان ومليشيات الأمن الشعبي الذي كان هو جزء منها.

32

الخرطوم عاصمة الفجيعة والانتحاروالأمل ايضاً، البؤس يرتسم على الوجوه إلا من شعاع طفيف ياتى من بعض ولايات السودان مع الريح محملاً ببشريات احتجاجات قادمة على النظام، العاصمة تترقب بحذر شديد ورياح ديسمبر قارصة البرودة مع الجوع الذي سيطر على ملامح البشر هنا في قلب الوطن، لم تكن لى امنية غير المغادرة إلى مكان آخر هرباً من تلك الفاجعة صفوف وندرة في كل شيء الخبز،. الوقود،. الادوية. كيف نعيش، نظرت إلى صورة الرئيس على احدي الجدران على الشارع العام وأنا اهمس سرا مرة أخرى :-

كيف يعيش هؤلاء !!... أنا راحل من تلك العذابات

اخذ خالد العمرابي ينفث دخان سيجارته صامتاً ممسكاً على مقود السيارة في طريقنا إلى مكتب مختار الأمين لنتجاذب أطراف الحديث. لا اعلم هل سامية هناك ام لا،. ..

كم تمنيت ان اجدها هناك، استحيت اسأل عنها خالد أو مختار فالاولي يعلموا حالتى النفسية بمجرد وصولي إلى البلاد بعد انقطاع خمس وعشرون سنه والعمرابي ترك كل اشغاله لكي يأتي ويخرجنى من المنزل. صَمّتُ تماماً وأنا أنظر إلى الشحوب في وجوه السودانيين.

قبل سنوات وفى مسيرة بحوثي الاكاديمية كنت قد ذهبت إلى استراليا مشاركاً في أحد المؤتمرات وتعرفت هناك على نوع غريب من السحالي يسمي بالشيطان يعيش في صحراء استراليا القاحلة يتغذي على النمل الأبيض وبسبب تلك البيئة القاسية فان جسمها يمتلك قدرة وكفاءة جبارة على امتصاص المياه فهذا النوع من السحالى يستطيع شرب المياه بمجرد الوقوف عليها من خلال عملية تسمي الاسترطاب حيث يقوم الجلد باستخلاص وامتصاص المياه وتحويلها إلى الفم

من خلال قنوات جسدية مخصصة لذلك الغرض، تذكرت تلك المعلومات وأنا انظر إلى خالد العمرابي تسالت في نفسي اليس تلك الصفات تنطبق بشكل كامل على الجبهة الإسلامية القومية فهى تمتص رحيق وآمال الشباب تمتص ثروات الوطن تمتص أحلام الناس بمجرد ان لامس جلدها كرسي الحكم وجدت نفسي أقول تحليلى هذا لخالد العمرابي الذي اصغي إلى وعلى وجهه حزن عميق أكملت مقارنتى تلك ولم تفارق تقاطيع الحزن وجهه الذي ظل يتجنب النظر إلى حشود المارة والمنتظرين قدوم المواصلات وكأن هنالك عقدة ذنب ظلت ملازمة للرجل منذ زمن بعيد نطق خالد أخيراً، صوته يحمل هموماً ومن الألم قال بصوت مرتجف :-

لا اعتقد انني الشخص المناسب لتاكيد مقارنتك تلك ولكنى على يقين بان كل الأحداث الدامية التي مرت على السودان يقف علي عثمان وعدد من قيادات النظام خلفها.

نفث زفرةً حرّى أخرج بها غل ظل ساكنا في جوفه زماناً ثم استطرد قائلاً :

بتصدقنى لو قلت ليك ان أي روح ازهقت خلال الثلاثون سنة تلك فان علي عثمان له فيها يد.

اخذت استمع إليه وأنا أحدق في اللا شيء ولم أنبس ببنت شفة احترمت خذلان وخيبة الرجل في تلك المبادي التي حارب من اجلها، غير أنني رمقته بطرف عينيَّ فوجدت دموعه تملاء عينية ارخيت بصري ببط وأنا اردد oh my goodness

كان من المؤكد ان خالد العمرابي يعيش مرحلة تانيب الضميروكنت على يقين ان المرحلة القادمة سوف يترجم ذلك كرهاً اعمي لتلك المنظومة ولقياداتها.

اخذ العمرابي يتحسس طريقة وسط زحام المارة والسيارات، وفجأة انفجر ببكاء حارله نحيب تسمرت مكانى وأنا انظر إليه لا أدري ماذا افعل وصوت نحيبه يتعالى شئياً فشئ، أوقف السيارة على جانب الطريق وهو يرتجف من البكاء ويستغفر بين حين وحين احترمت حزنه هذا، أصبحت انظر إليه فقط واطبطب على كتفه برفق.

توقف عن البكاء فجأة أيضاً وكأنما خاطراً داهمه بغتةً. بدا لي للوهلة الأولي

بان خالد لا يعبأ لوجودي أصلاً في هذه اللحظات، تناول مصحفاً من على درج السيارة افسحت له المجال حتى يتثني له اخراج ما يريد فتح الكتاب المقدس وأخذ يقراء سورة يس ونحن على الطريق لا أدري ما سر هذا.....؟

لعل مكوثي الطويل في اوروبا جعلنى استغرب ردة فعل العمرابي من لجوئه إلى الكتاب المقدس اهكذا يغفر الرب ذنوبنا المتعدية للآخرين بالاستغفاروتلاوة كلماته اليس من الاجدي بدل كل هذا ان يكشف للعالمين ما كان شريكاً فيه وان يوقف انهار الدم بكشفه لتلك العصابة التي تسيطر على الوطن، ظللت واجماً استمع لهرطقات ذلك المجنون الذي يطلب من الرب الصفح ويده التي يمسك بها كتابة المقدس ملطخة بالدماء.

نظرت إليه مرة أخرى وأنا اتسال بينى وبين نفسي. . كم روح صعدت بسببك. .؟

احسست بكره عظيم لخالد ونوعيته التي تنتسب إلى الأمن الشعبي فضلت عدم كسر خاطره في هذه اللحظة بتلك المشاعر التي طافت بي مددت يدي على كتفه في محاولة مني لكسر طوق الحرج بعد أن أخذ بعض المارة ينظرون الينا بفضول، قلت له مازحاً :-

هل كنت تشعر بألم الضحايا وانت تزهق ارواحهم باؤامر السادة يا خالد،. .؟

نظر إلى بألم وقال :- الآن اشعر بتلك الأرواح تحيط بي من كل جانب

نظرت إليه بتحد هذه المره وقلت بصرامة ارح نفسك صديقي. . ارح نفسك وقم بكشف المستور مهما كانت العواقب،. .

استدركت حديثي بان خالد فعلاً قد قام في الأيام الماضية باعترافات كثيرة عن تورط قيادات حزبه في قتل عدد من الخصوم، ولكنى اريده ان يشعر بالارتياح أكثر فمن هم على شاكله خالد العمرابي يعيشون تحت القهر والاستعباد والخوف من سادتهم ما لم يجدوا علاجاً نفسياً واهتماماً، فهم عبيد يريدون الانعتاق ولكن كيف، كانت عبودية خالد العمرابي واضحة فالعبودية ليست بتلك الاصفاد التى تعيق حركة الانسان، عبودية العمرابي وامثاله تكون في تلك القيود المتوهمة التى ربطوها بافكارهم ونمط حياتهم كنت اعلم بان العبودية مستويات وضعف

الافكار مستوي من مستوياتها وتنظيم خالد يعتمد على نوعيه هذا الضعف، لعلى كنت أقرب إلى خالد من نفسه المشوه تلك.

قلت له :-

- عليك ان تفضح كل هؤلا لتستريح حتى ولو كان الثمن كبير فكل قطرة دم تسقط الآن لا ينفع معاها استغفراك فانت جزء من تمكين تلك العصابه يأ خالد.

ظل ساهما بعد أن اغلق المصحف ووضعة بحرص على درج السيارة أخذت أتطلع لبعض المارة الذين اصابهم الفضول واخذوا ينظرون الينا داخل السيارة بوقاحة، السودانيين شعب الله المختار في الفضيحة لعل اغلبهم كانو يأملون ان يجدوا مع السائق انثي، ولعل كثير منهم قد ذهب إلى ابعد من هذا بعد أن راي رجلا تنهال دموعه في وجود رجل آخر يا اللهى....!!!!! ماذا من الممكن ان يقولوا

سرحت قليلاً لعل ما يحدث الآن للشعب تحت وطأه النظام لا يوجد تفسير له سوى نظرية الكارما أو ما قاله رسول خالد إذا رضي الله عن قوم ولي أمرهم خيارهم، وإذا سخط الله على قوم ولي أمرهم شرارهم، الهذا ظل الوطن حبيس العهر ثلاثون سنة،..؟

تحركت السيارة وخالد ساهماً ينظر في الفراغ كنا قد اقتربنا من مكتب مختار الأمين الساعة تشير إلى الثانية عشر إلا ربع ظهراً أواخر ديسمبر 2018 ومع ذلك ظلت شمس الخرطوم مثل السياط تلهب بؤس المواطنيين باشعتها الصارمة توقفنا أمام عمارة الحرية حيث مكتب مختار، هممت بالنزول إلا أن خالد ظل جالساً على مقعد القيادة وكأنه يهم بقول شيء ما.

نظرت إليه استجديه النزول فلم تعد لدي طاقة لاحتمال كل تلك الحرارة وهذا الشحوب في وجوه العامة

رد بعد برهه بصوت واهن :-

يبدو انك على حق يجب كشف تلك العصابة ولسوف امدك بكل الوثائق التي معى على ان تقوم انت بنشرها عندما تكون في الخارج.

ثم اردف باصرار بعد أن زاد لمعان عينيه لابد ان يعرف الجميع كل شيء.

صمت وقال :- الله أكبر عليهم

واخذ خالد يردد شهادة المسلمين مراراً....

اشهد ان لا اله إلا الله واشهد أنا محمد رسول الله، وكأنه مقبل على شيء ما أصبح يرتجف بقوة بل يصتك مثل طائر مبلول فى ليلة شديدة البرودة... ما هذا....؟ الهذه الدرجة يخاف كادر الأمن الشعبي سادته ابتسمت ساخرا بعد أن اشحت بوجهى جانباً وقلت في سري هل يدري خالد حقيقة ما يردد من قول، كيف يشهد أنا لا اله إلا الله ويخاف غيره لم أكن أدري هل أنا مسلم فعلا ولكنى كنت على يقين بان تلك المقولة التى تعتبر شهادة الإسلام ان لم تجعلك تبحث داخل نفسك على اثباتها فانك تعتبر شاهد زور وكيف يكون الاثبات أكثر من قوة الرب الذي خلقك

وقفت برهة تحت اشعة شمس الخرطوم استعجل خالد على القدوم وأنا استغرب من صراخ المارة لقد سمعت اسم الله في حديثهم أكثر من 80 الف مرة البائع المتجول يحلف باسم الله العاشق يالله المريض يذكر اسم الله الشحاد يقول الله حتى ذلك المتحرش بتلك الطالبة قال اسم الله هكذا يكون اسم الرب لعبه في افواه الجميع مزمارا للنفاق، ماذا فعل هؤلاء في هذا الشعب، لقد قضوا عليه تماما قضوا على روحه فالدين روح الانسان لذلك لم أكن اعول كثيرا على الدين بهذه الطريقة وبتلك الافكار فتحت مفهوم الدين كانت كل اعمال الدمار التى يقوم بها المتعصبين باسم الرب لقد رايت إيمان كبير في عينى طارق الجعلى وزمرته وهم يحاولون الايقاع بي كان يقول لي تطهر من دنسك انضم الينا انضم الى الاسلام يا اخى،.. أي سفه هذا، اى اسلام هل انتم فقط الإسلام.

مع هروبي من الوطن عرفت ان الدين الذي يعارض انسانيتك هو الكفر بعينه، كيف لرب ان يقبل بسفك دماء من صنع بيديه من أجل ان تحكم أو تقيد فكر الآخرين.

وصل خالد العمرابي إلى حيث اقف متربع الجراح يترنح من تانيب الضمير زائغ العينين من الوجم يحمل عدد من الفايلات بحرص قام بتسليمى لها ثم صعدنا إلى مكتب مختار.

33

أفقت على صوت رنين تلفون مختار الأمين مرافقي بالمستشفى أخذت استجمع نفسي بعد أن كنت قد غرقت في تلك الذكرى التي جمعتني بخالد قبل أسابيع قليلة، للوهلة الأولي لم استوعب ما كنت عليه، نعم أنا طريح الفراش بسبب ذلك القناص اللعين فقد كاد أن يسلب حياتى ياااألله.

بعد رجوعي إلى السودان أصبحت أردد اسم الله كثيرا كنت قد نسيت إلى أي دين انتمى، سابقاً كنت انتمى للإسلام أو هكذا خُيل إلى، نعم لقد كان انتماء ليس أكثر، ليس إيمان بل انتماء مثله مثل انتمائي لأمدرمان أو انتمائي القبلي أو حتى انتمائي لهذا الوطن ليس لي يد فيه، وكثيرا ما كان يعتليني الشك في وجود خالق بعد خروجي من السودان قرابه الخمس وعشرون سنة لا أذكر أنني قد أديت فرضا للإسلام لا صلاة ولا صوماً هل للبيئة تأثير على إيمانيات الشخص أم أن القهر في الحياة يجعلك تلوذ بالرب عسى أن تريح نفسك عناء قلة الحيلة في تدبير أمور حياتك فنستسلم للقدر بأن كل شيء مكتوب، أم هي عكس ذلك فالحياة التي ليس فيها عناء الحصول على مقوماتها تكفيك تكاليف العبادات والالتزام بالدين أو اللجوء إلى خرافة رب يعتني بك من أجل أن تحصل على حاجتك لا أدري،. ...؟

ولكن الذي أعرفه تماما وخلال مكوثي الطويل بايرلندا أن حاجزاً ضخماً قد تم بناءه بيني وبين كل أنواع الخمور لا أذكر أنني قد احتسيت أيا من الكحول و الأكثر إثارة إنني فقدت الرغبة تماما في الجنس كنت أخاف الاقتراب من ذوات البشرة البيضاء واتحاشي السمر والعرب بصورة خاصة، تأقلمت مع الوحدة بأسرع مما كنت أتصور كنت احترق شوقاً لأمدرمان وشوارعها أفرغت فراغي كله في التحصيل الأكاديمى والرسم والقراءة لا أدري لماذا تأثرت بالكاتب الإنجليزي كولن ويلسون الغريب أن ويلسون غير مشهور في أغلب أوروبا بقدر شهرته عند المثقفين العرب فعندما كنت أتحدث عنه بإعجاب وسط بعض المهتمين بالشان

الثقافي كنت أري الامتعاط على وجوه أغلبهم، إلى أن عرفت أن أكثر المطلعين الأوربيين يصنفون كولن بأنه مشعوذ أو بالاحري دجال كنت قد قرأت له كثيرا ولكن اللامنتمى أثرت فيّ لحد ما رأيت انعكاس أفكاره في نفسي فاللامنتمى هو أنا... نعم أنا الذي تيقنت بأن ما تنهض عليه الحياة الانسانية أساس واهٍ، أنا دكتور مرتضى الذي يشعر بأن الاضطراب هو أعمق تجذراً من النظام الذي يؤمن به قومه نعم كنت ذلك الشخص الذي لا ينتمى إلى حزب أو عقيدة، أجرجر ظلي في تلك الظلمات التى طغت على في غربتى الإختيارية كنت مستلقياً حينا على كربتي ووجعي وممدا أحياناً أخرى على نيران غربتى واغترابي من نفسي.

غالبت ألمى هذا، حاربت الاكتئاب والفراغ صارعت الشجن وحب أمدرمان بالرسم والقراءة قرأت في كل شيء قرأت عن التاريخ الإسلامي والدين المسيحي والصراع حول حقيقة يسوع نبي أم إله قرأت العهد القديم والتشريع الذي يشبه تشريع المسلمين نقد اللاهوت وحقيقة الدين واختلاف التشرئع، قرأت كتب الفلسفة توقفت على الفتوحات المكية لابن العربي، وقفت كثيرا عن فلسفة وحدة الوجود والتي تشير إلى أن الله تجلى في الطبيعة فكانت حقيقة وجوده شاهداً روعه خلقة وبهذا الخلق يكون الله هو الوجود الحق وما دون ذلك هو انعكاس لخلقه، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته، تأثرت كثيرا بفكر ابن عربي وتعمقت في طرحه إلا أن أكثر ما المنى تراجيديا وعذابات أبو عبد الله حسين بن منصور المشهور بالحلاج، لم أنم خلال ثلاثة أيام كانت صدي صوت عبدالله حسين يضرب مضاجعى بهتافه بشوارع بغداد وكأنى كنت معه.

أقْتُلُوني يا ثقاتي إنّ في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي

إنّ عندي محْو ذاتي من أجل المكرمات

وبقائي في صفاتي من قبيح السّيّئات

سَئِمَتْ نفسي حياتي في الرسوم الباليات

فاقتلوني واحرقوني بعظامي الفانيات

ثم مرّوا برفاتي في القبور الدارسات

تجدوا سرّ حبيبي في طوايا الباقيات

إنني شيخ كبير في علوّ الدارجات

ثم إني صرتُ طفلا في حجور المرضعات

لم استوعب ألآم الحلاج إلا من خلال مأساتي وجرحٌ رفض الاندمال في غربتي تأثر بالحلاج كثيرا وتعاطفت معه لدرجة أصبحت أتخيله أمامي كنا نتحدث معا في ليالي ايرلندا شديدة البرودة حكي لى أن فراق جسده للروح لم يكن إلا لسر، أقسم بأنني شاهد مقتل الحلاج من شرفة غرفتي بايرلندا كنت ساهماً يومها أخاطب ظله الذي ارتمي أمامي وأنا أقاوم برودة الطقس، عندما انفتحت نافذه غرفتي بعنف الرياح وقفت متصلبا أنظر إلى مدينة بغداد في العام 309 للهجرية وتحديداً يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة، أُخرج الحسين بن منصور الحلاَّج من سجنه، فجُلد، وقُطعت يداه ورجلاه، وشُوِّه، وصُلب، وقُطع رأسه، وأُحرقت جثته، كان ظله بالغرفة ينشد

والله ما طلعت شمسٌ ولا غربت

إلا وحبّك مقرون بأنفاسي

ولا خلوتُ إلى قوم أحدّثهم

إلا وأنت حديثي بين جلاسي

ولا ذكرتك محزوناً ولا فَرِحا

إلا وأنت بقلبي بين وسواسي

ولا هممت بشرب الماء من عطش

إلا رَأَيْتُ خيالاً منك في الكأس

ولو قدرتُ على الإتيان جئتكُمُ

سعياً على الوجه أو مشياً على الرأس

سجدت على قدمي وأنا أري وضوءه بالدم فسقطتُ مغشياً علىَّ حباً وشوقاً لما كان فيه.

كانت تلك حياتي وسجالاتي وحيدا بشقة تتكون من غرفة واحدة ملحق بها دورة مياه وصالة اكتظت بها الكتب والدوريات العلمية ومطبخ صغير، لم يكن لى أصدقاء حتى افيانا البرازيلية الأنثى الوحيدة التي لم تستسلم من نفوري حاولت التقرب مني دون قنوط لم وتنجح محاولاتها إلى أن انسحبت يوما ما تاركة لى رسالة على الايميل،. ...

اللعنة عليك سيد بكري. .إني راحلة من دنياك كلها

افيانا

لا أدري لماذا تعاطفت معها بعد تلك الرسالة فأرسلت لها اعتذاراً لطيفا معه بداية قصتي مع الحلاج لم أري افيانا مرة أخرى ولكن عرفت فيما بعد أنها قد اتخذت بغداد موطناً لها وأصبحت أول مسيحي متصوف أعرفه، شاهدت لها بحوث دورية بعد ذلك على عدد من المجلات الثقافية تتحدث فيها عن الحلاج ويسوع تقارن بين بنيتين متشابهتين وحب للعاشق، انا ابن الانسان فطوبي للذين امنوا ولم يروا احمل سري اسيرعلى وجعى مصلوبا لحياه الاخرين.

قضيت أياماً مع الفيلسوف البريطاني بيرتراند راسل ونظريته عن تاريخ الفلسفة الغربية، ولم يكن فريدريك نيتشة مجرد كاتب له أفكاره وفلسفته بل كان رسول نعم رسول كثيراً ما شاهدته يتناول وجبة من رحيق الأزهار بصحبة الحلاج لقد أصبحوا أصدقائي، كانوا يقضون معي زمناً طويلاً بالشقة إلى أن طردتهم قبل ست أشهر من رجوعي إلى السودان يكفي هذا لم أعد أطيقكم ارحلوا الآن. ، فلى موعد مع ضيف جديد، لا أدري ماهو الشئ الذي جعل الغرب ينظر إلى

فلاسفة التراث الإسلامي في شخص ابن رشد تحديدا بالرغم من وجود آخرين أري عمقهم الفلسفي أكبر إلا أنني وجدتني في شتاء 1999 مهتماً بتلك الشخصية نسبة لحديث أغلب الأوربيين عنها أحسست بشئ من الخجل كيف لا أعرفه كيف لهذا الرجل أن يصل إلى تلك المكانة عندهم، كانوا يسمونه Averroes

كرست كل فراغي في دراسته والاطلاع على تاريخه، فلم يكن دكتور مرتضى في ايرلندا كما كان في الخرطوم سابقاً أخذت اتابع في مخيلتي أيام استضافتي لابن رشد قرابه الثلاثة أشهر ونيف، من خلال متابعتي لسيرة ابن رشد عرفني على فلاسفة وعلماء كابن سينا الذي كانت مسامرته معي تأخذ طابع النقاش تحدث عن مقاله في النفس أشار إلى أنه من خلالها يُثبت روحية الروح العقلانيّة أو العقل، وما كتبه عن الحكمة العروضية وما خطة يراعه في الإنصاف والميتافيزيقا، وعلم اللاهوت وأيضاً تناقشت معه عن كتاب منطق المشرقيين والقصيدة المزدوجة في المنطق، اما حكايتي مع مؤلفه كتاب القانون في الطب فقد كانت نهايتها مناظرة صغيرة مع جون ادور الطبيب الايرلندي العنصري الذي دائما ما كان يسخر من التراث الإسلامي وبرغم أنني لم أكن اعتبر نفسي من ضمن المسلمين، لكن وجدت أن استخفاف جون هذا يثير حفيظتي بالأخص بعد أن دخل في نقاش محتد مع أحد طلاب الطب العراقيين وانتهى الأمر بتحديد مناظرة، يومها استوعبت الحدث تماما فقد كان الأمر صراعاً للحضارات بائناً، ولأول مرة أدخل مبنى الجمعية الإسلامية الملحق بمسجد الكلية التى أحضر فيها لنيل درجة الدكتوراة في الجراحة التجميلية لطب الأسنان قابلت هنالك عددا من الطلاب الوافدين من مختلف الدول الإسلامية إلا أن علاقتي توطدت مع سلمان راجى الهندي أكثر، قدمت نفسي وبلدي وطلبت أن أكون من ضمن المشاركين في تلك المناظرة فلي مرجعية جيدة بالتراث الإسلامي وملم بفلسفة الحلاج وابن عربي، الغريب في الأمر أن أغلب الطلاب كانت تبدو عليهم علامات الترحيب ماعدا الذين ينتمون لأصول عربية كنت أري في وجوههم عدم الثقة كيف لشخص من افريقيا ذات البشرة السوداء أن يُدافع عن الإسلام فهذا الأمر يتكفل به العرب أليس النبي منهم، ولأول مرة اصطدم بهذا النوع من الغباء وجدت عددا من المصريين ينكرون افريقيتهم بحكم اللون يومها ابتسمت ساخرا واكتفيت بمراجعة انتمائي للعروبة الذي دائما ما كان محل شك عندي، رحب أغلب الطلاب المسلمين من دول اسيا وافريقيا

بأن أكون من ضمن المشاركين في المناظرة وقد كان، تخللتني شخصية مصطفى سعيد التى عاشها الطيب صالح في روايته موسم الهجرة إلى الشمال فقد أتيتهم غازياً ولكن بسلاح جديد هذه المرة، لم أكن مثل شخصية دكتور خليل الأمام التى ابتكرها الليبي أحمد ابراهيم الفقيه في ثلاثيته ساهبك مدينة أخرى كنت شخصاً آخر بعلم وفكرة ولكن بنمط مختلف ليس مفتونا بحضارتهم، فقد أتيت هاربا من جوع الوطن، ولكني متدثر بتاريخ ضاربا في القدم غير مكترثا بانتمائي العروبي بتاتا بالعكس كنت متأثرا تماماً بأطروحة دكتور النور حمد التى عمّقها في مقاله تشريح بنية العقل الرعوي لذلك لم اهتم بعدم ثقة العرب تلك فلي ارث يضاهى رسالتهم التى يزعمون انها منهم، كانت المناظرة حول تأثير الثقافة الشرقية على النهضة الأوربية هكذا اخترت العنوان لتلك المناظرة.

لم يستوعب جون ادور ما كنت أقوله من الصدمة التي لازمته في تلك المناظرة شرحت له ساخراً ما كان عليه الأوروبيون في العصور الوسطى كانوا كريهي الرائحة بشكل لا يطاق من شدة القذارة والنتانة أشرت إلى صورة أحد المخطوطات والتى كانت من مبعوث روسيا القيصرية وصف حينها ملك فرنسا لويس الرابع عشر بأن رائحته أقذر من رائحة الحيوان البري ".

ضجت القاعة بالضحك والتصفيق تخيلت في تلك اللحظات أركان النقاش التي كان مختار الأمين مشاركاً بها بجامعة الخرطوم صمت وكأني أعطي فرصة لكادر الربط باطلاق قصيدة حماسية ولكني استدركت ما أنا فيه ابتسمت لتلك الخاطرة وسريعا ما واصلت عرضي للتاريخ الأوربي هل تدري عزيزي جون بأن احدي جوارى ملك فرنسا تدعى دي مونتيسبام تنقع نفسها في حوض من العطر حتى لا تشم رائحة الملك لم تكن هذه الثقافة ناتجة من فراغ ولكنها كانت معتقد فكل أوروبا في تلك المرحلة الزمانية لديها إيمان بأن الاستحمام والنظافة تعتبر كفرا صريح هذه هي ثقافتك التي تحتقرنا بها عزيزي جون، لم تكن اوروبا وحدها صدقني حتى الروس كانوا لا يغتسلون من البول أو الغائط وأشهر ما تم به وصف قيصر روسيا بيتر بأنه كان يتبول على حائط القصر في وجود جمع من الناس.

لم يكن حديثي هذا إلا محاولة تشفي واضحة اتجاه جون ادور واتباعه من ينظرون الينا بأننا مجرد أشياء قلت له لا تناقشني بانحطاط الثقافة العربية

فلست من أنصارها فالعرب مثل اوروبا في بدايتهم ما قبل العام السادس الميلادى لم يكن يجمعهم إلا الجهل والقتل والجنس فكلكم في الخبث سواء فأنا سليل حضارة ضاربة في القدم، تغوص لأبعد من ثمانية الآف عام في التاريخ الانساني فحضارتي هي أول من تنبأت بمحرك فعلي للكون واعتقدت أن الشمس محورها ولم تسجد لها، أنا حفيد الملك هاكريوش الذي آمن برب واحد في الوقت الذي الذي جاءت حضارتك بعد ذلك مختلفة حول حقيقة ما تؤمن به من ديانة هل هو ابن الله ام الله، الغريب ان تاثير الثقافة الاوروبية واضحاً حتى من الديانة الأشهر (المسيحية) فمهبط المسيحية ليس الفاتيكان عزيزي كما يتبادر لكثير من الغربيين فيسوع ولد بمدينة الناصرة التي كانت تعيش بها مريم على حسب إنجيل لوقا هي مدينة بفلسطين.

وحتى ثقافة الاعراب كانت انحطاط الذات في عبادة الحجارة وسبئ النساء للمتعة وقتل الانثي للعار ففى ذلك الوقت كانت الانثي تحكم عندي ولها قرار، عزيزي جون إن ما ذكرت من أسماء حررت اوروبا من دنس الاسلام في صراعهم معه وتوحيد اسبانيا يصغر أمام ما أؤمن به وما أعرفه عن تلك الأسماء، فلم تكن ايزابيلا الأولي ملكة صقلية وقشتالية بأفضل حالاً من أغلب البشر الموجودين في اوروبا فهذه الملكلة عاشت طيله حياتها مؤمنة تماماً بكفر الاستحمام فلم تقرب الماء خلال مسيرة حياتها إلا للشرب وهي من أجبرت المسلمين واليهود على اعتناق المسيحية أو القتل بعد أن استولت على غرناطة التى كانت نموذجاً للتعايش الدينى، وإمعانا منها في ترسيخ ما تؤمن به قامت بتدمير كل حمامات غرناطة وهي التى أنشات محاكم التفتيش ضد المسلمين واليهود وحتى المسيحيين الذين لا يؤمنون بالمذهب الكاثوليكى. !

إليك عزيزي جون ما خطه يراع المؤرخ الفرنسي دريبار :-.

(نحن الأوروبيون مدينون لثقافات أخرى بالحصول على أسباب الرفاه في حياتنا العامة فتلك الثقافات الأخرى علمتنا كيف نحافظ على نظافة أجسادنا، إنهم كانوا عكس الأوروبيين الذين لا يغيرون ثيابهم إلا بعد أن تتسخ وتفوح منها روائح كريهة فقد بدأنا نقلدهم في خلع ثيابنا وغسلها.).

هل تعلم جون سبب تسمية مكان الاستحمام باسم باث رووم Bathroom

ترجع التسمية إلى تمجيد ذكرى محمد باث الهندي الذي علم الاوربيين كيفية الاستحمام، ضجت القاعة بالتصفيق كنت اشاهد راجى صديقي الهندي يبكى ويصفق بحماس وأنا احاول أن استجمع بعض من أفكاري في العلوم والطب..... وابن سينا وفلسفة ابن عربي.

أفقت من تلك الذكريات على وجه مختار الأمين أمامي جاحظ العينين كان شكله غريباً بتلك الهيئة حتى أنني دخلت في نوبة ضحك ممسكا على جانبي الأيسر من أن يقع بسبب الألم الذي يسببه ضحكي المتواصل على الجرح أسفل القلب.

- مالك يازول الحاصل عليك شنو بتبرطم بالحلاج وابن عربي وابن سيناء

نظرت إليه منتشيا قلت :-

- لا مافي شئ

صمت لبرهة وأنا اتطلع في الغرفة الخالية كانت الساعة تشير إلى الثانية صباحا انتابنى إحساس غريب بالكتابة رغبة عارمة بالتدوين أدخلت يدي تحت الوسادة أتحسس هاتفي المحمول أخرجته شاهدت مختار خارجا من الغرفة بعد أن نظر إلى مستغربا تصرفي الأخير إلتفت ناحيتي وقال :-

- اجيب ليك تاكل شكلو دا الجوع بعمل اكتر من كدا.

أومأت برأسي إيجابا فقد كنت فعلا احتاج لتناول شيء.

فتحت مستندات الهاتف احاول أن أطّلِع على الوثائق التى مدني بها خالد العمرابي لعلى أجد فيها ما يمكن توثيقة.

34

أخذت أنظر إلى تلك الوثائق التى سلمها لى خالد العمرابى في قلب الخرطوم أمام عمارة الحرية في ذلك اليوم وقمت بتصويرها بالترتيب داخل مكتب مختار الأمين واحتفظت بنسخة منها على الايميل ونسخة أخرى على الهاتف المحمول، كانت رائحة الموت عالقة بكل ملف من الملفات ألَمُ الفقد ونظرات الشك تطل ساخرة من كلمات التقرير، بكاء وارتعاش الضحايا أفزعتني جمل الاعتراض برحيلها المبكر عن عمد من الوطن الذي غاب تحت هرطقات الحاكمين، كنت أنفخ على جرحي أسفل القلب قليلاً، ولكن من خلال كلمات التقرير وجدت جرح الوطن مهترئ تساقط بعضه مخلفاً بقعة دهنية صفراء مملوءة بالقيح، قبلت يد الغدر المتعفنة وهربت خوفا على الوطن أم خوفا من مصيري فيه لا أدري، أسكرتني ليالي الغربة بعذاباتٍ لا نِهاية لها، ظلمات بعضها فوق بعض، وآهات بطعم المُرتصيبُ حلقي المتقرح بالتهاب الفراق، وما أفعله الآن ليس إلا إرضاءاً لضميري المعذب بالشتات بلاهوية إلا من ذكرى أليمة تتاورنى كل حين لأمدرمان ولجدي عثمان جقود حيث ذهب هناك بخطاب استئناف جديد للمنون باسم شعبه بأن يعيد لهم دنياهم تحت حاكم رحيم عسى ولعل أن ينعم السودانيون قبل الموت بشئ من الحياه، إنني الآن أُمَسِّد خوفي وإضطرابي الذي سكن كل نواحي حياتي، أحاول أن أُسَكِّن جروحَي المُتقيحة، وصورة جدي في شبابه تحتل مدي بصري، أصرخ مادّا يدي لكل الذين رحلوا ظلماً باسم ظل الله في الأرض، وتركوا شروخاً عميقة بداخِلنا هل من أجل هذا العبث كان الوطن، والهلع الذي زرعه السلطان بداخلنا الآن ما هو إلا وهم صنع بأيدينا فكيف يكون الخلاص.

تتابع التقارير على مكتب علي عثمان محمد طه تعرض تفاصيل أحد الكوادر السودانيين المشاركين في العملية يدعي ياسر عبدالحفيظ بأنه أصبح مزعجاً بصورة لافتة وكثير الهمس بأحداث المحاولة الفاشلة يضع طه منظاره الطبي على

المكتب يغمض عينه بألم، المرض يسيطر عليه الآن بعنف حتى انعكس ذلك على وجهه، وهو في امسِ الحاجة إلى الراحة يفتح درج مكتبه يتناول تلفونه الخاص يبحث عن رقم صلاح قوش يضغط عليه يسمع رنين الهاتف على الناحية الأخرى

السلام عليكم

يرد الطرف الآخر

يضغط علي عثمان على أصداغه بإبهام يده اليمنى والسبابة ويقول

- لو أمكن نتقابل اليوم الساعة السابعة مساءاً بالمنزل في تقرير هنا عن ياسر عبدالحفيظ احد المشاركين في عملية الهجرة.

يرد الطرف الآخر ومن خلال ترديد علي عثمان فإن صلاح قوش يقدم نفس حديث التقرير،. ...نعم،. .. نعم،. ... واضح إن الشخصية دي أصبحت مزعجة جدا ياريت نتقابل في المواعيد حيكون في الاجتماع أسامة عبدالله.

يغلق نائب الرئيس الخط ويضرب على زر مدير مكتبه

يدخل خالد العمرابي عاقدا يديه أمامه ويقول،. . أوامرك شيخ علي

ودون النظر إليه يرد الشيخ :-

جهز نفسك الساعة السابعة تكون معاي في المنزل في اجتماع بخصوص التقرير السلمتني ليهودا، ويا ريت يتم تبليغ نافع في طهران بما نتوصل إليه.

ينسحب خالد العمرابي بعد أن أكد جاهزيته لذلك.

داخل مكتب الشيخ بصالون منزله جلس أسامة عبدالله وصلاح قوش متقابلين بينما كان الشيخ يجلس على مقعد المكتب، كانت كثير من الهموم تلقي بظلالها على الاجتماع بعد اتخاذ البشير قراراً بإعفاء عدد ممن تورطوا بالعملية الفاشلة ومن ضمنهم صلاح قوش الذي أخذ ينعت البشير بشئ من القبح فقوش يعتقد أن إمكانياته أكبر من أن يكون مديرا لمصنع ساريا التابع للتصنيع الحربي.

عاجلة أسامة عبدالله

الأمور تهدأ سعادتك ولكل حدث حديث الآن نحن أمام مازق حقيقي كل ما نقول انتهت تظهر لينا مصيبة أخرى

تحدث علي عثمان لأول مرة وهو ينظر إلى خالد الجالس على مبعدة منهم

-ياسر عبدالحفيظ كان من ضمن كتيبتك اعتقد يا خالد في واحدة من المتحركات للجهاد في الجنوب.....

يرد العمرابي :-

نعم،. .شيخ كان صديقي وفى اديس ابابا كان له نشاط جيد جدا،

قاطعه أسامة عبدالله ممكن بعد رجوعه من العملية وفقد مصدر دخله في الجهاز وقبل ذلك أعتقد قدم استقالته من البنك العقاري في كوستى أصبح بلا عائد مادي دا الخلاه يتعمد الاستفزاز بانه حيفشي أسرار العملية ويمضي للشهادة بمكتب على البشير.

يومئ علي عثمان برأسه إيجاباً ويقول :-

اعتقد هذا تحليل أقرب للصحيح،. .... يصمت ثم يقول

طيب كويس ممكن تقابل ياسر ياخالد وتقنعوا بأي مشروع وبدورنا نساعدوا بالدعم، فقط يظل صامتاً

يصمت الشيخ قليلاً فقد ظهرت علامات الإعياء على وجهه.

تناول صلاح قوش تحركات بهاء الدين حنفي والمحبوب عبدالسلام وسيد الخطيب بأن أمر المذكرة قد انتهى وحان الاطلاع عليها من قبلك شيخ علي

يرد علي عثمان :-

نعم قد وافقت على إجراء بعض التعديلات عليها وهناك من يساندنا فيما نحن مقبلين عليه حتى الرئيس مرحبٌ بتلك المذكرة.

ينظر خالد العمرابي إلى الأسفل ويقول في سره لعل الأمر يتعلق بتلك المذكرة

التى سوف تقلب زمام الأمور على شيخ الترابي.

يقف علي عثمان منهياً الاجتماع ويشير إلى أسامة عبدالله بإشارة ذات معنى يخرج الأخير دفتر شيكات مروص ببنك الخرطوم يضع مبلغ بدون كتابة الاسم ويسلم الشيك إلى خالد العمرابي

يقف صلاح قوش أيضا ينظر إلى العمرابي قائلاً :-

أقنع صحبك بأن يبدأ حياة جديدة ويحاول ينسى الشافه أو ممكن يتنسي

يأخذ العمرابي الشيك يضعه بين طيات دفتره ويهم بالخروج وسط نظرات الآخرين له

أغلق العمرابي باب الصالون خلفه وقوش موجها حديثه لعلي عثمان

الخوف الراجل يطمع وكل مرة يطلب مبلغ نظير صمته

ينظر علي عثمان في الفراغ ثم يقول :-

علينا تهدئة الأمور قليلاً فلكل حادث حديث سوف نجد المدخل المناسب لإسكاته ولكن ليس الآن.

35

نهار صيفي بالخرطوم بحري لم يمضي على اجتماع علي عثمان بصلاح قوش وأسامة عبدالله أكثر من ست أشهر شهدت تحولاً كبير في حياة ياسر عبدالحفيظ الذي استلم الشيك من خالد العمرابي وقام بفتح محل صغير بسوق حلة كوكو توقفت سيارة خالد العمرابي أمام المحل ترجل من عليها بعد أن ارتدي نظارته الشمسية كعادته دائماً، من داخل المحل أطل وجه ياسر عبدالحفيظ كان معه شخص آخر تفرس العمرابي في ملامحه يبدو أنه أسعد جميل قريب الزبير محمد صالح

تقدمت خطواته إلى داخل المحل

-السلام عليكم

وقف ياسر عبدالحفيظ مرحبا وعلى وجهه ابتسامة عريضة

-اووو حبيبنا خالد الأحوال اتفضل،.. اتفضل

سحب ياسر كرسي موجود على الجانب لجلوس العمرابي الذي صافح أسعد بمعرفة وسط دهشة ياسر.

- شكلكم بتتعارفو

رد أسعد بحماس :-

- ياخ معقولة في زول ما بعرف خالد العمرابي ود أم درمان الأصيل.

ابتسم خالد لهذه المجاملة الرخيصة من أسعد جميل، فمعرفتهم ليست لها صلة بأمدرمان فقد تقابلوا في درك الانسانية الأسفل فأسعد جميل أحد تجار

العملة الذين تستعين بهم الحكومة لخلق مضاربات في السوق ومحاربة بعض رجال الأعمال الذين لا يقدمون الولاء للنظام، تبادل الإثنان ابتسامه ذات معنى

وقف ياسر مناديا على حاجة أمنة وهو يسأل العمرابى قهوة ولا شاي

- قهوة تقيلة..... قال هذا وهو يخلع نظارته الشمسية

بتعرف ياسر دا من وين يا خالد هكذا كان سؤال أسعد

-معرفة قديمة، نظر العمرابي إلى ياسر بعد أن قال تلك الجملة

أرخى الأخير نظرة وهو يقول :-

- خالد كان أمير كتيبتا في الجهاد يا أسعد

وضعت أمنة كوب القهوة أمام خالد العمرابي الذي أخذ يقلبها بعد أن أضاف إليها بعضاً من السكر

- وانتو بتتعارفوا من بدري

رسم ياسر عبد الحفيظ ابتسامة باهتة :-

- يعنى ما من بدري لكن بينا مشروع عايزين نوسع الشغل دا لأكبر

لمعت عينا العمرابي وهو يستمع لتصريح ياسر الأخير

- ممتاز دا كلام جيد

لم تمضي على تهنئة خالد ثواني حتى داهمهم صوت يعرفه تماماً

متجمعين في الخير دائما...

التفت خالد ناحية الهاتف، يا اللهي الطيب عبد الرحيم، نعم هو الطيب عبدالرحيم يبدو علي وجهه الضنك وبرغم هذا لازال محتفظاً ببعض مرحه القديم، صافح خالد الطيب بحرارة وهو يسأله عن حاله، عمل الطيب عبدالرحيم مع خالد العمرابي بجهاز الأمن فترة طويل، وهو الذي رشح ياسر عبدالحفيظ

للانضمام معهم في عملية اديس ابابا فهم أصدقاء بل أصحاب منذ زمن بعيد يعود إلى بدايات الإنقاذ ابناء منطقة واحدة على ما يذكر.

ظهرت على وجه ياسر عبدالحفيظ علامات عدم الارتياح وهو يصافح الطيب عبدالرحيم، أستأذن أسعد جميل الجميع بعد مصافحته للطيب بحجة بعض مشاغله تاركا مكان جلوسه للأخير.

بدون مقدمات جلس الطيب عبدالرحيم وصوته يستعجل حاجة أمنة بالقهوة كان من الواضح أن الطيب غير مرحب به من قبل صديقه القديم الذي امتعط من استرساله مع خالد العمرابي.

- أخر مرة اتقابلنا فيها أيام اديس يا الطيب

يرد الطيب :-

- نعم،. ..... يصمت قليلا ثم يواصل قائلاً

- تصدق يا خالد بعد العملية دي أنا زهجت جدا من ناس كتار.... قال حديثه هذا وهو ينظر إلى ياسر الذي تحاشي النظر إليه وتشاغل ببعض الأوراق أمامه

وضع العمرابي كوب القهوة على المنضدة أمامه وسأله :-

- عرفت انك تركت العمل بالجهاز

سرح الطيب قليلا ثم قال:-

- بل هم الذين تركوني،. .. صمت لبرهة كأنه يسترجع ذكرى أليمة وقال :-

- أنا كنت حأموت بعد فشل العملية بعد أن خرجت من مبانى السفارة السودانية عرفت انو العملية فشلت كنت في طريقي لمقابلة صفوت حسن بمحل قطع الغيار عندما علمت بأن سيارة الرئيس المصري رجعت المطار، لم يكن هنالك وقت فأغلب الأثيوبين والسودانيين قد شاهدوني مع رابح ولم يكن أمامي سوى الهرب وبالفعل استطعت أن أصل إلى الحدود ودخلت السودان عن طريق نهر

تمتم خالد ببعض الكلمات كان يدرك حجم الكارثة التى كانت من الممكن أن تحدث لو تمكنت القوات الأثيوبية من القبض على الطيب عبدالرحيم ولكن ما كان يحيره تعامل ياسر معه، لا يريد أن يتدخل ولكن يبدو أن هناك شيء ما وقف الطيب وهمس في أذن صديقه الذي تعكر وجهه هذه المرة وأخذ يطنطن بعبارات عدم الرضي ثم قال :-

انت عارف المبلغ وصل كم كدا،. ...؟

لم يرد الطيب، واصل ياسر

أنا كدا عايز منك قريب 150ألف،. ....

جحظت عينا خالد العمرابي من هول المبلغ لم تمضي لحظات حتى ارتفع رنين الهاتف المحمول للعمرابي الأرقام على لوحة الهاتف تبين بان الاتصال من غرفة العمليات بجهاز الأمن رد على الاتصال وأقدامه تسارع الخطى خارج المحل كان المتصل شهاب نجم الدين، الذي أبلغه استياءه الشديد من ياسر عبدالحفيظ الذي ضغط على القيادة في التنظيم حتى تمت مهادنته وهم الآن يعلمون طبيعة العلاقة بين ياسر والطيب وما فيها من توتر بسبب ديون الأخير المتراكمة، أكمل العمرابي مكالمته في نفس اللحظة التى خرج فيها الطيب عبدالرحيم من دكان ياسر يبدو أنه قد استلم مبلغاً جديدا منه.

سرح خالد للحظات، تري من أعلم شهاب بأن الطيب يستدين من ياسر لابد أن الطيب له علاقة ما بالجهاز ومن خلال متابعلة ياسر عرف شهاب بأنني الآن بالمحل وهذا الاتصال تنبيه لي بأن لا أتدخل وعلى الانسحاب.

توقف العمرابي أمام سيارته وهو ينظر إلى ياسر عبدالحفيظ الذي أخذ يتحدث إلى شخص ما وتبدو عليه آثار الغضب أخذ يلوح بكلتا يديه، أشار العمرابي له بأنه على وشك الذهاب ترك الأخير سماعة التلفون وهو يستمع الى خالد الذي قال :-

- جيت حلة كوكو قلت أسلم عليك ما أكثر...!

رد ياسروهو يرفع سماعة التلفون مره اخري ويحث الذي على الجانب الآخر التريث قليلا حتى يتسنى له وداع ضيفه :-

كتر خيرك يا عزيز أشوفك قريب،. . أشوفك قريب

أدار العمرابي سياراته وتحرك وعينه مثبتة على المراة الجانبية يلمح ياسروهو يواصل حديثه بنفس الغضب وبحس كادر أمنى متمرس إنتابه إحساس بأن هذه أخِر مرة يري فيها ياسر عبد الحفيظ.

36

ازدات ضغوط ياسر عبدالحفيظ على الطيب عبدالرحيم مطالباً إياه بسداد ماعليه من مبالغ نسبة لدخوله في شراكة ويحتاج ولو لجزء من المال لتلبيه بعض الالتزامات، تماطل الطيب لدرجة الاستهزاء باتصالات صديقه القديم الأمر الذي أدي إلى أن يقوم ياسر بتهديده برفع دعوي عليه بحكم الشيكات التى بحوذته، كان الطيب قد أعطاه شيكات بمبلغ خمسون ألف جنية سوداني، الأمر وصل مرحلة مرهقة بين الإثنين يبدو أن التهديد قد آتى مفعوله مع الطيب فقبل دخول رمضان بثلاثة أيام للعام 1998 حل الطيب ومعه شهاب نجم الدين ضيوفاً على ياسر عبدالحفيظ بالمحل،..

- انت عارف اني ما شغال يا ياسر ولو كنت شغال ما كان بجي استلف منك

هكذا دافع الطيب عن نفسه

- انا ما قلت ليك، ما عايز المبلغ كلو اديني بس جزء منو،.. اقول ليك حاجة اديني بس المبلغ المكتوب في الشيكات والباقي أنا عفيتو ليك

كانت ردود الطيب تحمل نوعاً من السخرية وكأنه يريد أن يبتز ياسر الذي تعامل بطولة بال لا يدري هو نفسه كيف استمدها وبين حين وحين كان يسترق النظر إلى شهاب فهذه الشخصية لم يرها من قبل وبحكم الصداقة القديمة يعرف كل اصدقاء ومعارف الطيب من هذا.

تدخل شهاب معرفاً عن نفسه بأنه قريب الطيب ويعمل بمدينة الأبيض ووعد ياسر بأن جزء من المبلغ سوف يكون معه قبل بداية شهر رمضان وأنه الآن مسافر إلى كوستى لتدبير المبلغ.

كان حديث شهاب يحمل كثير من البشريات إلى ياسر الذي وافق على العرض

على أن يحتفظ بالشيكات إلى أن يتم تسليم المبلغ المتفق.

اترسمت ابتسامة كبيرة على وجه شهاب وهو ينظر إلى الطيب الذي أخذ يعقد شاربه بيده اليمنى في صمت تام.

لم يمضي يومان حتى توقفت سيارة الطيب عبدالرحيم أمام دكان ياسر بحله كوكو صباح الأول من رمضان،

المبلغ معاك إن شاءالله،.. ...تبدو على وجه ياسر علامات الأرق فهو لم يذوق طعم النوم منذ يوم أمس.....

اركب،.. .. القروش بتاخدها الليلة يا حبيبنا،.. .. وضع الطيب ابتسامة صفراء على وجه وهو يحث الأخير على الصعود..

تربع ياسر على المقعد بجانبه وهو يتساءل بعد أن تحركت السيارة

- انت ماشي وين مفترض استلم منك المبلغ الآن أنا عندي شغل وما نائم من أمس.

رد الأخير بثقة :-

- شيل الصبر المبلغ موجود 100 ألف كمان حنمشي ناخذها من شهاب

رد ياسر بضجر بعد أن فقد صبره

- وشهاب دا حيكون وين هسه..؟

أخذت السيارة طريق الأسفلت وانطلقت في صباح رمضانى هادي والسائق يجيب :-

- فى كوستى

جحظت عينا ياسر

- كيف كوستى الاتفاق تجيب المبلغ وتجى

يرد ياسر بضيق :-

- ياخ شهاب حصلت ليهو ظروف وأنا أساسا مسافر كوستى، نمشي نشيل المبلغ بتاعك وأنا أقضي بعض أموري هناك ونرجع خلال اليوم

استسلم ياسر للأمر الواقع فهو في حاجة ماسه للمبلغ فقد صرف جزء مما كان محتفظاً به للمشروع في بعض متطلبات شهر الصوم، أخذت السيارة تقطع الطريق بسرعة 100 كيلو متر فالطريق خالي تماما في تلك الساعات وأيضا يصادف أول أيام الشهر الفضيل.

لاحت منطقة جبل أولياء من بعيد، وسط صمت تام ساد بينهم، فقد استسلم ياسر لخدر النعاس الذي يحدثه تحرك السيارة وداهمته غفوه علها تعيد له بعض القوة في مجابهة سفره مع الصيام.

قطع صوت الطيب الصمت داخل السيارة وهو يستشير ياسر في المرور على شقيق شهاب فهو يسكن في تلك المنطقة وكان قد اتفق معه أن يذهبا معا إلى كوستى، لم يجد ياسر سبباً للاعتراض طالما كان هنالك اتفاق سابق، صمت وهو ينظر إلى انحراف السيارة عن الشارع الرئيسي متخذة إحدى الطرق الترابية المعبدة لاحت من على البعد أسراب لإحدي قري جبل اولياء يبدو أن شقيق شهاب يقطن تلك القرية، انحرف الطيب مره أخرى بالسيارة متخذا مسارا آخر وسط دهشة ياسر الذي أخذ ينظر إليه متسائلاً :-

انت ماشي وين بالضبط

لم يتلقي أي رد، توقفت السيارة بالقرب من دورة عالية كانت منطقة تدريب للرماية لجنود وعساكر جهاز الأمن، أخذ الطيب ينظر إلى ياسر الذي جحظت عيناه غير مصدقاً، فقد تناول السائق مسدساً من تحت المقعد وصوبه إليه طالبا منه النزول من السيارة، شلت الصدمة ياسر تماما لم يكن يتوقع إطلاقا هذا السيناريو من صديق عمره، فقط أخذ ينظر إليه ويمتم

انت جادي،.. انت جادي.... دا عشان أنا عايز منك ق.....

لم يكمل ياسر جملته الأخيرة، ضغط الطيب على الزناد لتأكيد ما يرمي إليه

خرجت الرصاصة من مسافة قريبه شاقه صمت المكان ومخترقة جمجمة الطيب أعلى الحاجب الأيمن تماما ومهشمة زجاج النافذة خلفه بعد أن خرجت من الجانب الآخر نزل الطيب سريعا من على مقعده، فتح الباب الذي تهشمت نافذته ورمى جثه صديقه بعد أن أكرمه برصاصة أخرى انتفض على أثرها جسد ياسر معلناً مفارقة الروح للجسد تماماً.

نظر الطيب عبدالرحيم إلى جثة صديقه المرمية انتابته رجفه خوف وهو يري الدماء تسيل علي الأرض، تربع على مقعد القيادة وأدار محرك السيارة وتوجه نحو الخرطوم.

وفى الوقت الذي كانت فيه سيارة الطيب عبدالرحيم تغادر مكان الجريمة تحركت سيارة من خلف الدروة اتجاه الجثة ظلت المجموعة التى بالسيارة تراقب كل الأحداث منذ دخول الطيب عبدالرحيم الطريق الترابي إلى لحظة مغادرته تاركاً الجثة في العراء دون إخفاء معالم الجريمة.

37

أخرجني مختار الأمين من تراجيديا الغدر والخيانة كانت دموعي على خدي عندما وقف أمامي مبدئياً استغراباً ممزوجاً بالدهشة

الحاصل شنو مالك يا مرتضى انت تعبان ولا حاجة..؟

رفعت بصري عن التقرير أخرجت تنهيدة حارة وأنا أضع لوحة الهاتف أمام عينى المحامي البدين الذي استدرك ما أنا فيه

وضع السندوتشات التى خرج من أجلها أمامي مع أكواب العصير وتناول الهاتف يقرأ في حيثيات مقتل ياسر عبدالحفيظ على يد صديق عمره الطيب عبدالرحيم وقال :-

- نعم كانت خطة في كامل الخبث، لا تحزن صديقي هذا تفكيرهم.

كان ردي متلون بتضاريس الألم :-

- الحزن ليس مخيفاً مختار.. المخيف هو انعدام الإحساس ببشاعة الأحداث صدقني.

لم تعد لدي رغبة في الأكل أو الكلام كانت رائحة الموت عالقة في كل أرجاء الوطن، الأسي يعتصر القلوب، والمفجوعات بالخطيئة نسوة قدَمن فلذات أكبادهم باسم الوطن، كنا نتأمل جثة الوطن وهي تتعفن خلال الثلاثين سنه الماضية أزكمت رائحة القهر أنوفنا فهربنا نلتمس العفو من قاتلنا، رد المحامي البدين بأسى محاولا تخفيف مابي ومتناسياً جراحه التى نزفت وهو يحرث في النضال بلا كلل :-

لن نحاربهم بنفس أسلوبهم، وسيلتنا زرع القيم والحب والانسانية من خلال مواكب السلمية يا عزيزي.

كان ردي قاسياً:-

- أي حب أيها المناضل، الحب لا يفي معهم، الحب لن يعطينا الحياة التى نريد،.. أتدري في العصور الوسطى عندما إشتد الطاعون في اوروبا كان الرهبان ينصحون الناس بالتجمع في الكنائس للصلاة حباً ليسوع ماذا كانت النتيجة انتشرت العدوي بسرعة أكبر، وهذا ما نفعله الآن بالضبط يا صاحبي إننا نجمع الثوارللهتاف والموت ونتواري خلف حب الوطن دون معرفة حقيقتنا.

ران على الغرفة صمت بليغ، والجرح أسفل قلبي يتسع داخلي ألماً على ألم لماذا رجعت مرة أخرى، طرقات على باب الغرفة ويطل وجه خالد العمرابي متوشحاً بدماء ضحايا مشروع ظل ثلاثين سنة بوراً في الفكرة.

- السلام عليكم.... ألقي العمرابي تلك التحية وهو ينظر لذلك الوجوم الذي سيطر على الغرفة في وجوهنا.

أخيرا رد البدين بفتور

كيف حالك خالد

وبحيرة ممزوجة ببعض الدهشة تساءل الأخير :-

الحاصل،.. مالكم في حاجة،..مرتضى تعب تاني ولا شنو،..؟

لا أبدا بس شكلو مرهق نفسياً قال مختارتلك الكلمات وهو يشير إلى التقرير على الهاتف المحمول.

تطلع خالد إلى حيث أشار البدين ونظر إلى الأرض صامتاً

نعم لقد تمت تصفية ياسر عبدالحفيظ بتلك الطريقة، بل ذهب الأمر لأكثر من هذا فقد تمت تصفية الطيب عبدالرحيم أيضا بصورة أكثر خبثاً وجبناً لقد كان أداة مجرد وسيلة لعبة في أيديهم.

صرخت في وجهه بقوة بل (آياديكم) لا تخرج نفسك من تلك القذارة يا خالد انت جزء من ذلك العفن.

صمت خالد ولم يبدي أي مخالفة لرأيي هذا بل أكد على ما أقول :-

- بل نحن الذباب الذي كان يبيض على القذارة ويعمل على نقل الأمراض يا عزيزي، لا أقسو على نفسي ولكنها الحقيقة التى حاولت كثيرا مداراتها وظلت واضحة.

صمت خالد ساهماً في فراغ الغرفة ثم قال :-

- لقد تم التأمر على ياسر عبدالمجيد والطيب عبدالرحيم كانت خطة محكمة وهي تصفية ياسر بعد أن وصل ما يوضح طبيعة العلاقة المتوترة بينهم بسبب الديون، لم أكن أعرف شهاب نجم الدين هذا معرفة شخصية ولكن هو من حل مكاني بمكتب علي عثمان واعتقد أن تلك أول عملية يتم تكليفه بها، تقرب من الطيب عبدالرحيم وصادقه وتم رسم الخطة بتلك الدقة التى وصفها التقرير فقد تم استدراج ياسر عبدالحفيظ إلى تلك النقطة تحديداً حتى يتم قتله فيها، لدرجة أن الطيب لم يكلف نفسه عناء إخفاء الجثة أو حتى إخفاء أداة التنفيذ، حتى تفاجأ بالقبض عليه بتهمة قتل صديق عمره الأمر الذي وقع صدمة قوية على عائلة ياسر وعائلة الطيب أيضاً، أنكر ارتكابه للجريمة إلا أن كل الدلائل كانت تشير إليه، وتم حجزه بسجن كوبر وهناك كانت رسائل علي عثمان وقوش وأسامة عبدالله تصله شفاهة وتهدئ من روعه بأنه خارج منها مثل ما خرج كثيرين من اتباع الجهاز فقط عليه أن يواصل في الإنكار وأن لا يذكر أي تفاصيل تشير إلى اتفاق معهم.

تنحنح مختار الأمين مقاطعاً خالد العمرابي، يبدو أن الجوع قد ضرب أصقاع البدين، فتناول سندوتش ومده لى قائلاً

اسند نفسك انت محتاج تتغذي. .

أخذته من يده وأنا أتساءل بيني وبين نفسي ومن يسند وطنا على شفا حفرة من انهيار. . من يسند قلبا صام عن العشق حزناً للشوق.

تناول مختار سندوتش جامبو من البيرقر في قضمتين فقط وسحب عصير المانجو في شفطة واحدة وقال لخالد :-

- نعم لقد تم إعدام الطيب عبدالرحيم بتهمة قتل صديقه، لكن في أخِر أيامه أصبح الطيب شديد التوتر اعتقد أنه أدرك بحدسه بأن الآخرين قد تآمرو عليه فشرع في تهديدهم بأنه سوف يفشي أسرارهم وبالفعل قام بكتابة خطاب طويل يحمل تهديداً ويشرح فيه تفاصيل حقيقة تورط جهاز الأمن وبعض القيادات في قتل صديقه وأيضاً شرح حيثيات تورطه في محاولة اغتيال حسنى مبارك.

تناول مختار كوب الماء الذي أمامه وهو ينظر إلى ويقول :-

- هل تذكر أول مرة تقابل فيها عائشة الشريف

قلت باهتمام :-

- نعم كان ذلك بمكتبك عندما صعدت إلينا عائشة تحمل فائلاً بين يديها

أومأ البدين وهو يضع كوب الماء على المنضدة وقال :-

- بالضبط كدا.. ومن بين الأوراق التى كانت على الفايل كان خطاب الطيب عبدالرحيم الذي كتبه من داخل سجن كوبر قبل إعدامه.

صمت ثلاثتنا فأصاب الغرفة صرير الصي من مرارة الذكرى، ذكرى وطن في طور التشكيل، حزن تضاعف بتلك الدماء التى أُريقت من أجل الانعتاق، وجرثومة النظام أضعفت مناعة الشعب خلال السنوات الماضية فهل من ترياق، السياسة لا تحترم حزننا على الأموات لا تحترم دموع الأمهات ولا حتى خذلان حبيبات الشهداء الذين لا يستطيعون البوح بالبكاء لعظمة الفقد يكفيهن تجرع حنظل الفراق باسم كلمة شهيد.

سامية لم تظهر بعد لعلها في الطريق تبحث عن نفس الحلم اليباب وسط الدموع والدماء وأشلاء الوطن المبعثرة بتدخلات الأعراب ومرتزقة الجنجويد.

38

عندما يصيبنا التعب تعود تلك الأفكار التى هزمناها منذ وقتٍ بعيد، للهجوم علينا مجدداً، وأي فكرة أقبح من خيانة الوطن تساءل خالد العمرابي على مقعد القيادة ونحن في طريقنا إلى المنزل بعد أن قضيت فترة العلاج بمستشفى الأربعين :-

لقد ساءت أخلاق السودانيين كثيراً، أخافُ الفوضي التى تتبع كل تغيير.

كنت جالسا على المقعد الخلفى وبجانبي سامية قابضاً بكفها بين يدي استمعت لكلمات خالد بضيق قلت :-

- ألا يكفي السودانيين ما بهم من ضنك حتى نحاكمهم بسوء الخلق.

نظرت إلى مختار الأمين كان يجلس على المقعد الذي بجانب السائق بصمت واصلت حديثي :-

- الأخلاق عزيزي خالد هي نتاج للظروف الاجتماعية، لقد عشت في اوروبا فترة قاربت على الخمس والعشرون عاماً، لقد تيقنت تماماً أن الاوربيون لم تتحسن أخلاقهم لأنهم يريدون ذلك، بل لأن ظروفهم الاقتصادية تحسنت وتبع هذا تحسن لسلوكهم.

كانت سامية تتابع باهتمام ما أقول مختاريتابع حديثي بعد أن أرخي لي سمعه.

صمَتُ لحظة وأنا أري وقع كلماتي على خالد العمرابي أمامي، كان يبدو عليه الاهتمام فواصلت وأنا أتابع شحوب المارة أمامي وضنك المعيشة يعكسها بؤس أشكالهم التى تترنح من الجوع، قلت وأنا أشير لبعض المارة:-

- من الظلم أن نطالب أمثال هؤلاء الكادحين أن يكونوا مهذبين أو نظيفين ومهندمين، من الظلم أن نطالبهم بالصدق وعدم الكذب، في اعتقادي

إنهم لايريدون أن يكونوا كذلك ولكن معايشة العوذ والعسر والضنك تقتضي أن يصارعوا بكل الأدوات لكي يظلوا على قيد الحياة.

قاطعني خالد بقول:-

- ولكن الدين يقول،. ..

قاطعت خالد بهدوء وأنا أنظر إلى بعض اللافتات التى تتحدث عن مشروع الدولة الديني :-

- لا تحدثني عن الدين أرجوك الدين خيار فردي لا دخل لأحد بما يعتنق الآخر حتى الدولة ليس من واجبها نشر الدين بين شعبها بل عليها أن توزيع العدل بين مواطنيها.

كُنا قد شارفنا على الوصول إلى المنزل عندما توقف خالد أمام أحد المطاعم نزل مختار الأمين بخفة وهو يقول لخالد:-

- خليك انت،. .. حاتناول الحاجات سريع

حاولت أن اعطى مختار مبلغ الوجبة ولكنه غادر سريعاً دون رد، نظرت إلى سامية بوهن كانت صامتة في خجل التقت أعيننا وصوت محمود درويش داخلي يصدح بها.

تمرد قلبي عليّ.

أنا العاشق السيء الحظِّ

نرجسة لي وأخرى عليّ

أمرّ على ساحل الحب. ألقي السلامْ

سريعاً. وأكتب فوق جناحِ الحمام

رسائل منّي اليّ.

كم امرأةٍ مزقتني

كما مزَّق الطفل غيمةْ

فلم أتألم، ولم أتعلَّم. ولم أحْمِ نجمهْ

وأسحب نفسيَ من جَسدٍ لم أرَهْ

أخاف الرجوع إلى أيِّ ليل عرفتُهْ

أخاف العيون التي تستطيعُ اختراقَ ضِفافي

فقد تبصر القلبَ حافي

أخاف اعترافي

بأني أخاف الرجوعَ إلى أيِّ صدرٍ شربتُهْ.

توقف صوت درويش وأنا أبحث عن ذاتي بين جنبات قلب سامية التى أحب، فأنا رجل حطمته مقاليد القدر فحسبي أن أصمد أمام حب، فبعض النساء كالوطن يهديك أرضا وعلماً ويوسدك القلق، كنت أعلم أن الخلود ليس امتداداً لحياتي بحساب الزمن بل هو امتداد لتلك اللحظات التى أحسها بجانب من أحب، وأحس بطعم الطمأنينة وكانت سامية التى أريد، قطع هيامى تحرك السيارة ومختار يمد إلينا بعض الأكياس معباة بالطعام تناولتها سامية ووضعتها على الجانب ومختار يقول:-

- غدا حيكون الموكب ضد النظام في قلب الخرطوم بيان اليوم من تجمع المهنيين أشار لنقاط تجمع الثوار.

يبدو أن رحلة التحرير من قيود النظام كُتب عليها أن تأخذ وقتاً طويلاً فمثل ما كان انغراس جذور البطش في تربة السودان ممتدةً لثلاثين سنة فمن المؤكد أن نزع تلك الجذور يحتاج إلى وعى وحراك وزمن طويل، إذن لم ييأس المهنيون في مقارعة الجبروت، غدا السابع عشر من يناير جولة أخرى للنزال ولنا يوماً مع الهتاف.

39

أخترت أن أجلس فترة نقاهتي بغرفة جدي عثمان جقود عسي ولعل أجد فيها ما يساعدني على مغالبة شجني تزاحم أهلي على منزلنا القديم مباركين سلامتي من الموت، لم تهدأ حركة القادمين خلال بقية اليوم تحولت غرفة جدي لمزار، أعجبت بتلك التفاصيل السودانية الخالصة والدتي أصرت على ذبح الخراف، لم يكن فرحاً في تلك الأيام السود التى تعم الوطن بقدر ما كان نذراً، احترمت رغبتها بشرط توزيع لحوم الخراف على المحتاجين وقد كان، أخذت والدتي تتمعن في سامية وفى جوفها تساؤلات من تكون، همست في أذنها، لم أري أمي بهذا الفرح احتضنت سامية بحب، كانت أخِر أمنياتها أن تري أحفاداً من ابنها الوحيد، كثيرا ما كانت تسألني وسط دموعها وأنا في ايرلندا :-

إذا تزوجت من خواجية دعني أري ابناءك. .

كنت اقسم لها بأنني لم أتزوج بعد، لم تصدقني يوما فكانت توصيني (خاف الله من الحرام)، اعتقد أنها كانت على يقين بأنني أعيش أتعس لحظات عمري، قالت لي أنها لم تطمئن يوما بأنني على خيروبعد كل مكالمة كانت تجهش ببكاء حار وتتمني رجوعي.

أي شقٍ زرعته يا طارق بينى وبين أسرتي، هذا ما كان بي وماذا عن آلاف الأسر التى تشتت في أصقاع العالم بفعل النظام.

خطبتُ سامية بعد أن اتصلت بوالدتها وحددت يوم السادس من ابريل ميعاداً لفرحي بها، كنت أري الفرحة تشع في عيون أخواتي وأمي وأسمع هتاف الثوار من بعيد اختلطت رائحة الصندل داخلي برائحة الإطارات المحروقة وقنابل الغاز المسيل للدموع لم يكن عُرسي كانت دخلة الوطن الذي ظل أعازباً بعد أن سبيت عروسه منذ فجر الثلاثين من يونيو 89.

صباح السابع عشر من يناير كان مفارقاً للحلم وطماحاً للأمل، جلست إلى خالد العمرابي ومختار الأمين في الحوش أمام غرفة جدي نشرب شاي الصباح مع بعض التفاصيل التى غابت عني زماناً ليس بالقصير القيت بسؤال ظل داخلي منذ أن سمعت بالمحاولة الفاشلة تلك كيف كان تنفيذ العملية في اديس ابابا ومن بين ثنايا الذكرى سرد العمرابي التفاصيل.

40

لم يكن مصطفى حمزة الشهير باسم ابراهيم يحلم بأكثر من هذا... الثأر ضد النظام والمجتمع المصري باسم ما يعتقد، وجد ضالته جنوباً عند مقرن النيلين هناك كان رهط من البلهاء ظلوا يعملون على تحقيق حلم الرجل.

على متن الخطوط الجوية السودانية استقبل ابراهيم (مصطفى حمزة) بمطار الخرطوم إثنان من أهم رجاله عزت وحسين أحمد شهيت المشهور باسم فتحى، الساعة تشير إلى تمام الرابعة وخمس دقائق صاله القادمون بمطار الخرطوم تعج بالملتحين ذو البشرة البيضاء أغلب القادمين لدولة الشريعة يحملون جوازات سفر خضراء عليها صورة النسر تم الحصول عليها من سفارات السودان حيث كانو يقيمون، يتبادل ابراهيم التحية بالأحضان مع عزت الذي تهللت أساريره وهو يري المجاهد العجوز تبدو عليه آثار النعمة في بلاد السمر تصافح ثلاثتهم، رسم أحمد شهيت المشهور باسم سراج ابتسامة على وجهه وهو يدخل جواز السفر السوداني باسم فيصل لطفي عبداللطيف داخل حقيبته اليدوية وقال:-

- ونعم بالله والله السودانين طيبين، والله لإني أري نور الحق يشع من تلك البقاع.

رد شيخ مصطفى :-

- الحمدلله كثيراً أن جعل لنا مخرجاً من حيث لا نحتسب ولاحول لنا ولا قوة.

صعد ثلاثتهم على سيارة لاندكروزر

إلى المنزل... هكذا خاطب مصطفى السائق السوداني بعد أنا تأكد من ركوب الضيوف، أكرم الشيخ ضيوفه كما لو كان في بلده وأكثر.

فيلا الشيخ تطل على النيل الأزرق بعيدة عن أعين المتطفلين تتكون من طابقين و7 غرف بالإضافة إلى غرفة أمام الباب الرئيسئ يتواجد بها حرس دائم، مكث (ابراهيم) مصطفى حمزة في تلك الفيلا معه زوجته فاطمة وأطفاله الأربعة في أقصى مراحل النعمة الدنيوية.

تثائب حسين شهيت بعد وجبة الطعام الدسمة وتمدد على المقعد ممسكا بسبحة في يده اليمنى.

استهل ابراهيم الحديث

- لدينا اجتماع اليوم مع شيخ علي والرئيس السوداني سوف نناقش فيه طريقة تمويل العملية لقد اقترحت عليهم أن تتم خارج الأراضي المصرية نسبة للقبضة الأمنية داخل مصر.

تساءل شهيت بفتور :-

- وكيف لنا أن نتمكن من حسنى مبارك خارج مصر

واصل شيخ ابراهيم :-

- اعتقد أن أنسب مكان هو الحبشة فقد مدني مدير الاستخبارات السوداني نافع بتقرير يفيد مشاركة مصر في القمة الافريقية المزمع قيامها باذن الله تعالي يوم25 – 26 يونيو

رد عزت بعد أن أخذ نفساً في محاولة منه لإخفاء بعض التوتر الذي سيطر عليه :-

- فى هذه الحالة توجب علينا أن نستعين بعدد من الإخوة المجاهدين من الجماعة

أثنى شهيت عليه وقال :-

- لنري دعم الإخوة في السودان ونبني خططنا على ما يجودوا به في سبيل الله.

لم تمضي ساعات حتى كان ثلاثتهم وفى تمام الثالثة صباحاً بفيلا علي عثمان بمزرعته بضاحية حلة كوكو استمر الاجتماع ما يقارب الثلاث ساعات بحضور مدير جهاز الأمن السوداني نافع علي نافع والمستشار المالي للعملية أسامة عبدالله وتشريف الرئيس السوداني عمر البشير وحضور بعض الإخوة من الأمن السوداني ومن ضمنهم خالد العمرابي.. المسئول المباشر عن تحركات مصطفى حمزة، ابتسم ثلاثتهم عندما علموا أن الإخوة في السودان قد وفروا مبلغ مليار ونصف دولار لتلك العملية الجهادية لم يتملك شهيت نفسه بعد أن انفض الاجتماع أخذ يثنى على نظام الخرطوم طوال رحلة العودة إلى حيث تتم استضافتهم بالقرب من مبانى جهاز الاستخبارات بالعمارات.

مساء اليوم الثاني من الاجتماع كانت خطة الجماعة تتطلب الاتصال بصورة عاجلة بالشيخ شريف عبدالرحمن الشهير بعمرو واستعجاله بالقدوم إلى الخرطوم، تولى مصطفى حمزة التكليف، على أن يقوم عزت بالتواصل مع صفوت حسن عبدالعاطى للالتحاق بهم وعند اكتمالهم يبدأ التخطيط لكيفية التنفيذ.

رفع الملازم الشاب بجوازات مطار الخرطوم نظره يتطلع إلى صاحب الجواز الذي بين يديه مبدى دهشته كانت هيئة صاحب الجواز ولهجته تدل على أنه مصري الجنسية إلا أن معلومات الجواز السوداني تُأكد أنه سوداني يدعي فيصل محمد أحمد، لم تجدي ابتسامة الرجل أمام ضابط الجوازات الشاب ولا حتى تساؤلاته المتكررة، أخذ الضابط الشاب الجواز الذي يدل تاريخ استخراجه أنه تم خلال هذا الأسبوع يتصفح صفحاته، لم يجد سوى ختم الخروج من باكستان مما عزز شكوكه أن يكون الجواز مزوراً، تحرك من مكانه حاملا الجواز آمراً صاحبه بمرافقته، تلاشت ابتسامة فيصل وأخذت دقات قلبه تتسارع لم يكن هنالك مفر من التقدم مع الضابط الذي دلف الى مكتب (العميد) رئيسه المباشر لم تمضي لحظات حتى كان خالد العمرابي ومعه شخص آخر داخل المكتب أخرج العمرابي بطاقة سلمها للعميد الذي ألقى التحية العسكرية فورا وأمر الملازم بالانصراف، وقام بختم الجواز وتسليمه لصاحبه الذي تنفس الصعداء وهو يصافح خالد الذي أبدى أسفه من تصرف الملازم خرج ثلاثتهم من مكتب الضابط صافح العمرابي الضيف معرفا بنفسه بأنه تابع للأمن السوداني وكان من المفترض أن يكون في استقباله قبل وصوله إلى ضابط الجوازات

تمتم الضيف :-

- لا عليك أخ خالد فقد تأخرت الطائرة أيضا مما أدي لربكة في توقيت الوصول.

لم يكن الضيف سوى صفوت حسن عبدالغنى القادم من إسلام اباد برسالة من رئيسه في التنظيم عزت كانت، فحوي الرساله التى وصلت إليه عن طريق الفاكس التواصل مع السفارة السودانية بإسلام اباد وخلال أسبوعين استلم المجاهد جواز سفر سوداني وتذكرة ذهاب على الخطوط السودانية إلى الخرطوم، لم يمضي يوم آخر حتى وصل مساءاً بنفس الحيثيات شريف عبدالرحمن الشهير ب (عمر) قادماً من الصومال عن طريق المملكة العربية السعودية إلى الخرطوم بعد تكفل حكومة السودان بكل مصاريف السفر.

على طريق الخرطوم مدنى وبعد تفتيش سوبا بحوالي 20 متراً اتجاه اليمين سوف تشاهد مزرعة بها بركة ماء ومنزل باللون الأبيض مكون من عدة غرف وصالة كبيرة، كان اجتماعات أعضاء التنظيم الخمس بقيادة مصطفى حمزة، عزت، حسين شهيت، شريف عبدالرحمن وصفوت حسن تتم داخل تلك المزرعة بصورة يومية.

تحدث مصطفى حمزة وهو يتناول سبط من الرطب:-

- اعتقد أن الخطة تتطلب وجودنا في عاصمة الحبشة ودراسة جغرافيا المكان عن قرب وتحديد ما نريد من مجاهدين.

أكد صفوت ما ذهب إليه الشيخ

- نعم بالتاكيد والأهم من هذا أن يكون لنا وجود دائم فيها قبل وقت طويل من تنفيذ العملية حتى لا نلفت الانتباه.

هنا تتدخل شريف عبدالرحمن (عمر)

- من المؤكد أن الإخوة السودانيين لهم مداخل لأرض الحبشة من الممكن أن نعرض عليهم أفكارنا تلك في شكل مقترحات ولنري طريقة ترتيبهم لها حسب

مقدراتهم.

تحدث عزت بعد أن نظر إلى السقف كأنه يستمد قوله من السماء :-

- شيخ ابراهيم هو قناة اتصالنا بالإخوة السودانيين عليه أن يبلغهم مقترحاتنا تلك مكتوبه ونتولى نحن التنفيذ.

مسح مصطفى حمزة على لحيته ثم قال :-

- نعم، نعم الأمر يحتاج مشورة الأمر ليس بالسهل، علينا التأنى في كل خطوة فالعجلة من الشيطان.

لم تكن كلمات مصطفى حمزة تأخذ طريقها إلى مسامع الإخوة المجتمعين حتى كان تقريرا مفصلا من خالد العمرابي على مكتب نائب جهاز الأمن والمخابرات السوداني يوضح اجتماعات الجماعة.

خلع صلاح قوش نظارتة الطبيه وتمتم بعبارة ما ثم انسحب خارجاً من مكتبه طارقاً على باب رئيسه المباشر نافع علي نافع

- ادخل،. ....

كيف دكتور. .....؟

وبدون أن يرفع بصره عن الأوراق التى بين يديه تساءل نافع

- الجماعة منهم أخبار

رد قوش وهو يجلس على المقعد المواجه لمديره:-

- العملية تحتاج لتحديد خطة مننا سعادتك فالجماعة قدموا مقترحهم باعدام الفرعون ومقترحنا لهم بأن العملية تتم خارج مصر نسبة للقبضة الأمنية وعدم مقدرتنا على التحرك في الأراضي المصرية اخترنا أثيوبيا لوجود عدد من المنافذ التى من خلالها نقدر أن نمد يد العون لهم ومن ضمن تلك المنافذ وكالة الاغاثة الإسلامية ومنظمة الدعوة الإسلامية

وضع نافع الأوارق على الجانب الآخر وهو يقول بضيق :-

- نعم هذا ما تم الاتفاق عليه سابقا. . إلا أنني أتحفظ على المشاركة المباشرة في العملية

رد قوش بحماس :-

- بالتأكيد سيادتك وجود أي سوداني في العملية بشكل مباشر من الممكن أن يعود علينا سلبياً في حالة نجاح أو فشل العملية.

قدم صلاح قوش خطته المكتوبة بالآلة الكاتبة قائلاً :-

- الخطة مختصرة سيادتك من أهم نقاطها هي زرع أحد أعضاء الجماعة في المجتمع الأثيوبي ولعل أسلم طريقة لذلك هي العمل التجاري من الممكن أن يتم اختيار أحدهم لعمل أي نشاط هناك مطعم / تجارة قطع غيار / تجارة ملابس

سرح نافع قليلا ثم قال:-

- دعنا نستشير شيخ علي في كيفية ترتيب هذا وليكن من ضمن المستشارين أيضا الشيخ مصطفى حمزة

رد صلاح قوش بإغتضاب :- ليكُن.....

خرج قوش قاطباً حاجبيه كان يدرك أن نافع سوف يرفع المقترح بإسمه أمام البقية ولن يشير إليه إطلاقا، أخذ يطلق اللعنات ساخطاً، أشعل سيجارته وتولي ركن قصي داخل مكتبه وسرح مع التفاصيل المتوقع ان تكون!!!.

مساء نفس اليوم بمنزل الشيخ مصطفى حمزة كان هنالك اجتماعاً عاصفاً يرسم تفاصيل جديدة لمرحلة التمهيد للعملية داخل الأراضي الأثيوبية.

41

تقول كتب التاريخ أن اديس ابابا أسسها الإمبراطور الأثيوبي مينيليك الثاني في عام 1885، وأصبحت عاصمة البلاد منذ 1893م، وجعلها الإمبراطور هيلاسيلاسي الأول مركزاً لحكومته منذ عام 1931م. وخضعت للاحتلال الإيطالي منذ عام 1936 حتى عام 1941. ولأهميتها الإقليمية أقامت الأمم المتحدة فيها مركزاً اقتصادياً واجتماعياً في عام 1958 لدراسة الظروف الاقتصادية والسكانية في القارة الإفريقية. وأصبحت أديس أبابا تتمتع بأهمية سياسية دولية منذ عام 1963، حيث جرى فيها أول لقاء لرؤساء حكومات الدول الإفريقية الذي تمخض عن تشكيل منظمة الوحدة الإفريقية ومركزها الدائم في العاصمة الأثيوبية. ومنذ عام 1974 تطورت أديس أبابا تطوراً سريعاً في المجالات الاقتصادية والاجتماعية، كما لعبت أديس بابا دوراً هاماً في التاريخ والسياسة والأحداث الاجتماعية لهذه البلاد، لذلك غالباً ما يطلق عليها عاصمة أفريقيا أو "العاصمة الأفريقية"، وذلك نظراً لأهميتها التاريخية والدبلوماسية والسياسية بالنسبة للقارة االسوداء. وكلمة أديس أبابا كلمة أمهرية، وهي لغة إفريقية يتكلمها الناس في أثيوبيا، وتعني الزهرة الجديدة أو الوردة الجديدة، وهي أرض خضراء مرتفعة عن سطح الأرض بحوالي 2300م، وبذلك تأتي في المرتبة الخامسة كأعلى عواصم العالم ارتفاعاً.

رفعت موظفة الجوازات الأثيوبية نظرها متطلعة للمرة الثالثة على التوالي لصاحب الجواز الأخضر الذي يحمل اسم فيصل محمد أحمد كانت كل معلومات الموظفة عن السودان بأنهم أصحاب بشرة سوداء نادراً ما يكون اللون الأبيض من جينات تلك الدولة، حاول فيصل التحدث باللهجة السودانية فكانت محاولته تلك أقرب لكوميديا منها لإثبات شيء محدد، فعدل عنها بعد أن شاهد علامات الاستغراب في وجه الموظفة التي بدورها قامت بوضع تأشيرة الدخول على الجواز وهي تطيل النظر إلى هذه الشخصية.

كان في استقبال فيصل بمطار بولي الدولي الطيب عبدالرحيم بالإضافه لسائق أثيوبي

- كيف الحال اديس نورت فيصل

- بنورك حبيبي الطيب. .

هكذا كان رد فيصل للطيب مختصراً ويحاول بقدر الإمكان ان يخفي توترة الذي كان واضحا داخل المطار، تناول الطيب حقيبة ملابس فيصل وسلمها السائق الذي وضعها على السيارة، تغير شكل فيصل في رحلته تلك إلى أثيوبيا التي وصلها على متن الخطوط الجوية السودانية بتمويل كامل من الحكومة السودانية، فقد حلق ذقنه تماماً وربي شاربيه نوعا ما، توجهت السيارة على شارع بولي الخارج من المطار وعبدالرحيم يشرح معالم المدينة لصفوت حسن عضو تنظيم الجهاد الإسلامي والذي يحمل جواز سفر سوداني باسم فيصل توقفت السيارة في منطقة "بياسا" الأمر الذي أذهل صفوت حسن كثيراً وكغيره من المصريين لم يتوقع أن تكون في الحبشة أو أي دولة أفريقية أخرى ما يضاهي مدينة القاهرة في ظنهم، نزل صفوت وعلى وجهه علامات الدهشة من ذلك الحي العتيق، أخذ يجول ببصره على المعالم الأثرية والقصور القديمة، يتفحص في وجه المارة تاره والمبانى تاره أخرى شده منظر القهاوي التي تطل على الساحات واكتظاظها بالزوار كانت تفوح في الشارع رائحة القهوة الأثيوبية جذب صفوت (مصطفى) الطيب عبدالرحيم من يده يشجعه على الجلوس على أحد المقاهي وهو يمتع نظره بالمشاهده، إلا أن نوايا الطيب كانت مختلفة تماما عن استمتاع صفوت فالأول أخذ يطيل النظر إلى مؤخرات الأثيوبيات وأجسادهن بصورة تكاد تكون وقحة، أما الأخير فقد استلبته تلك القصور المعماريه التي بنيت على الطراز الإيطالي نظر ناحية كنيسة القديس مارجرجس، والتي نصب إلى جوارها تمثال الإمبراطور منليك الثاني، بطل معركة (عدوة) ومؤسس العاصمة الأثيوبية أديس أبابا متعجباً من ذلك الجمال المعماري، كان هنالك عدد كبير من البشر يتجولون في تلك المنطقة أكثرهم شباب في مقتبل العمر لعل ذلك راجع لوجود عدد من الكليات الجامعية، فقد لاحظ صفوت ذلك وهم في الطريق إلى بياسا يبدو أن تلك المنطقة هي المكان الأفضل لإلتقاء العشاق الذين يجلسون على تلك المقاهى الآن ويتبادلون الحديث بهمس،

تحرك السائق الأثيوبي إلى داخل المقهى وجلس مع عدد من معارفه تاركاً المجال لهم للاستمتاع، تقدمت النادلة الأثيوبية بملابسها القصيرة وصدرها النافر تجاه تربيزة صفوت وعبدالرحيم الذي تعمد مغازلتها لم تتجاوب معه ولكنها تحدثت بانجليزية واضحة بعد أن وضعت قائمة بالمأكولات والمشروبات باللغة العربية والإنجليزية والأثيوبية وهي اللغة الامهرية الرسمية في البلاد وتندرج تحت اللغة السامية وقد أثرت عليها لغات كوشية متعددة وتعتبر ثاني لغة من اللغات السامية انتشارا بعد العربية فاللغة الامهرية منتشرة في عدد كبير من الدول العربية مثل اليمن وجنوب سلطنة عمان، تمعن صفوت في قائمة الطعام فلاحظ وجود لغة أخرى استنتج بأنها العبرية فتح فمه مندهشاً تمتم في نفسه :-

- لا بد أن هنالك كثير من السياح الإسرائليين. .لا تفسير غير هذا. .

تساءل عبدالرحيم بعد أن سمع همس فيصل :-

- قلت حاجة أستاذ فيصل

رد الأخير وعينه لم تفارق قائمة الطعام :-

- اووو،. . نعم اعتقد أنني أريد تجربة الطعام الحبشي

ابتسم فيصل في خبث وقال مازحاً :-

- وما رأيك في النساء الأثيوبيات. .؟

فتح فيصل فمه في دهشة وهو ينظر إلى عبدالرحيم سأله مستدركاً:-

- ماذا قلت...؟

انتبه عبدالرحيم لخطئه الفادح وحاول معالجته فتعلثم قائلاً :-

- بالتأكيد،. . بالتأكيد أستاذ فيصل الأكل الأثيوبي ممتاز ولكنه حارق أقرب إلى الأكل الهندي ما رايك في تناول الزغنى إنها الأكلة الشعبية الأولي هنا

رد فيصل باغتضاب :-

- لا باس،..

صاح الطيب بعفوية سودانية منادياً على الجرسون :-

- لوسمحت عايزين نطلب

تقدمت نحوهم النادلة وعلى شفتيها ابتسامة تناست بها وقاحة الطيب السابقة، أشار الطالب بإبهامه على بعض الأصناف.

42

الوحدة والخلوة شيئان مختلفان، فعندما تكون وحيداً، من السهل أن تخدع نفسك ويخيل إليك أنك تسير على الطريق القويم، أما الخلوة فهي أفضل لنا، لأنها تعني أن تكون وحدك من دون أن تشعر بأنك وحيد. لكن في نهاية الأمر، من الأفضل لك أن تبحث عن شخص، شخص يكون بمثابة مرءآة لك، تذكر أنك لا تستطيع أن ترى نفسك حقاً، إلا في قلب شخص آخر، وبوجود الله في داخلك، لقد كنت وحيداً هناك في اغترابي عن الوطن أصارع ظلام نفسي التي خضعت للهروب، أتمرد على معتقدات ظلت داخلي لزمن، أجثو على ركبتي لشجن يداهمني لأمدرمان بشوارعها الضيقة المتعرجة، أتحرق شوقاً لتلك الوجوه التي تغالب مشقة العيش، أستنشق برئتي تاريخ ضارب في القدم ممزوج بدموع الحبوبات وآهات الأمهات لفراق أبنائهم، لم يكن شمس التبريزي مخطئاً في تعريفه بين الوحدة والخلوة، نعم كنت في وحدتي إلى أن وجدت خلوتي برؤية سامية فبدأت رحلتي وراء حب يغيرني، أولم يوصيني بأن من سعي وراء الحب وجده !! في رحلتي خلف سامية وجدت الله حقيقة فالطريق إلى الحقيقة يمر من القلب الذي يخفق، خرجت من سرد خالد العمرابي بتفاصيل العملية باديس على رنين هاتفي كانت المتصل حقيقتي، وحى من السماء باسم ملاك الدعوة إلى قلبي، ضغط على الزر وأنا أهمس

- سامية صباح العشق

ردت بتفاؤل عابد يلح بالدعاء :-

- صباح الورد مورتى

هكذا تفاعلت كيمياء الجسد لغة تتلوترانيم بمحراب الحب.

سرحت قليلا وأنا استمع لتفاصيل يوم أمس بعد أن غادرت وفرحة والدتها باتصالى كانت قد حكت لها عني كثيرا، وجدتها متحمسة للخروج في موكب اليوم بالخرطوم ابتسمت فقد كنت أنوي الخروج أيضاً وفضلت عدم اخبارها اعتقادا مني بأنها سوف تمانع ذلك فمازلت في مرحلة النقاهة، أغلقت الخط وابتسامة مختار الأمين والعمرابي تحاصرني، والبدين يقول ساخراً

- مازلت مراهقاً تنفعل بعبارات الحب

قلت في سري :-

- وهل للحب عُمر.. فالعاشق لا يعرف اليأس أبداً، وللقلب المغرم كل الأشياء ممكنة يا صديقي.

تناول العمرابي كوب القهوة المصنوع من البن الأثيوبي وهو يكمل تفاصيل تغلغل صفوت حسن في المجتمع الأثيوبي.

43

اختار صفوت حسن استئجار فيلا بحي بولي ميكائيل موقتاً كان السبب الأساسي لهذه الفيلا أنها تقع بالقرب من مسجد جعفر حيث يستطيع أداء صلواته براحة تامة وبعد مشورة طارق الجعلى الذي قابل فيصل مرة واحدة فقط طيلة إقامته باديس ابابا تم وضع مبلغ تحت تصرفه، كانت الخطة تتطلب أن يختار المجاهد المصري نوعية النشاط التجاري الذي سوف يقوم به فقد كانت الخيارات منحصرة في عمل مطعم... أو تجارة قطع غيار السيارات.. أو تجارة الملابس لم يكن الخيارين الأول والأخير مشجعين للممولين في الخرطوم لذلك رجحوا خيار الاستثمار في مجال قطع الغيار فالمطاعم تتطلب مجهود ووجود عمالة قد لا تكون مرغوبة وحتى تجارة الملابس غير مجدية في ظل المنافسة مع العرض الإيطالي، تم النقاش على أن يتم التعرف على سوق قطع غيار السيارات في اديس ابابا وباستشارة محمد الفاتح الذي يعمل زميلاً لطارق الجعلى تم ترجيح التجارة في عمل قطع الغيار إلا أن الأمر ترك أيضاً لرؤية الجماعة بعد أن تدرسه على أرض الواقع.

تحركت السيارة التي تقل صفوت وعبدالرحيم الطيب في جولة على بعض محلات قطع الغيار للوقوف على كيفية عمل ذلك القطاع كانت في يد الطيب خطة لتلك الجولة سلمها له طارق الجعلي، وبعد انقضاء حوالى الثلاثة ساعات أرسل صفوت حسن تقريره الكامل عن جدوي الاستثمار في هذا القطاع كستار لوجوده داخل الأراضي الأثيوبية.

وافق نظام الخرطوم على المقترح وعمل على تزويد المجاهد المصري بالازم عند الطلب وبالفعل تم تجهيز حاوية بمختلف قطع الغيار التي حددها طارق الجعلي ومحمد الفاتح حتى لا يتم لفت الانتباه من خلال نوعية تلك الاسيبرات فقد كانت أغلب السيارات التي تعمل في أثيوبيا إما إيطالية الصنع أو إنجليزية وقليل من الكوري والياباني، وهنالك سوق محصور لتجارة قطع الغيار الألمانية بالأخص

الفولكسفاجن، تم اسئيجار محل بمنطقة بياسا والتى تعنى بالايطالية الساحة أو الميدان، الغريب أن الإيطاليين لم يمكثوا في أثيوبيا سوى أربعة أعوام فقط ولكن وضعوا بصمتهم في تلك المدينة إلى الآن، كان سعر ايجار المحل مرتفع بمنطقة بياسا فهي من أقدم المناطق بالعاصمة وحلقة وصل لكل أثيوبيا وملتقى لكل خطوط المواصلات إلى جانب محطة القطار الكهربائي قامت السلطات السودانية ومن خلال ممثلها الطيب عبدالرحيم بعمل مسح لكل المنطقة حتى يطمئن فيصل ويم تأمينه في أي لحظة، تم استئجار المحل لتجارة قطع الغيار تحت إدارة فيصل (صفوت حسن).

- السلام عليكم شيخ فيصل

أطلق الحاج سعيد جار فيصل في السكن الجديد الذي انتقل إليه من فيلته بحي بولي ميكائيل اطلق تلك الجملة بعربية فصحى فقد كان الحاج سعيد مسلم تعلم تعاليم الدين الإسلامي في الخرطوم أوائل العام 1970 وبعد ترحيل الفلاشا الأثيوبيين إلى دولة إسرائيل قرر مغادرة السودان نهائياً فقد كان يعتبر أن تلك خيانة لدينه ووطنه.

رد فيصل بعد أن تمعن في المتحدث :-

- وعليكم السلام ورحمة الله

- إن شاء الله إقامتك طيبة بيننا، انا ادعي سعيد جارك

قال سعيد تلك الكلمات وهو يشير الى منزله القريب من منزل فيصل ثم واصل حديثة

- لقد كنت في غاية السعادة وأنا استمع لترتيلك ألقرآن اليوم بالمسجد

- جزاك الله خيراً أخ،. . أقصد حاج سعيد

- تفضل. . تفضل معي على الدار نتناول معي شاي سوداني

وافق الحاج سعيد على مضض بعزومة فيصل، ظهرت بعض ملامح الحيرة على وجهه، فسعيد مكث فترة غير قليلة بالسودان ويعرف أغلب طباعهم وكثير من

لهجاتهم تساءل بنوع من الخجل :-

- يبدو عليك مصري شيخ فيصل أكثر من إنك سوداني

تفاجأ فيصل بحديث سعيد إلا أنه عمل على تدارك الأمر سريعاً فقد كان ينتظر تلك المقارنة منذ زمن وقد أتت على لسان جارة الآن.

- آآآه نعم أنا مصري سوداني

توقفت أقدام حاج سعيد وفتح فمه بطريقة أغرب للسودانيين حينما يحاولون فهم شيء ما.

واصل فيصل قتل فضول الرجل :-

- والدتي مصرية حاج سعيد ووالدي من منطقة وسط السودان اسمها كردفان

ابتسم سعيد ولم ينتبه الى وصف فيصل للمنطقة التى نعتها بانها وسط السودان وقال:-

- نعم لقد خمنت ذلك، وعشت مع أهل والدتك على ما اعتقد

- بالضبط

نطق فيصل جملته الأخيرة تلك على مشارف باب الدار حيث يسكن دلف إلى الداخل فيما تأخر سعيد منتظراً إعطاء الإذن من صاحب المنزل، الذي استدار إليه قائلاً :-

- ادخل حاج سعيد لا أحد خلافي بالمنزل

تقدمت خطواته للداخل وهو يسأل مستفسراً

- أين زوجتك؟؟

لست متزوجاً قالها فيصل وأطلق ضحكة صغيرة

رد سعيد بدهشة :-

- كيف لم تتزوج وأنت تملك كل هذا المال وأثيوبيا فاتنة لشاب مثلك

تلعثم فيصل قليلاً ثم قال :-

- آآآ الحقيقة أني منفصل

خفض سعيد بصره إلى الأرض وربت على كتف الرجل أمامه وقال :-

- كل شيء جعلنا له سببا

استدرك فيصل أمراً ما بعد أن ومضت عيناه ببريق خفي فقد جاءت فرصة حقيقية للذوبان أكثر في المجتمع الحبشي.

ولكن ليس هنالك ما يمنعني من الزواج بعد أن استقر بي المقام في تلك الديار

قال فيصل كلماته تلك وهو يقدم كوب الشاي لضيفه، الذي تناوله وقال ضاحكاً

- هل أفهم من ذلك أنك تريد الزواج من هنا

نسي فيصل أنه يتغمص شخصية سودانية فغلب عليه الطابع المصري

- أجدع ناس انتو ولى الشرف حاج سعيد

إذن على بركة الله عندي عروس لك، ابنة صديقي لم تنال حظاً من التعليم ولكن لها من الخلق شيء عظيم.

قال سعيد كلماته تلك ووضع كوب الشاي على المنضدة أمامه، وعينا فيصل تزداد وميضاً.

44

مضت شهور وفيصل يزداد عمقاً في المجتمع الأثيوبي بل أصبح له أصدقاء عديدون بعد زواجه من اببا، كانت زوجته كثيرة الصمت تقوم بكل واجباتها المنزلية والزوجية بتفانى حال أغلب الأثيوبيات، أعجب فيصل بانطواء اببا وعدم مشاكستها وتحشرها في أشغاله فكثيراً ما كان يتساءل هل هذه طبيعة المرآة الأثيوبية أم مرض اببا في صغرها والذي استمر تسع سنوات وكان سبباً في تركها للتعليم من الصف السابع هو ما جعلها بهذا الهدوء، لم يشاء أن يتابع فضوله فطريقتها تلك تريحه وتتركه لما جاء إليه، استمرت تقارير فيصل بصورة دورية خلال فترة إقامته تلك لرئيسه مصطفى حمزة ومسئوله المباشر طارق الجعلى أو محمد الفاتح في حالة سفر الأول خارج البلاد.

في الخرطوم كانت الترتيبات تسير كما خطط لها ومن خلال تقارير فيصل (صفوت حسن) حسم الأمر بسفر شريف عبدالرحمن للالتحاق بالحبشة فقد كانت رؤية مصطفى حمزة أن تقتصر مهمة صفوت على تقديم الدعم العينى، عمل صلاح قوش على الإشراف لإدخال بعض ألاسلحة عن طريق حاوية قطع الغيار وأن يتم التداول لإدخال المزيد منها ودراسة طرق أخرى.

أكثر ما كان يقلق فيصل هؤلاء الأشخاص الذين يأتون إلى محله بشكل مستمر ويدعون بأنهم عرب تقطعت بهم السبل بسبب ضياع نقودهم أو عدم تمكنهم من الحصول على مبلغ تذكرة سفر للرجوع إلى بلدانهم، لم يكن يدري هل حقيقة ما يقولون أم هنالك من يراقبه إلى أن صادف يوما أن تواجد بعضهم في حضور الطيب عبدالرحيم الذي شرح له أنهم أثيوبيون ولكنهم يجيدون اللغة العربية بإتقان فأغلبهم كانو عمالة بأحد الدول العربية وخاصة الخليجية فتلك طريقتهم في الاحتيال، فرح فيصل لأن الأمر توقف عند هذا الحد، فقد توقع ماهو أسوء إلا أنه أخذ عهدا على نفسه بعدم تصديق كل من يصل إليه طالبا مال مهما شرح أو

حكى عن ظروفه ومهما تظاهر بالطيبة، تلك دروس أخذها فيصل بالتراكم بعد احتكاكه بالمجتمع الأثيوبي لكن أكثر ما فاجأه هو أن أثيوبيا تتخذ تقويماً مختلفا عن كل العالم فقد كانت السنه الأثيوبية تتكون من ثلاثة عشر شهراً هكذا اندمج صفوت حسن (فيصل) المجاهد المصري في المجتمع الأثيوبي، إلى أن كان صباح يوم كثيف الضباب وصلته رساله بمحله عن طريق الطيب عبدالرحيم من مصطفى حمزة تحثه بضرورة وجوده بالسودان لمناقشة بعض الأمور المتعلقة بالعملية.

45

مبنى وكالة الإغاثة الإسلامية باديس ابابا العاشرة صباحاً، فيصل (صفوت حسن) على مكتب محمد الفاتح الذي قام بتسليمه مبلغ 2000 دولاروتذكرة سفر على الخطوط الجوية السودانية اديس الخرطوم اديس، أخذ الاجتماع أقل من نصف ساعة تحدث خلالها محمد الفاتح عن ضرورة الإسراع بتجهيز الخطة فلم يعد هنالك متسع من الوقت.

رد صفوت :-

- كل التقارير مرفوعة للإخوة في السودان وأيضا للأخ مصطفى حمزة

مال محمد برأسه قليلا وقال بصوت خافت:-

- عليك أن تُعلمهم ذلك عندما تكون في الخرطوم فإطالة الوقت تتطلب مزيداً من الصرف أخ فيصل ومن الممكن أن تحين نقطة الصفر دون انجاز المهمة بالصورة المثلى.

أومأ فيصل برأسه إيجاباً ونهض مبدياً حماسه برأي الأخير، وقبل مغادرته للمكتب وصل صوت محمد الفاتح له

- طائرتك سوف تكون خلال أسبوع من الآن عليك في تلك الفترة ترتيب منزل لشيخ عمر (شريف عبدالرحمن) ولشيخ حسين شهيت فهم في طريقهم إلى أثيوبيا خلال يومين

رد فيصل على عجل :-

- نعم لقد قمت باستئجار منزل على شارع بولي لدراسة خطة الهجوم على حسب توصية شيخ حمزة.

في هذه الأثناء كانت طائرة الخطوط الجوية السودانية القادمة من نيروبي تحط على مطار الخرطوم وعلى متنها إثنان من المجاهدين القادمين من بشاور بأفغانستان عن طريق كينيا نظر عبدالكريم النادي إلى رفيقه في الرحلة محمد عبدالراضي وقال :

- حمدلله على سلامتك نحمدلله سلامة الوصول

تمتم الأخير حامدا ربه وتناول من على درج الطائرة العلوي حقيبة الملابس الصغيرة وتقدم الإثنان على سلم الطائرة.

مكث ياسين (عبدالكريم النادي) ومحمد عبدالراضي (إيهاب) بتلك المزرعة بضاحية سوبا ومعهم عدد من الإخوة الذين قدموا إلى السودان بنفس الكيفية من مناطق مختلفة عن طريق الخطوط الجوية السودانية تعرف عبدالكريم النادي ومحمد عبدالراضي على بقية أعضاء الجماعة بالمزرعة عبدالقدوس القاضي وكنيته (محمد)، مصطفى عبدالعزيز وكنيته (تركي)، والعربي صديق وكنيته (خليفة)، وعبدالهادي مقود وكنيته (حمزة)، تلقي الستة تدريبات في اللياقة البدنية واستخدام بعض الأسلحة الروسية بإشراف مباشر من صلاح عبدالله قوش وتم استخراج جواز سفر يمني لعبدالكريم النادي باسم ياسين عبدالحميد أحمد وجواز سفر يمنى أيضا للعربي صديق حافظ باسم أحمد محمد علي لتسهيل دخولهم للأراضي الأثيوبية.

وصلت طائرة الخطوط الجوية الأثيوبية إلى مطار بولي الدولي باديس ابابا وعلى متنها حسين شهيت (سراج) بجواز سفر سوداني يحمل اسم فيصل لطفي عبداللطيف تمت إجراءات شهيت بأسرع مما كان يتوقع فيصل الذي ظل خارج صالة الوصول في قلق مستمر خوفا من تكرر ما حدث معه قبل فترة، إلى أن تفاجأ بسراج خارجا من بوابة الوصول، تهللت أساريره وفتح ذراعيه مخاطبا القادم :

- حى الله.. حى الله،.. نحمد الله وصولكم الحمد والشكر لله تعالي

تبادل الإثنان الأحضان، جلس شهيت على المقعد بجانب السائق وتحرك فيصل بالسيارة فقد كان في عجلة من أمره فقبل أقل من نصف ساعة حطت طائرة الخطوط الجوية السودانية على نفس المطار وكان على متنها شريف

عبدالرحمن (عمر) الذي استقبله الطيب عبدالرحيم كأحد التابعين لوكالة الإغاثة الإسلامية، شقت السيارة الطريق الرئيسي وفيصل يشرح للشخص الذي إلى جانبه أهم معالم المدينة إلى أن وصل بهم المطاف إلى مبنى على جانب الطريق الرئيس تم استئجاره من قبل فيصل قبل أيام.

46

استغرقت زيارة فيصل إلى الخرطوم ثلاثة أيام فقط، من خلالها تم شرح أغلب جغرافيا العاصمة الأثيوبية وتحديد منطقة الهجوم، كان الاجتماع بحضور علي عثمان ونافع علي نافع وصلاح قوش وعدد مقدر من رموز حكومة الخرطوم بمن فيهم رئيس الجمهورية.

كان في انتظار فيصل بمطار الخرطوم شيخ مصطفى وحرمه فاطمة وأخت ابيا وزوجها الأثيوبي، داخل فيلا شيخ إبراهيم قالت ابيا لفيصل :-

- إبراهيم يعيش حياة ترف هل هو أحد السياسيين فقد لاحظت أن لديه حرس يتبعه.

تضجر وجه فيصل كثيراً ولأول مرة يخاطب ابيا بتلك الطريقة :-

- هذا شأن لا يعنيك نحن ضيوف عند أخي إبراهيم لا يصح أن نعلق على حياته أو أموره الخاصة.

إستغربت ابيا لهجة فيصل تلك، نظرت إليه بصمت ولم تقل شيئاً، وخلال إقامتها تلك أستاذنت فيصل بأن تذهب لأختها تقضي معها يوما قبل عودتهم إلى أثيوبيا، كانت المفاجأة الأخرى لها، رفض فيصل بصرامة بل تعدي الأمر لتهديدها بأنها إذا فتحت موضوع شقيقتها مرة أخرى فسوف يتخذ موقفاً متشدداً، فتحت ابيا عينيها بدهشةٍ لماذا كل هذا..؟ ففيصل يخرج منذ الصباح حتى أنها لا تكاد تراه وهو في شغل دائم وإجتماعات متواصلة وهي تجلس في تلك الغرفة على الطابق الأراضي في فيلا أخيه وحيدة أغلب الوقت، نعم لم تري شيئاً من زوجة شيخ ابراهيم فاطمة ولكن دائما ما كان هناك حاجزا ما فالمرآة طيبة كثيرة التبسم تخاطبها بأختي وتحدثها عن الإسلام وواجبات الزوجة الصالحة بلهجة لم تتعود

عليها ابيا، ليست كتلك التي يتحدثها بها السودانيين، شيء مختلف إلا أنها كانت تستمع بصمت، كان الإجتماع على الطعام هو أكثر ما يؤرقها فقد لاحظت أن أبناء فاطمة يتحاشون الجلوس معها حتى فاطمة كانت في غياب شيخ إبراهيم وفيصل تفضل أن تتناول الطعام مع أبنائها بمفردهم وبالرغم من هذا فإن وجبة الطعام كانت تمثل كرم لم تتعود عليه ابيا في حياتها.

في اليوم الأخير لاحظت زوجة فيصل تواجد عدد كبير من الزوار وهي في حديقة الفيلا تسهر وحيدة بعد أن فارقها النوم ومن مكانها المظلم نوعا ما رأت شخص يرتدي الزي السوداني وحوله عدد من الأشخاص انتابها إحساس بأن تلك الشخصية تعرفها، أين شاهدتها، لم تكن تدري بأنه الرئيس السوداني عمر البشير الذي كان في زيارة لشيخ إبراهيم وفيصل عند الرابعة صباحاً فقد تناول الإجتماع طريقة دخول مزيد من الأسلحة الثقيلة خلال الأيام القادمة عن طريق خطة محكمة بإخفائها داخل الآلات الموسيقية لحفل تنظمة السفارة السودانية باديس ابابا.

47

القاهرة منتصف يونيو من العام 1995 العلاقات السودانية المصرية في أسوأ حالاتها، مصر تتحفظ كثيراً على التوجه الديني المتشدد في الخرطوم، التراشق الإعلامى بين البلدين يصل مرحلة العداء واتهامات مصرية للسودان بإيواء عدد من المتشددين المصريين المعارضين للنظام، كل التقارير الاستخباراتية تنصح الرئيس المصري بعدم المغامرة بذهابه إلى أثيوبيا فهنالك إشارات ليس لها دلائل تقول بأن النظام السوداني يسعي إلى تصفية الرئيس مبارك بالتعاون مع بعض الجماعات الإسلامية المصرية.

يرد حسنى مبارك على اللواء عمر سليمان :-

- بس يا عمر إذا كل إشارة بالشكل دا أخدتها بجد وما رحتش حأفضل محبوس في مصر وكدا يكون جماعة الترابي نجحت في أن تعزلنا عن العالم،.. ولا مش كدا

يرد اللواء عمر سليمان :-

- في الحقيقة يا سعادة الرئيس أنا عندي شكوك قوية من خلال تقارير مرفوعة تؤكد وجود عناصر مصرية نشك في انتمائها لبعض الجماعات موجودة بالعاصمة الأثيوبية، بالرغم من اننا لم نستطيع التوصل إلى الآن هل هم تابعين إلى جماعة إرهابية أم مستثمرين مصريين عاديين.

صمت عمر سليمان للحظة وهو ينظر إلى الرئيس المصري الذي كان متفهماً مخاوف رئيس المخابرات العامة وقال :-

- من الممكن أن يمثلك وزير الخارجية المصري، وتكون مصر وصلت رسالتها.

قال كلماته تلك وهو يتطلع إلى سقف المكتب فالرجل لم يكن يتحدث من فراغ فله نظرة ثاقبة في عالم الاستخبارات ويشغل رئيس المخابرات العامة المصرية أقوي جهاز مصري بعد رئاسة الجمهورية وقد تولي في فترة سابقة إدارة المخابرات الحربية ورئاسة هيئة الأمن القومى، ونسبة لخبرته وحسه التفاوضي والأمني فقد تولي ملف القضية الفلسطينية أقوي الملفات في الشرق الأوسط.

ابتسم الرئيس المصري لعمر سليمان وقال :-

- طيب في حالة اني قررت الذهاب للقمة دي ايه هي الاحتياطات الممكن تكون.

خفض رئيس الخابرات العامة بصره إلى الأرض كأنه يحاول جمع أفكاره ثم قال :-

- أنا رتبت الأمور سعادة الرئيس سوف تكون في العاصمة الأثيوبية بسيارة مصفحة ضد الرصاص في حالة إصرار سيادتكم على تمثيل مصر وسيتولى مهمة حراستكم طاقم من أفضل ضباط الحرس الجمهوري، وغالباً يتم تزويدهم باسلحة نارية آليه.

نظر الرئيس إليه باستغراب بعد أن مسح على جبينه بتوتر وقال :-

- يااااه للدرجه دي ممكن تحصل حاجه.

رد عمر سليمان بهدوء أقرب للهمس.

- أنا مش مطمن للسفرية دي عموما، ومن الأفضل نضع كل الاحتياطات اللازمة سعادة الرئيس.

فى هذه الاثناء بالعاصمة الأثيوبية اديس ابابا كانت الجماعة تضع اللمسات الأخيرة للخطة بعد أن قام شهيت باستقبال عبدالكريم النادي وايهاب بمطار اديس ابابا الدولي، وأقاموا بمنزل يطل على شارع بولي عملوا على وضع خطة استطلاعية تتضمن أن يقوم الإثنان القادمان من السودان بالتدريب و الوصول للسودان بالطريق البري عن طريق مدينة المتمة الأثيوبية وما هى المشاكل التى من

الممكن أن تصادفهم وتحديد المسافات، تم انجاز المهمة بنجاح ورفع تقرير مفصل بما تم مناقشته باستفاضة، أوكل لعبد القدوس القاضى (محمد) ومصطفى عبدالعزيز (تركى) رسم خريطة كروكي بنتائج تلك الأعمال الاستقصائية استلمها شريف عبدالرحمن قائد الجماعة المشهور بعمروقام بتوزيع الأدوارلحين ساعة الصفر 26 يونيو 1995 موعد قدوم الفرعون إلى الحبشة وإلى هنا كانت مهمة فيصل صفوت حسن قد انتهت.

48

مطار القاهرة فجر السادس والعشرون من يونيو من العام 1995 درجة الحرارة تقارب الثلاثين... عمر سليمان مدير المخابرات العامة المصرية يضع توصياته الأخيرة لقائد حراسة الرئيس المصري ويطمئن الرئيس المصري بوصول السيارة المصفحة التى سوف تقله بالعاصمة الأثيوبية، وزير الخارجية المصري يهمس في أذن حسنى مبارك ببعض كلمات يبتسم الرئيس ويعدل من بذلته ينظر إلى ابنه جمال ويربت على كتفه، سوزان مبارك كان يعتليها بعض التوتر تنظر إلى حسنى كزوج وعينها تحمل حزن مبهم فالرجل الذي أمامها الآن زوجها وليس رئيس جمهورية مصر، في الليلة السابقة نقل إليها حسنى مبارك مخاوف مدير مخابراته من تلك السفرية همست في أذنه:-

- حسنى خلي بالك من نفسك لا الله إلا الله،..

تمتم زوجها ببعض كلمات لتطمئنها دون أن يُظِهر القلق الذي بداخله، ووفقاً للبرتوكلات تمت مصافحة رئيس الجمهورية من قبل وزير الداخلية والخارجية وبعض رجالات الدولة الذين كانوا في وداعه، صعد على السلم وقبل الولوج إلى قلب الطائرة توقف وأدار ظهره ملوحاً بيده اليمنى للمودعين نزلت من على عينى سوزان دمعة أخفتها سريعاُ وهي تتمتم ببعض تعويذات دينية وأدعية تسأل إله السماء أن يحفظ زوجها فقط زوجها وأن يعود سالما إليها، ضمت ابنها جمال إليها بشدة وهي تري جسد الرئيس يختفى تماماً فى قلب الطائرة، عمر سليمان أخذ تنهيدة حرى وقال لوزير الداخلية :-

- الولاد بتاعين الجماعات الإرهابية دول شكلهم حيقلقونا أوي

الساعة تشير إلى الرابعة والنصف فجراً بتوقيت القاهرة وطائرة الرئيس المصري تتدحرج على مدرج مطار القاهرة الدولي في طريقها إلى العاصمة الأثيوبية.

مطار بولى اديس ابابا كابتن الطائرة المصرية يطلب من برج المراقبة بالمطار الإذن بالهبوط، طائرة الرئيس السوداني تحط على مدرج المطار يتطلب تأخير هبوط طائرة الرئيس المصري بضع دقائق، تأخذ الطائرة دورة كاملة حول المطار والرئيس المصري يتاكد من ربط حزام الأمان الذي شُدَ على وسطه، يخاطب قائد الحراسة ساخراً :-

- هو الولاد الإرهابيين دول معقولة حيجو أثيوبيا.

كان وجه قائد الحراسة شديد الجمود وكأنه خُلِق من شمعٍ إلا أن مخاطبته لرئيس الجمهورية جعلت بعض قسماته تبدو كأنها تحاول التجاوب مع سخرية الرئيس، فخرج رده مصحوباً بابتسامة باهتة :-

- مش مستبعد سعادة الرئيس كل شيء جايز، بس نحنا عاملين حساب أي طارئ

ابتسم الرئيس وقال :-

- انتو ولاد مصر،.. ومصر مش أي كلام

على الجانب الآخر كان أحد ضباط الحرس الجمهوري يدس صورة تجمعه بزوجته وابنه ذو العامين في جيب سترته، ضابط آخر يخاطب زميله :-

- انت حصل جيت أثيوبيا دي قبل كدا،..؟

- الحقيقة مش فاكر اني رحت دولة في افريقيا أساساً

قال تلك الجملة بتوتر وهو يمسح على سلاحه للمرة الخامسة على التوالي، بينما كانت عيون الآخرين تتجول حول الطائرة وكأنها تبحث عن شيء ما.

تحط الطائرة على المدرج تمام الساعة الثامنة والربع، يطل الرئيس المصري من على سلم الطائرة وحوله أفراد حمايته بتشكيل محفوظ، وبخطوات حاول أن تكون واثقة ينزل حسنى مبارك درجات السلم، مسحة من التوتر بائنة على أفراد الحراسة الذين حاولو الالتصاق بالرئيس إلا أن مراسم الاستقبال حالت دون ذلك

رئيس الوزراء الأثيوبي ملِس زيناوي يصافح الرئيس المصري، سماء اديس أبابا ملبدة بالغيوم الشمس تتأخر في الشروق والرطوبة تزداد بزيادة دقات قلب أفراد الحراسة الذين تبدلت قسمات وجوهم قسوة وشدة.

أيادي الرئيس المصري شديدة البرودة أنفاسه تتلاحق والسلام الوطني لبلاده يعزف بوهن من قبل الفرقة الأثيوبية العسكرية قائد الحرس المصري يتحسس ببصرة الجموع بين الحين والآخر يخاطب نفسه في قلق :-

- لا داعي للخوف فهذه بروتكولات عادية من المستحيل أن يكون هنالك هجوم في قلب المطار، يبتسم بتوتر وهو يتطلع للرئيس الأثيوبي ماهذا.... كيف تراودني تلك الأوهام لقد تلقينا تدريبات عالية على ضبط النفس.

بقية أفراد الحراسة تنفصل عن الرئيس المصري حوالى 30 متر بصالة التفتيش، توتر بين الأمن الأثيوبي وأفراد الحراسة المصرية التى تحاول اللحاق بالرئيس المصري قبل خروجة من المطار .

يصيح ضابط الأمن الأثيوبي بانجليزية رصينة مخاطباً أحد الضباط المصريين بترك الأسلحة النارية غير مسموح لكم بأكثر من 4 أسلحة فقط، يتذمر أفراد الحراسة والتوتر بائن عليهم، الشد والجذب يأخذ مرحلة ارتفاع الصوت يقول أحد الأفراد بانجليزية ركيكة مخاطبا الضباط الأثيوبي

- دي أسلحتنا مفترض ندخل بيها

الضابط الأثيوبي محاولاً تهدئة الوضع :-

- فى ضوابط واتفاقيات بين الدول بتحدد نوعية الأسلحة وعددها لحراسة كل رئيس دولة.

يستجيب أفراد الحراسة سريعا في محاولة لكسب الوقت خوفاً من خروج الرئيس من المطار بدون حراسة.

تمت المراسم التشريفية فقد كانت زيارة الرئيس المصري لأثيوبيا تحت بند زيارة دولة وهي أعلى مستوي بين الزيارات التى تتم بين قادة الدول ورؤساء الحكومات

لذلك تكون لها مراسمها الخاصة وبرامجها المميزة فالزيارة كانت بدعوة رسمية من قبل رئيس الوزراء الأثيوبي تكتمل تلك المراسم ويتوجه الرئيس المصري إلى الناحية الأخرى من صاله كبار الزوار، السيارة المصفحة التى بعثها عمر سليمان تنتظره أمام باب الخروج السائق المصري عبدالحميد بسيونى يرفع التمام للرئيس الذي تربع على المقعد الخلفي وجلس بجانبه وزير الزراعة الأثيوبي وعلى المقعد الأمامي بالقرب من عبدالحميد جلس ضابط أثيوبي برتبة رائد، قائد حراسة الرئيس المصري يرفض تحرك سيارة الرئيس قبل وصول كامل أفراد الحراسة الذين كانوا قد أنهوا الشد والجذب مع الأمن الأثيوبي، يتحرك الموكب على حسب برتوكول الزيارة موتسيكل يقوده عسكري أثيوبي وثم سيارة شرطة أثيوبية عليها أربعة عساكر وضابط وتلحق بهم سيارة الرئيس المصري المصفحة وخلفهم كانت سيارة تويوتا لاندكروزر بها أفراد الحراسة المصرية.

49

صلاة الفجر 26 يونيو 1995 شيخ شريف عبدالرحمن (عمر) يدعو في القنوت لمدة نصف ساعة ومن خلفه كانت دعوات البقية تردد آمييين بخشوع تام ودموعهم تبلل ما نبت من لحاهم التى تم حلقها قبل وصولهم إلى اديس ابابا، فرغت الجماعة من مناسكها تلك، يخيم صمت تام في ذلك المنزل المقابل للشارع، الباقيات الصالحات هي خيروأبقي تتسابق الأصابع مرددة بصمت وحسب ترتيب الذكر سبحان الله... الحمدلله،. . الله أكبر، يرفع عمر يديه عالياً إلى السماء في ابتهال جديد لرب السماء والتعجيل بقرب النصر، التوتر يهبط علي الجميع، بعضهم يصلي صلاة المودع وآخرين يتلون من المصحف سورة يس بصوت خافت مضت حوالي الساعة ونصف. سماء اديس تنذر بهطول الأمطار رجح شيخ حمزة بأنها بركات من السماء وأخذ يتلو :

- ((إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ))

وقف عمر ليعطى تعليماته الأخيرة فقد وصل الفرعون أرض الحبشة ونصر الله آتى لا محاله قرأ بخشوع :

- ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً *))

همسات تلاحق خاتمة الشيخ للسورة

- صدق الحق،.. إن شاءالله وعد الله،. . بإذن الله،. .

يغلق تركي عينيه في خشوع، وشريف عبدالرحمن يتطلع إلى سراج (شهيت) وبالقرب منه يجلس خليفة (العربي صديق)، و(يس)، يخرج شريف عبدالرحمن

خارطة الرسم الكوركي للمنطقة التى يقطنون بها وأشار إلى الجانب الآخر للشارع الرئيسي وقال :-

- سوف تكون نقطة ارتكازكم هنا بإذن الواحد الأحد بهذا المخزن وأشار إلى مجسم لمنزل كان قد استجاره صفوت حسن كمخزن لقطع الغيار، واصل (عمر) أوامره قائلاً :-

- السلاح الآلى وبعض قنابل القرنيت داخل المخزن تحت صناديق قطع غيار السيارات أخ (يس) والأخ (خليفة) عليهم أخذ البنادق الآلية، أما الأخ (سراج) يكون في الخلف مع بعض قنابل القرنيت ومعه المنظار المقرب لمراقبة قدوم موكب الفرعون من نهاية الطريق.

هز ثلاثتهم رؤوسهم وذكروا اسم الله، إلتحمت الزفرات الحرىّ مع نبضات القلب لتزيد من حرارة الغرفة للمجتمعين بها برغم برودة الجو، حاول شريف عبدالرحمن أن يكون أكثر تماسكاً رسم على وجهه اصرار مجاهد قديم حارب ضد السوفيت لإعلاء كلمة الله ودحر المد الشيوعي في أحد بقاع العالم حسم أمره وقال :-

- أما الأخ محمد عبدالراضي (ايهاب) والأخ عبدالقدوس القاضي (محمد) والأخ مصطفى عبدالعزيز (تركي) فعليهم ان يقوموا بقيادة السيارة التى وفرها لنا فيصل وقطع طريق موكب الفرعون بالقرب من دوار الشارع الرئيسي وهم يحملون تلك الحقيبة قال توجهاته تلك واشار إلى حقيبة من الاسلحة والمتفجرات تزن حوالي 70 كيلوجرام

اغمض ايهاب عيناه في خشوع وهو يردد :-

- ان وعد الله حق ان وعد الله حق.....

ردد البقية شهادة الإسلام مراراً وصوت شيخ عمر يتخلل تلك الشحنات الإيمانية الفياضة أما أنا والأخ عبدالكريم النادي والأخ عبدالهادي مقود (حمزة) سوف نكون على نقطة اخري بالقرب من الجسر ومعنا أسحلة آليه وآربى جى لإطلاقها في حالِ كانت سيارة الفرعون مصفحة ضد الرصاص وتم تجاوز الكمين

الاول.

كانت المجموعه لها شكوك في استخدام حسنى مبارك لسيارة مصفحة على حسب رؤية شيخ ابراهيم التي شاعت بينهم والتي تقول أن الهاماً قد مسه من رب العالمين جاءه في حلم برؤيه الرسول الكريم على حد قوله إلى صفوت حسن في اجتماعهم الأخير بالخرطوم.

فقد همس في اذن فيصل داخل مطار الخرطوم بعد أن سحبه من يده بعيدا عن زوجته ابيا :-

- لقد اتفقت مع الإخوة في الخرطوم بضرورة وجود اربي جي من ضمن الأسلحة التي يجب توفرها وبعض قنابل القرنيت..

نظر إليه فيصل بهدوء وقال :-

- لماذا تلك الأسلحة شيخ إبراهيم،..؟

سرح حمزة قليلاً وقال :-

- لا أدري ولكن رؤية. رأيت الرسول الكريم يحثنا على الجهاد ويبارك ما نفعل، في نهاية الحلم ترك صندوقاً كبير عندما فتحته وجدته ملئ بهذا النوع من الأسلحه، صمت الشيخ وكأنه يستعيد رؤيا أحلامه السابقة ثم قال وهو ينظر إلى زوجته فاطمة التي تتحدث مع أخت ابيا على بعدا منهم :-

- لقد تتابعت الرؤيا ففي اليوم التالي كانت سيارة الفرعون أمامي وبعض الإخوة يطلقون الرصاص عليها إلا أنها كانت مصفحة ولم يخترقها الرصاص حتى قمنا بإطلاق بعض القذائف عليها،..

صمت شيخ إبراهيم، وظهرت على فيصل بعض علامات الحيرة لا يدري هل هي من رؤيا شيخه أم من التقرير الذي وضعه بين ايديه مدير جهاز المخابرات السوداني يوم أمس فقد كان التقرير يقول إن النظام المصري من الممكن أن يستخدم سيارة مصفحة ضد الرصاص في تنقلات رئيس الجمهورية وعليه اقتضت الضرورة تزويد العناصر الموجودة في اديس باسحلة وقنابل يدوية وعليهم ترتيب مخزن آمن

لتخزين الشحنة التي من المفترض أن تصل خلال يومين.

داخل المنزل باديس ابابا كانت نظرات (عمر) شريف عبدالرحمن تتابع قراءة الخريطة الكروكية التي تبين أرض العملية قال:-

- بعد أن أشار إلى دوار الشارع الرئيسي من المناسب أن تكون عرقلة موكب الفرعون بالقرب من الدوار كما قلت سابقاً ففي هذه النقطة تبدأ سيارات الموكب في تخفيف السرعة لأخذ انحرافها اتجاه اليسار.

فى تلك اللحظة التى كانت الجماعة تضع خطتها للتنفيذ كان على شارع بولى أحد مشاهير المجتمع السوداني طبيب الأسنان عوض دكام والذي حل ضيفاً على طارق الجعلى يأخذ بعض الصور التذكارية في جو مبهج ويوزع بسماته على المارين يلتقط صور مع بعض الفتيات والشباب الأثيوبيين ويأخذ لقطة له بالقرب من ذلك الدوار الذي أشار إليه (عمر) شريف عبدالرحمن.

تحركت المجموعه إلى خارج المنزل على دفعات وبعض قطرات الطل الخفيف تلثم وجوه العابرين بالشارع، تطلع ايهاب إلى شهيت الذي بدت عليه بعض علامات التوتر وهو يعبر مسرح العملية حاملاً حقيبة صغيرة بها منظار مقرب حديث ويرتدي بنطال جينز أزرق وتي شيرت أبيض وطاقية نايك بلون أسود وحذاء رياضي أسود مربوط باحكام وخلفهم كان العربي صديق يحمل حقيبة أيضا أصغر قليلاً ويرتدي بنطال من الجنز أسود اللون وقميص نصف كم مخطط وحذاء رياضي خفيف قال ايهاب محاولاً كسر التوتر الذي أحاط بهم :-

- يبدو أن السماء تباركنا، والدعاء أثناء هطول المطر مستجاب.

لم يرد عليه أحد فقد كانوا مشغولين بترتيب الخطة في رؤوسهم فالتوتر كان سيد الموقف، وصل ثلاثتهم إلى الجانب الآخر ودلفوا إلى داخل المخزن، خرج بعدهم بحوالي عشر دقائق محمد عبدالراضي بسحنته القمحية وهو يردد بعض الأذكار في سره وخلفه كان عبدالقدوس القاضي بحجمه الضخم وذقنه التى بدت متناثرة بعض الشئ توقف الإثنان على باب المنزل عند سماعهم صافرة سَارينة الشرطة الأثيوبية ارتفعت دقات قلوبهم لم تمضي لحظات حتى عبر موكب الرئيس السوداني بعلم بلاده المميز تنفس ثلاثتهم الصعداء وتحركوا حيث السيارة في

الركن الجنوبي بالقرب من المنزل وضعوا فيها حمولة المتفجرات التى كانت داخل الحقيبة، وضعوها بحرص شديد وتربع محمد عبدالراضي على مقعد السائق وبجانبه جلس مصطفى عبدالعزيز لحق بهم عبدالقدوس القاضي وهو يمسح وجهه من أثر بلل قطرات المطر الخفيف، حاول محمد عبدالراضي إدارة محرك السيارة إلا أنه حدث ما لم يكن في الحسبان السيارة بها عطب ما، بداء التوتر على وجه السائق ومصطفى عبدالعزيز يبرر العطل بأن الجو البارد قد أثر على بطارية السيارة، المحاولات تكللت بالفشل والزمن يتقدم.

50

طارق الجعلى يتفقد موكب الرئيس السوداني القادم للقمة الافريقية بمكان اقامته بالفندق، السفير السوداني تظهر عليه بعض علامات الضيق يهمس بعصبية في أذن محمد الفاتح الذي بذل مجهوداً خرافي في محاولة ضبط نفسه، يشير إلى طارق الجعلي الذي تقدم ناحيته يتساءل بهمس :-

- في جديد. .

يرد محمد الفاتح وكأن الم اصابه :-

- نعم وصلتني رسالة من ياسر عبدالحفيظ بأن سيارة الإخوة بها عطل.

يتغير وجه طارق ويضغط على أسنانه بقوة :-

- معقولة. . هسه عايزين تقولوا الكلام دا.

يترك محمد الفاتح ويتحرك نحو الرئيس السوداني يترنح قليلاً يبدو أن القادم أسوء

الطيب عبدالرحيم غائب منذ يوم أمس هذا العربيد لا يهدأ لعله الآن مع أحد الفاجرات لا يعنيه شيء غبي هذا الطيب. . هكذا تكلم محمد الفاتح مع نفسه وهو يمنع توتره من الظهور يهمس بضيق :

- كيف ستكون الأمور، . ...

يهدأ قليلاً نظراته تتلاقي مع طارق الجعلي الذي أصبح يسب في سره من ورطهم في تلك المصيبة، ينظر إلى الجانب الآخر تقع عيناه على تاج الدين بانقا الذي كانت يتحرك مع أحد أفراد حراس الرئيس السوداني متوتراً

ماذا حدث،..؟ لعل هنالك أمر ما، يصرف النظر عن التفكير ويلحق بالرئيس داخل صاله الفندق.

تحرك موكب الرئيس المصري من مطار العاصمة الأثيوبية وأمامه موتسيكل المرور الأثيوبي يطلق نغمته المميزة لإفساح المجال للعبور، داخل السيارة الرئاسية يخاطب حسنى مبارك وزير الزراعة الأثيوبي الذي يجيد العربية لحد ما

- البلد دي جميلة اوي فيها طبيعة حلوة..

يكتفي الوزير بابتسامة مجاملة للرئيس، السائق المصري يهدئ من السرعة فجأة بعد توقف سيارة الشرطة أمامه، على بعد 800 متر من المطار يلاحظ قائد الموكب العسكري الذي على الموتسيكل دخول سيارة يدفعها ثلاثة أشخاص على الطريق الرئيسي يتوقف متساءلاً، السيارة المعطوبة تغلق الطريق اتجاه الموكب القادم تماماً، لم يتدارك الجندي الأثيوبي الموقف حتى سمع صوت تكبيرات من حلوق متحشرجة أطلق عبدالقدوس القاضي النار من سلاحة الآلى على شرطى المرور الأثيوبي الذي ارتمي على الأرضي مضرجاً بالدماء والتكبيرات تتعالي من على الجانبين، المفاجأة المتوقعة ترعب الرئيس المصري الذي فتح عينيه وهو يشاهد مصطفى عبدالعزيز (تركي) من خلال نافذة السيارة يركض نحوه وبيده سلاح آلى يمطر بها سيارة الرئيس المصري، الوقت حاسم وردة الفعل من قبل ضباط الحرس الجمهوري المصري المكلفين بحراسة الرئيس تتخذ تشيكلها في لمحة من الثانية، قائد الحرس يهتف بتوتر مبالغ :-

- دا كمين،.. دا كمين..... يا ولاد الايه

يتخذ الضباط مواقعهم بصورة سريعة يفرغ أحدهم خزينة مسدسه على جسد ياسين أحد أفراد الجماعة، مصطفى عبدالعزيز يركض مكبرا نحو سيارة الرئيس تتلقاه رصاصات أحد ضباط الحراسة من الناحيه الأخرى.

يصرخ القائد مخاطباً أحد أفراده :-

- ايه دا... ايه دا أفراد الشرطة الأثيوبية تركوا سيارتهم،.. لاحولاااا يا رب اضرب،.. حاسب في حد تاني علي اليمن يتقدم عبد القدوس القاضي الذي

أمطر سيارة الرئيس المصري بوابل من الرصاص تتوجه فوهات مسدسات رجال الحراسة اتجاهه وتنطلق زخات من الرصاص تعبث بجسده كورقة في الرياح ويسلم روحه فورا.

عبدالحميد سائق السيارة يحاول بقدر المستطاع الحفاظ على رابطة جاشه ويقوم بمناورة يتفادي بها بعض الرصاصات التى انطلقت من الجانب الآخر ترتفع التكبيرات من أحد المنازل ومزيدا من الرصاص السائق يقوم بارجاع السيارة إلى الخلف وصوت الرئيس المصري يلاحقة :-

- انت ح تعمل ايه يا عبدالحميد سيب كل دا وارجع على المطار فورا

يستجيب السائق لأوامر الرئيس وبأقرب مخرج يسرع منحرفاً في الاتجاه الآخر تنطلق السيارة بسرعة قصوي اتجاه المطار في الوقت الذي تقدم فيه شريف عبدالرحمن حاملاً ار بي جي ومن خلفه عبدالكريم النادي غير مصدق هروب الفرعون فيجلس منهارا على قدميه يري تراجع فرقة الحرس الجمهوري بانسحاب تكتيكى مبرمج معرقلة تقدمهم، وفرقة من الشرطة الأثيوبية تهرع نحو مكان الحادث ويتم تبادل إطلاق النار يصاب عدد منهم بإصابات خطيرة، لم يكن أمام حسين أحمد شهيت (سراج) مخرج وهو يري مقتل يس أمامه والعربي صديق يلحق بشيخ عمر في الجانب الآخر من الشارع، قام بتغير اتجاهه فورا إلى داخل الحى بعد أن ترك سلاحه، لا يدري أين يذهب هل يلحق بصفوت حسن أم يقوم بالرجوع إلى الخرطوم بالطريق البري جال به خاطر أن يتواصل مع ياسر عبدالحفيظ أو تاج الدين بانقا لم يكن يدري ماذا يفعل إلى أن ساقته أقدامه إلى حيث إقامة الرئيس السوداني وهنالك قابل بانقا مع أحد أفراد الحرس السوداني وتم إخفاءه بينهم دون علم ممثل السودان في القمة الافريقية.

وصلت سيارة الرئيس المصري مطار بولي الدولي تمت إحاطتها من قبل أفراد الحرس الجمهوري الأثيوبي وتأمين من بداخلها نزل حسنى مبارك غاضباً يصرخ في وجه رئيس الوزراء الأثيوبي الذي نظر إليه ببرود أخذ الرئيس المصري يلوح بكلتا يديه ويشير إلى اتجاه الغرب ويقول بإنجليزية مكسرة

- دول جماعة الترابي بضربوا على نار

لم يستوعب رئيس الوزراء الأثيوبي ما يرمي إليه حسنى مبارك إلا أنه خاطبه مخففا عنه ومبديا إحراجه من تعرضه لعملية قتل في أثيوبيا.

51

الحياة فيض من الذكريات تصب في بحر النسيان إلا أن ذكريات خالد العمرابي كانت عصية عن الغياب، فالوطن يدفع ثمن تلك الحكايات صمت خالد العمرابى وخسر الوطن، ليتنا لم نلتقي خالد ليتنى لم أعد لسماع تلك الخيبات ليتني كنت خليلاً لابن عربي في منفاي هناك أقضي أيامي مع الحلاج وأسهر ليالي مع أوهامي، لم استطيع تخيل كيف تقبل الرئيس السوداني وجود شهيت معه على طائرته الرئاسية كأنه أحد أفراد حراسته كيف لرئيس دوله أن يقبل تهريب قاتل معه، لملمت جراح الوطن التى فتحت قريحتها رائحة نتنة على الجميع.

خرج العمرابي ومختار الأمين للحاق بالموكب الذي دعى له تجمع المهنيين ورفضوا اصطحابي بحجة أني عليل، تركوني مع أشجاني ووحدتي أقاتل ولعي بوطن أتحرق شوقاً للهروب من جديد، الساعه السادسة مساء والشمس تجمع اشعتها اذانا بالمغيب، جرس الذكريات يضرب في ضمير الوطن، ثلاثون سنة من الانتظار، رسالة سامية على الوتساب تم تفريق الموكب وهي الآن بمنطقة بري مع بعض الثوار الوضع خانق النظام يستخدم الرصاص لحصد ما تبقي من وطن.

ورب الفقراء لم يكن الوطن يوماً نصيرا للمعدومين، جاءتني خيباتي كنوبة حلم حتى أفقت منها على فاجعة جديدة تحط على البلاد، لم تكن الثورة مجرد هتاف صارت قصة شعب تضج بالأسئلة التي تفاجئك بها أقواس إجابات السياسيين بحلمهم بتنحي رأس النظام لمسيرة جديدة من الأطماع.

يرتفع رنين الهاتف المحمول إنه مختار الأمين صوته يحمل زعر مخنوق :

- مرتضى كيفك انت وين.....؟

يبدو أن هنالك أمرا ما

- أنا في البيت وبحاول أخرج من قبيل على الخرطوم والطرق مغلقة

اسمع صوت طلق ناري ومن بعدها آهات ألم أصرخ بحيرة منذ أن وعيت :-

- فى شيء يا مختار مختاااار،..

يجيب الصمت وترد شخشخه وخربطات القدر مبعوثه مع رياح التغيير، أغلق الخط أتصل بمختار مرارا تطل من سماعة الهاتف تلك النغمة السخيفة،.. بلدي بلد الخير والطيبة...

تلفون سامية مغلق منذ أخِر رسالة،.. القلق يدب في شرياني مغذيا كل الجسد، والخوف دهر من الهلع والرعب لم يكن لحظات عابرة، أتوخي الحذر وأنا أخطو خارجا المنزل مع آذان العشاء وأنباء عن سقوط شهداء فيديو لقناص يصطاد أحد الثوار بطلقة على العين، مغلق هاتف سامية، القلق يدب من كل الأطراف تخرج الهتافات داخلي بأبشع التوقعات.. صوت الحلاج يملئ طرقات أمدرمان

- أقْتُلُوني يا ثقاتي إنّ في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي

مختار الأمين صديق المحنة ورفيق الطريق تتزاحم صورته مع الحسن بن منصور كل له قضية وكلاهما زاهد في دنياه، على الطريق تقف قبالتي سيارة خالد العمرابي يظهر وجهه من خلف النافذة يقول بصوت أقرب إلى البكاء :-

- مرتضى انت ماشي وين....؟

لم استطيع أن أرد ظللت أحدق فيه لم أكن أعلم قدر خطواتي إلى أين ولكني كنت على يقين بأنك عندما تقرر الرحلة سيظهر الطريق.

يبدو عليه الحزن المرير خالد العمرابي محمر العين يقول:-

- اتصلت عليك كتير..

نظرت إلى الهاتف المحمول كان هنالك حوالي 13 اتصال، الحلاج يصيح بصوته في تلك الشوارع المتعرجة الضيقة يخرج أتباعه برايات خضراء من ضريح

حمدالنيل تضرب الدفوف الوذ بما قاله يوماً

حط في بابنا ماشئت من ثقلٍ،. . فبابنا بحر من غاص به أمنا

رائحة ثورة لم تكتمل بعد، كنت أتحاشى النظر إلى الهاتف أو متابعة أخبار الموكب خوف العثور على مختار، وهنالك كنت قد عثرت على الحلاج ولم آخذ بيده يوم شاهدت اعدامه ببغداد وهأنذا قد أدركت زماناً لقربي من خليله فأتحاشى النظر إليه.

العمرابي يوقف سيارته بالقرب من مستشفى رويال كير الساعة تشير إلى الثانية صباحاً بتوقيت الخرطوم الثامن عشر من يناير دعوة تجمع المهنيين للإعتصام حول محيط المستشفى وبالداخل ترقد جثه شهيد.

(مختار الأمين) محامي في بلد المحن خريج جامعة الخرطوم شهد مقتل التاية وبشيروسليم، سامية مرهقة العيون تنظر ساهمة في الفراغ قابضة على كف القدر لا تدري ماذا تقول، كان من السهل أن تعثر رصاص القناص على مختار وسط المظاهرة، لقد أدرك مختار وفي جلاءٍ مبينٍ، إن أساليبه السلمية التي استُهدف بها تحقيق رسالته، أصبحت يقين فأسلم تله للجبين شهيداً.

لم استطيع أن أري مختار جسدا بلا روح خرجت متلهفاً اللحاق به أنا الذي يرعبني الشوق ويخيفني الشجن، أنا الذي يهرب من لحظات الوداع كي لا يري حطام حقيقته المتشظية تطفو أمامه،. .أغرق وأغوص وأنجو مثل قطرات المطر التي تنزل على بحر عاصف وحدي مستسلم لانهياري وتحطم أحلامي، لا تحزني أمدرمان من يعلم، قد أكون هنالك قريباً. في يوم مماتي عيدنا معاً تحت زخات رصاصات النصر تهطل علينا احتفالاً بالشهداء لا تحزني سامية سَنَكون يوما ما في بلادنا الغارقة بالدماء نتجرع خمر النصر احتفالاً بموت الوطن

فأنا كما يبدو لم أَزُورَ تلك المَدينَةَ أمدرمان خمس وعشرون سنة من العذاب، الشعب وحده عزيزتي من يعرف سر الحرمان فلا الساسة ولا بائعي الأوطان في سوق النخاسة أعداء هم سواء، سنتخدر وجعاً ونصدح بالهتاف تعتلى أصواتنا أعلى مئذنة في عاصمتنا ثم ننشر العطر رماد بيعت دماء الشهداء بموت البطل.

هكذا يموت الوطن،. ....

تمت

صلالة2019-

رقم الايداع: ٢٠٢٠/٦٨١م